٤٢

اليهود فى المغرب

ماهر سمك



سلسلة كتب ثقافية تصدر عن:

دار الحرية

للصحافة والطباعة والنشر

(شركة مساهمة مصرية)

١٤ شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون: ٣٩٢١٩٥٧ - برقيا: الحرية
المراسلات: ١٣٧ مكتب بريد محمد فريد

التوزيع الداخلى:
مؤسسة الأهرام
تليفون: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس: ٥٧٤٧٠٢٣

التوزيع الخارجى:
الشركة القومية للتوزيع
تليفون: ٥٧٤٠٠٠٧ - فاكس: ٥٧٤١٦٦١

اليهود فى المغرب

الطبعـــة الأولـــى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

اليهـود فى المغـرب

ماهر سمك

«الآراء الواردة بهذا الكتاب ، لا تعبر بالضرورة عن اتجاه «دار الحـــرية» وإنما تعبر عن وجهة نظـــر كاتبها» .

إهــداء

إلى كل يهودى رافض للعنصرية الصهيونية .

"المؤلــف"

شكر وعرفان

يتوجه المؤلف بالشكر والتقدير والعرفان لكل من مد له يد العون والمساعدة لإنجاز هذا الكتاب .

ويخص بالشكر الاستاذ الدكتور توفيق الحسيني عبده أستاذ الانثروبولوجيا بجامعة القاهرة ، والاستاذ الدكتور فاروق اسماعيل عميد كلية آداب دمنهور السابق، والاستاذ الدكتور ضريف محمد ، والاستاذ الدكتور محمد رزوق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس ، والاستاذ الدكتور سيد فليفل استاذ التاريخ بجامعة القاهرة ، والأستاذ محمد رجب عضو مجلس الشورى .

كما يشكر الصديقين العزيزين الاستاذ عبد الرحمن عوض مدير عام المركز العربى الأفريقى ، والكاتب الصحفي الاستاذ محمد جبر مدير عام تحرير جريدة السياسي المصري وعضو مجلس الإدارة المنتدب لدار الحرية للصحافة والطباعة والنشر .

مقدمة

لم تنل الأقليات فى البلدان العربية حظها من الدراسات الأنثروبولوجية ، والتى يقوم بها عدد من الباحثين العرب الأفارقة ، الأمر الذى أفسح المجال لعدد من الباحثين الغربيين لتناول موضوع الأقليات بالدراسة فى هذه المنطقة ، بشكل يغلب على معظمه المغالطات التاريخية ، لأهداف سياسية مثل دراسة (Laurent andAnnie Chabry)* والتى تناولت إدانة لموقف الإسلام فى التعامل مع الأقليات ، كما يلاحظ أن معظم هذه الدراسات الغربية عندما تناولت موضوع الأقليات فى البلدان العربية قد ركزت على التمايز الثقافى والعرقى ، أسوة بدراسة الأقليات فى المجتمعات الغربية وحقيقة الأمر أنه لايمكن إنكار التمايز الثقافى والعرقى للأقليات فى بعض البلدان العربية ، غير أن على الباحثين فى هذا المجال أن يؤكدوا أيضاً على نقاط التلاقى التى تجمع هذه الأقليات والاكثريات داخل هذه البلدان العربية، وإلا سوف يقع الوطن العربى الأفريقى فى فخ التجزئة الأقليمية وتحول دوله إلى دويلات متعددة .

وبناء على ذلك فالفكر العربى مطالب بأن يفسح الطريق للدراسات الأنثروبولوجية ، التى تتناول دراسة واقع الأقليات داخله ، وعدم الصعوبات أمام الباحثين من أبناء هذه البلدان لمثل هذه الدراسات بدعوى الحرص على الوحدة الوطنية أو القومية . ذلك أن النظرة العلمية تتطلب دراسة الواقع

---

* لورانت وآنى شابيرى : سياسة وأقليات فى الشرق الأدنى ، ترجمة د . نوقان قرقوط ، مكتبة مدبولى القاهرة ، ١٩٩١ .

العربى الأفريقى دراسة واعية دقيقة لأموره ومشاكله والتى تؤكد الوحدة الوطنية والقومية .

والفكر العربى مدعو لدراسة موضوع الأقليات للأسباب التالية :

١ - بروز مشكلة الأقليات فى عالم اليوم وما يصاحبها من إجراءات انفصالية وحركات عنف ضد الأكثرية على ساحة المجتمع الدولى ، الأمر الذى يتطلب معالجة مشكلة الأقليات فى البلدان العربية الأفريقية بأسلوب علمى ، ومواجهة الواقع الخاص بها والتعامل معه وليس تجاهله أو قمعه .

٢ - تلعب الأقليات داخل هذه البلاد دوراً فى البناء الاجتماعى . وكلما حلت مشكلات هذه الأقليات كان هذا الدور إيجابيا يساعد على الاستقرار السياسى والإجتماعى ، وصولا إلى التنمية بينما يكون العكس إذا لم تحل .

٣ - تتعرض هذه الأقليات أحياناً ، بوعى أو بدون وعى ، لبعض المؤثرات الخارجية التى تهدف إلى إثارة الفتن والإضطرابات داخل هذه البلدان ، من أجل ضرب الوحدة الوطنية ، فمشكلة الأقليات فى الوطن العربى الأفريقى والأسيوى أيضا ، ليست وليدة تفاعلات داخلية فقط بين الأقلية والأكثرية ، لكن ما يغذى هذه التفاعلات هى تلك المحاولات الخارجية للطامعين فى الاستيلاء على المنطقة ومقدرات شعوبها .

ولعل ذلك يبدو واضحاً فى الأحداث التى تشهدها بعض هذه البلاد للتأكد على عنصر التفرقة مثال ذلك البربر والعرب فى الجزائر ، والمسلمون

والمسيحيون (الموارنة) فى لبنان من جانب آخر ، وكذلك تلك المحاولات التى تظهر أحياناً بين المسلمين والأقباط فى مصر ، والعرب والطوارق فى ليبيا .

وإذا كانت دراسة الأقليات فى البلدان العربية تحتاج إلى مزيد من الدراسات، وإلقاء الضوء عليها ، فلا شك أن الأقليات اليهودية فى البلاد العربية الأفريقية فى كل من تونس والمغرب لها أولوية خاصة فى هذه الدراسات ، وبخاصة مع استمرار الصراع العربى الإسرائيلى فى ظل وجود دولة يهودية فى المشرق العربى .

أما الأسباب التى دعت إلى دراسة الأقلية اليهودية فى المغرب فأجوزها فى التالى :

١ - تعتبر الأقلية اليهودية فى المغرب من أكثر الجماعات تأثيراً داخل المجتمع المغربى ، إذا قورنت بالأقليات اليهودية الأخرى فى بلدان المغرب العربى مثل تونس ويبدو هذا التأثير واضحاً بصفة خاصة فى النظامين الإقتصادى والسياسى .

٢ - تعتبر المغرب دولة عربية وإسلامية ، ما يجعل الأقلية اليهودية تعيش فى مناخ إجتماعى سياسى لايسهل عملية تقبلهم للنظام الدينى السائد فى المغرب ، والذى تأسست عليه الدولة ، وتقوم عليه نظمها السياسية . فالإسلام دين الدولة الرسمى ، وتعمل الدولة على ترسيخ المبادىء الإسلامية ، الأمر الذى يجعل هذه الأقلية غير قادرة على الاندماج إندماجا كليا فى المجتمع المغربى ولكن هذا لايعنى أن هذه الأقلية تعانى من أى نوع من الاضطهاد بسبب دينها ، حيث أن السياسة الرسمية تحرم أى نوع من العنصرية الدينية .

٣ - إهتمت الكتابات التى تعرضت لدراسة الأقليات اليهودية فى الوطن العربى ، بدراسة يهود المشرق العربى ، دون نفس المساحة من الدراسة ليهود المغرب العربى .

٤ - تناول بعض الباحثين الذين تعرضوا لقضية الصراع العربى الإسرائيلى لليهود على أن لهم هوية واحدة ، وأنه لايوجد بينهم خلافات مذهبية فى الدين أو العقيدة أو الأيديولوجية ، ومن ثم فالكل يهود ، وبالتبعية الكل أصحاب فكر صهيونى ويرى الباحث أن هذا قصور فى دراسة الأقليات اليهودية ، فليس كل يهودى صهيونياً كما أن ليس كل صهيونى يهودياً . وهذا ما سوف يتضح عند دراسة الأقلية اليهودية المغربية .

٥ - يلعب المغرب دوراً مؤثراً فى قضية الصراع العربى الإسرائيلى ، وقد زاد هذا الدور تأثيراً منذ بداية السبعينات .

لهذاالأسباب وقع اختيارى على موضوع الأقلية اليهودية فى المغرب

ماهر سمك

١

الفصل الأول

الجماعات الإثنية فى المغرب

لعل من المفيد أن نتعرض فى لمحة سريعة للخصوصية الجغرافية والتاريخية للمغرب قبل الحديث عن الجماعات الإثنية التى يتكون منها الشعب المغربى .

فالمعروف أن المغرب الأقصى يعنى المملكة المغربية . ويشمل المغرب الركن الشمالى الغربى من القارة الأفريقية ، ويطل على المحيط الأطلسى بواجهة بحرية يقدر طولها بستمائة وعشرين ميل ويطل على مضيق جبل طارق والبحر المتوسط بساحل يمتد طوله بمائتين وتسعين ميلا ، فى حين يبلغ حدوده مع الجزائر ٢١٠ ميل ، وطول حدوده حوالى ٦٨٠ ميل . وتبلغ مساحته ٤٦٦.٥٠٠ كيلو مترا ، ويقع بيع خطى عرض ٢٨ درجة و٣٦ درجة شمالاً ، وخطى طول ٢ درجة و١١ درجة غرباً[1] . ويبلغ عدد سكانه ٢٤ مليون نسمة* . والعاصمة هى الرباط ، وهى التى بها مقر الحكومة ومجلس النواب ، وإن كانت الرباط العاصمة الرسمية ، فإن العاصمة التجارية هى الدار البيضاء ، أما العاصمة الثقافية فهى مدينة فاس . وإذا نظرنا للإطار الخارجى للمغرب وجدنا له أربعة حدود هى :

١ - الحدود الشمالية :

تطل هذه الحدود على البحر المتوسط ، حيث تقع مدن المغرب الشمالية مثل طنجة ، الحسيمة ، الناضور ، وسبتة ومليلة ، والمدن الثلاث الأخيرة تقع تحت الاحتلال الإسبانى وكلما سرنا على ساحل البحر المتوسط شرقا ابتعد

(١) د . يسرى الجوهرى : شمال أفريقيا ، دراسة فى الجغرافيا الأقليمية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨، ص ٢١ .

(*) الرقم التقريبى : حيث إن إحصاء ١٩٨٤ بالمغرب أوضح أن عدد السكان ٢٢.٨٤٨.٠٠٠ نسمة .

الساحل المغربى عن الساحل الأوربى ، وكلما سرنا غربا اقترب الساحلان لدرجة الالتقاء ، إذ لا يفصل بينهما إلا بوغاز جبل طارق .

ومضيق جبل طارق هو همزة الوصل بين المغرب وإسبانيا ، وعن طريقه نشر العرب حضارتهم وثقافتهم ، ومن هذا الطريق عاد أهل الأندلس من المسلمين بعد أن زالت دولتهم فيه .

وقد جعلت هذه الوجهة الشمالية - المطلة على الأندلس - المغرب يتأثر منذ العصر الحجرى وإلى عام ١٦١٢م بالحضارة الأندلسية ، ويؤثر فيها .

ولغة سكان المنطقة الساحلية التى تطل على البحر المتوسط بربرية إلا أن منهم من يتكلم العامية المغربية ، وهؤلاء الذين أجبرتهم الظروف على الهجرة من الجبال ، والنزوح إلى المدن للعمل فيها ، ورغم تحدثهم بالعربية مع سكان هذه المدن ، فأنهم يتمسكون بالبربرية ، حيث يتحدثون مع إخواتهم من البربر ، الذين يتوزعون على المدن المغربية المختلفة .

وكلما إبتعدنا عن الساحل إلى داخل البلاد تبدأ اللغة البربرية فى الإنقراض ، وتحل محلها تدريجيا اللغة العربية الحديثة بلهجتها المغربية .

٢ - الحدود الغربية :

للمغرب على حدوده الغربية ساحل طويل على المحيط الأطلسى تقع عليه عدة مدن وموانى تبدأ بمدينة طنجة شمالا حتى أجادير جنوبا ، وبين المدينتين كثير من القرى والمدن أهمها أصيلا ، والعرايش ، والقصر الكبير وسوق الأربعاء وأسفى ، والصويرة وسكان هذه المدن يتحدثون المغربية الحديثة[1] .

(١) د . عبد المنعم سيد عبد العال : لهجة شمال المغرب ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ص ١٧ - ١٩ .

٣ - الحدود الجنوبية :

وهى فى غرب الصحراء الكبرى ، وحدوده غامضة لا تستطيع تحديدها تماما كما فى ناحيتى الشمال والجنوب ، وفى الواحات الجنوبية وعلى طول الحدود الصحراوية يوجد عناصر سوداء ، يطلق عليها الأهالى اسم (الحراثين) وهم عنصر جاء نتيجة اختلاط جماعات البربر بزنوج السودان، والبعض الآخر جاء به الرعاة للعمل فى زراعة الواحات وربما كان هؤلاء هم السكان القدماء للصحراء[٢] .

٤ - الحدود الشرقية :

وهى الواجهة الشرقية للمغرب وتسير مع حدود الجزائر ، ويمكن الوصول إلى هذه الحدود الشرقية بعد اختراق حاجزى الأطلس الكبير والصغير . واللغة المستعملة فى جبال هذه المناطق هى البربرية ولها لهجة خاصة بها تعرف باسم (تاميزغت)[٣] .

ففى الشمال أسس الفينيقيون مدينة طنجة فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وقد أدى هذا إلى وجود نوع من التفاعل بين الفينيقيين والإسبان من ناحية والمغاربة من ناحية أخرى ، وكان المغرب الفنيقى بين ثلاثة عوامل: إما الاستمرار فى التأثير بقرطاجة أفريقيا بطريق مباشر ، ورغم بعد المسافة ، أو التأثير بقرطاجنة الأندلس لقربها من المغرب ، أو محاولة إيجاد عالم فينيقى مغربى يتخذ لنفسه طابع الاستقلال .

---

(٢) د . يسرى الجوهرى : شمال افريقيا – دراسة فى الجغرافيا الاقليمية ، مرجع سابق ص ص ٢٢ – ٢٨ .

(٣) د . عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

ولم يقتصر شمال المغرب على الغزو الفينقى ، بل استولى الرومان عليه فى القرن الأول قبل الميلاد ، واختاروا طنجة لتكون العاصمة الساحلية كما اختاروا من منطقة زرهون قرب مكانس عاصمتهم الإدارية[١] .

كما تعرض المغرب لغزوات الوندال والقوط . ثم دخل العرب المغرب تحت قيادة (عقبة بن نافع) سنة ٥١هـ وبدأ سكان البلاد من البربر يتحولون إلى الإسلام[٢] واستمر تعريب قبائل البربر ، وأنشئت جامعة القرويين بفاس ، وكان التعريب شاملاً ، لكن كانت استجابة بربر جبال الأطلس له قليلة[٣] .

وفى القرن العشرين تعرض المغرب للاحتلال الفرنسى الذى أثار قضية الصراع بين البربر والعرب ، حتى أن أحد موظفى الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب طالب بأن يعمل الاحتلال الفرنسى على حذف تعاليم الديانة الإسلامية واللغة العربية فى مدارس البربر . وأن تكتب اللغة البربرية بحروف لاتينية ، وأن يتعلم البربر كل شىء عدا الإسلام[٤] .

ويصل دخل الفرد السنوى فى المغرب إلى ثمانمائة دولار ، وهو أقل من نظرائه فى تونس والجزائر وليبيا[٥] .

والمغرب من الدول الذى يأخذ بمبدأ التعددية الحزبية حيث توجد على الساحة السياسية المغربية أكثر من ثلاثة عشر حزبا سياسيا[٦] .

---

(١) مقر هذه العاصمة الإدارية هى مدينة (وليلى) .

(٢) د . حسين مؤنس : فتح المغرب ، مكتبة القاهرة ، ١٩٤٧، ص ١٤ .

(٣) د . محمد المنحى الصيادى : مسيرة التعريب فى المغرب الغربى ، مجلة المستقبل العربى ، عدد ٩ ، سبتمبر ١٩٧٩، ص ٥٣ .

(٤) علال الفاسى : الحركات الاستقلالية فى المغرب ، دار النشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ١٩٦٨ ، ص ص ١٤٢ – ١٤٣ .

(٥) د . محمد الفيلالى : المغرب العربى الكبير ، نداء المستقبل ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٩ ، ص ٢٢ .

(٦) د . إجلال رأفت : الأحزاب السياسية فى أفريقيا ، محاضرة ، مرجع سابق .

بعد هذا العرض السريع للخصوصية المغربية ، نعود لموضوع هذا الفصل وهو الجماعات الإثنية فى المغرب ، والتى نحددها فيما يلى :

أولا - البربــــر (الأمازيغ) :

أجمعت المصادر العربية والأوربية على وجود البربر فى الشمال الأفريقى، ولم يقل أحد من خلال هذه المصادر قولا قاطعا يلقى ضوءا نستطيع من خلاله أن نصل إلى المكان الذى نشأت فيه هذه الجماعة الإثنية ولا يخلو البحث التاريخى فى أصل البربر من الإجتهادات العلمية ذات النتائج المختلفة ، ولكن يضاعف من غموضها وتناقضها ، اختلاط البحث العلمى باعتبارات أيديولوجية تعبر عن المصالح المتضاربة[١] ، وتستعرض فى هذا المجال التفسيرات المختلفة حول أصل البربر .

الــرأى الأول :

يذهب إلى أن البربر من أصول شرقية ، ويعتمد هذا الرأى على البراهين الآتية :

أ - أن علماء الحفريات قد تمكنوا من العثور على أربعة نماذج بشرية ، الأولى فى الجزائر ، والثانية فى ليبيا ، والثالثة فى اليمن ، والرابعة فى فلسطين ، يعود عمرها جميعاً إلى ما يقرب من خمسين ألف سنة ، يجمع بينهما تشابه تام ، يؤكد أنها تنحدر من جنس واحد وهو الجنس السامى ، ومن موطن واحد هو الشرق ، وبالتحديد الجزيرة العربية .

(١) La Roui Abdallah: L'histoire Du Maghreb, Maspiro. Paris. 1970. pp. 12-22

ب - يذهب علماء الأنثروبولوجيا ومنهم كثير من الأوروبيين إلى أن مصادر الهجرة البشرية الأولى هى ثلاث : أواسط آسيا بالنسبة لتعمير شرق آسيا وشمال أوربا ، وشبه الجزيرة العربية بالنسبة لتعمير حوض البحر المتوسط وشمال أفريقيا وشرقها ووادى النيل ، ثم مصدر ثالث وأخير غير متفق عليه ، منه جاءت الشعوب التى عمرت أجزاء من القارة الأمريكية ، ويفهم من هذا التقسيم أن الموطن الأصلى للبربر هو الجزيرة العربية .

ج - يرى كثير من الباحثين الغربيين أن البربر ذو أصول مشرقية فدائرة المعارف الفرنسية الصادرة فى عام ١٩٦٨ تقول : (إن البربر لا تعود أصولهم إلى أصل غربى وإنما ينحدرون من أصل شرقى ، ويرى المؤرخ (وليم لانجر) إن هجرة البربر لم تكن من الشمال إلى الجنوب ، وإنما كانت بعكس هذا الإتجاه ، لأنه فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا مغطاة بالجليد لا حياة فيها كان الشمال الأفريقى مأهولا بالسكان[١] .

د - إن اللغة البربرية لاتزال نجدها حتى اليوم فى لهجات القبائل الريفية التى تتوزع أشتاتا من حدود مصر (سيوة) إلى شاطىء المحيط الأطلسى (السوس) ، ومن البحر المتوسط (الريف والقبائل) حتى الحدود الجنوبية للصحراء الكبرى[٢] .

هـ - يؤكد بعض المؤرخين المسلمين الأصول المشرقية ، فابن خلدون يقول غزا أفريقش المغرب ، ونقلهم من سواحل الشام ، وأسكنهم أفريقيا

(١) كريدية ابراهيم : السياسة البربرية للحماية الفرنسية فى المغرب ، شركة الطبع والنشر ، الدار البيضاء ١٩٨٤/ص١٤ .

(٢) الفردبل : الفرق الإسلامية فى الشمال الافريقى من الفتح العربى حتى اليوم ، ترجمة د . عبد الرحمن بدوى ، دار المغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٤٧ .

وسماهم بربر والبربر قبائل شتى من حمير وسفر والقبط والعمالقة وكنعان وفريسيين تلاقوا بالشام ولغطوا فسماهم البربر[١] . ويرى المسعودى أنهم من غسان وغيرهم تفرقوا عندما كان سيل العرم ، وقيل من لحم وجذام كانت منازلهم بفلسطين وأخرجهم بعض ملوك فارس .

قيل إن النعمان بن حمير بن سبأ كان ملك زمانه ، وأنه استدعى أبناءه وقال لهم أريد أن أبعث منكم للمغرب من يعمره ، فراجعوه فى ذلك وزعم عليهم أنه بعث منهم لت أبا لمتونه ومسفر أبا مسوفه ومرط أبا هكسورة وزصناك أبا صنهاجة فنزل بعضهم فى أماكن متفرقة من المغرب[٢] .

ويرى البعض [٣] أن البربر ينتسبون إلى جد أعلى يسمى مازيغ بن كنعان ابن حام ، ويميز النسابة العرب بين جذمين كبيرين منهم يختلفان فى نوع الحياة الإجتماعية والاقتصادية . والجذم الأول يسمى قبائل البرانس والجذم الثانى تسمى قبائل البتر ، ويفترض هؤلاء النسابة أن البرانس من نسل برنس بن بر بن مازيغ ، وأن البتر على أوثق الروايات من ولد مادغيس الأبتر بن بر بن مازيغ . وبينما غلب على شعوب البرانس الاستقرار فى القرى الساحلية والنيلية والجبلية للزراعة وتربية الماشية ، غلب على البتر طابع البداوة ، ويجمع المؤرخون على أن هذه القبائل أتت بها الهجرات البشرية من الشرق نتيجة لظروف سياسية خاصة .

(١) ابن خلدون : المقدمة ، مصدر سابق ، ص ٩ .

(٢) د . عبد المنعم سعيد عبد العال: لهجة شمال المغرب ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٣) د . موسى لقبال : المغرب الإسلامى منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورة الخوارج ، الوطنية للنشر ، الجزائر ، ١٩٨١ ، ص ص ١٧ - ١٩ .

الرأى الثانى :

يذهب إلى أن البربر من أصول أوروبية ، وهذه المقولة راجت فقط أثناء عهد الاحتلال الفرنسى للمغرب الكبير . فنرى المارشال جوان[١] (Juin) يقول إن البربر ينتسبون إلى السلالة الأرية التى تنحدر منها الشعوب الأوروبية . وتقول دائرة معارف (ouillet) التى صدرت قبل استقلال الجزائر (ان البربر ليسوا ساميين مثل العرب وأنهم ينتسبون عرقيا إلى السكان الذين يعيشون فى أوروبا . وفى نظر (بييردوماس) (Domas) أن البربر يختلفون عن العرب فى جنسهم كأختلاف الأوروبى عن الصينى[٢] .

والباحث يرجع وجهة النظر الأولى التى تقول بالأصول المشرقية للبربر ، فتاريخ المغرب يؤكد أن البربر قبل الإسلام فى الشمال الأفريقى قد بذلوا جهودا كبيرة للحفاظ على كيانهم ضد محاولات الابتلاع الرومانى والاستعمار الوندالى والبيزنطى ، رغم الاستعمار الذى اتخذه الاستعمار الرومانى سبيلاً . وقد كان استمرار المقاومة طيلة العهد الرومانى وتواصلها فى العهد الواندالى والبيزنطى وقيام إمارات مستقلة ، يؤكد استمرار دور البربر وانتمائهم إلى المشرق ومقاومتهم للغرب فى صوره المختلفة .

أما عن أصحاب الرأى الثانى الذى يقول بالأصول الأوروبية للبربر والتى سعى الاحتلال الفرنسى منذ لحظاته الأولى ، لإعادة كتابة التاريخ لخدمة أهدافه الاستعمارية ، بهدف خلق مشكلة بين أبناء المغرب مثل محاولات بعث الفرعونية فى مصر ، والفينقية فى لبنان ، فأصحاب هذا الرأى يحاولون

(١) حكم المغرب كمقيم فى المدة من ١٩٤٧ - ١٩٥١ .

(٢) د . عثمان سعدى : الأصول العربية للبربر ، مجلة أفاق عربية ، ١٩٨٠ ، عدد ٩ ، ص ص ٨ - ١٩ .

تقديم تأصيل علمى لدعاوى احتلال فرنسا للمغرب العربى . ويتحرج البربر كثيراً من استخدام مصطلح (البربر) لاحتمال الخلط بين الاسم والمسمى ، فهم لا يطلقونها على أنفسهم ويطلقون بدلا منها لفظ (الأمازيغ) ، والتى تعنى الرجال الأحرار[1] .

ويتركز البربر فى المغرب ، وهم أقل من نصف السكان ، فى أربعة مناطق :

١- بربر الريف :

ويقطنون فى شمال المغرب فى سلسلة الجبال التى تحمل هذا الإسم ، وتمتد من طنجة غرباً إلى الحدود الجزائرية شرقاً ، وكان بربر الريف شبه مستقلين عن السلطة المركزية فى المغرب حتى الاحتلال الإسبانى عام (١٩١١ - ١٩٥٦) ، وقد تأثر بربر الريف بهذا الإحتلال ، كما تأثر بقية المغرب بالاحتلال الفرنسى (١٩١٢ - ١٩٥٦) وكان نتيجة ذلك أن قام سكان الريف بمقاومة الإحتلال (١٩٢٠ - ١٩٢٥) بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابى ثم الإحتلال الإسبانى الفرنسى (١٩٢٥ - ١٩٢٦) وعندما زال الإحتلال الإسبانى الفرنسى عاد الريف إلى الوطن الأم .

وبربر الريف مجموعة من القبائل أهمها الروافا وبنووراغل ، وهم فروع من قبائل صنهاجة الكبرى . ويعمل معظم السكان بالزراعة والرعى . ويعتبر بربر الريف من أكثر مجموعات البربر فى المغرب تقريباً ، حيث كانت بلادهم معبرا للجيوش والهجرات العربية إلى بقية المغرب والأندلس .

(١) مصطفى نبيل : جبال الأطلس حصن المغرب ، مجلة العربى ، الكويت ، يناير ١٩٨٣ ، عدد ٢٩ ، ص ١١ .

٢- بربر الأطلس الأوسط :

وهم قبائل زيان وزمور ، ويسكنون منطقة جبلية تمتد من الشمال (الريف) إلى جبال الأطلس الأعلى فى الجنوب .. ويعتبرون من أكثرهم تمسكا بإسلامهم واعتزازا بلغتهم وثقافتهم البربرية (الأمازيغية) .

وقد قاوم بربر الأطلس الأوسط الإحتلال الفرنسى ، وخاصة فى الفترة من (١٩١٤ - ١٩٢٢) ولمعت خلالها أسماء زعماء تلك المقاومة مثل السيد محمد س عبد الملك ، إبن شقيق الأمير عبد القادر الجزائرى . ولم ينجح الفرنسيون فى السيطرة عليها جزئياً إلا بعد القضاء على ثورة الأمير عبد الكريم الخطابى فى الريف ١٩٢٦ ، وقد استغل الفرنسيون الأعراف الخاصة بقبائل زيان وزمور مثل مجالس فض المنازعات ، وعاداتهم فى الزواج ، لكى يبرروا صياغة نظام قضائى يشمل العديد من جوانب الحياة ، ويكرس الفصل بين البربر والعرب فى المغرب . ففى عام ١٩١٤ أصدر المقيم العام الفرنسى قرارا باستثناء بعض القبائل البربرية من القضاء الشرعى ، وأن تحكم القبائل البربرية طبق قوانينها وأعرافها الخاصة تحت مراقبة السلطات[1] ، وهو ما يعرف باسم (الظهير البربرى) . لكن معظم البربر فى الأطلس الأوسط وفى مناطق المغرب الكبرى أحيطوا هذا المشروع ، وكانت ثورتهم عليه لاتقل عن ثورة العرب المغاربة . وفى مرحلة المقاومة ضد الحماية الفرنسية لعب بربر الأطلس دورا فى جيش التحرير المغربى ، والذى أدت إلى عودة السلطان محمد الخامس إلى العرش والإعتراف باستقلال المغرب فى عام ١٩٥٦ .

(١) كريدية ابراهيم : السياسة البربرية للحماية الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

ويعمل بربر الأطلس الأوسط فى الزراعة ، ولايزال بعضهم يعمل بالرعي خاصة فى المناطق الوعرة ، كما يمارسون بعض الصناعات التقليدية مثل دبغ الجلود والفراء .

٣ - بربـر الأطلـس الأعلـى :

وهم فروع لقبائل مصمودة ، وقد احتفظت قبائل الأطلس بلغتها وثقافتها البربرية أكثر من أى مجموعة أخرى فى المغرب ، فوعورة مناطقهم ، وبعدهم عن المراكز الحضارية الرئيسية ، قلل من فرص التفاعل والتعريب ، كما أن هذه العوامل قد أبقت على صرامة النظام القبلى وقد استطاعت فرنسا فى الفترة من ١٩٣٠ - ١٩٥٢ استمالة قادة القبائل سياسياً ، وعلى رأسهم الجلاوى باشا مراكش ، الذى استطاع أن يحرك قبائله للزحف على الرباط والدار البيضاء عام ١٩٥٣ لإجبار السلطان محمد الخامس على التنازل عن العرش ، والذى لم تنجح فيه فرنسا ، فاضطرت لأعادته إلى العرش ، خاصة بعد أن استنكر البربر الآخرين هذه اللعبة التى قادهم إليها الجلاوى وفرنسا .

ويعتبر بربر الأطلس أكثر جماعات البربر تعرضاً للثقافة العربية ، وهم بحجمهم وتركزهم السكانى ، وترابطهم الاجتماعى يمثلون قوة سياسية مؤثرة يعمل لها سلاطين ثم ملوك المغرب من الأسرة العلوية كل حساب وليس أدل على ذلك من حرص البيت المالك على مصاهرتهم ضماناً لولائهم .

٤ - بربـر الأطلـس وودى سـوس :

وهم من قبائل الشلوح ، وقد تعرضوا لدرجة أعلى من المؤثرات العربية والزنجية ، سواء من خلال التفاعل البشرى أو قوافل التجارة بين أفريقيا

جنوب الصحراء ، وأفريقيا شمال الصحراء ، وهم أكثر استقرارا من الجماعات البربرية الأخرى وكذلك أكثر اشتغالا بالزراعة والتجارة من الجماعات البربرية الثلاثة السابقة ، وأعداد كبيرة منهم استقروا فى المدن الكبرى فى كل أرجاء المغرب ، ونشطوا فى تجارة التجزئة ، التى يكادون أن يسيطرون عليها سيطرة كاملة . ويجيد معظمهم اللغة العربية إلى جانب لهجتهم البربرية الأصلية (الشلحة)، بل وخرج من صفوفهم أدباء وشعراء وكتاب يكتبون باللغة العربية[١] .

أما عن النظام الاجتماعي والاقتصادي للبربر : فتوجد ملامح عامة فى تنظيمات البربر الاجتماعية والاقتصادية تشترك فيها معظم الجماعات البربرية ، وإن تنوعت بدرجات متفاوتة مثل :

- العادات والتقاليد : عادات البربر وأعرافهم وتقاليدهم غير مدونه ، لكن لها قوة القانون من حيث الصدق والاحترام والالتزام . ومع أن هذه الموروثات توجد عند شعوب أخرى ، ومنها القبائل العربية فى المغرب نفسه ، إلا أن هناك فارقا أساسياً . فعند البربر كانت هذه الموروثات ذات تأثير كبير إلى جانب الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية الحديثة[٢] .

- مركز المرأة عند البربر أكثر تحررا من مركزها فى البيئات العربية التقليدية فالمرأة تخرج للأسواق وتتعامل مع الرجال ، وتمارس الأنشطة الاقتصادية ، ولها الحرية فى اختيار زوجها .

---

(١) د . جلال يحيى وآخرون : مشكلات الأقليات فى الوطن العربى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ص ٢١٠ - ٢٢٠ .

(٢) أنور الجندى : الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال أفريقيا ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ١٢٦ .

- الأبناء المتزوجون يستمرون فى السكنى إن لم يكن فى بيت الأب ، فعلى الأقل بالقرب من منزل والد الإبن ، وهم يخضعون لسلطته . والأسرة عندهم أسرة ممتدة تجمع بين الأبناء والأحفاد مع زوجاتهم وأبنائهم تحت سلطة الأب ، أو سلطة الأخ الأكبر .

وهذه الأسرة التى تشمل كل عائلات الأقارب الذكور ، هى التى تكون الأخس أو (الخروبه) ، بمعنى القرية ورئيسها هو أكبر الأقارب سناً . والضرورة هى التى تقضى بتجمع كثير من الأسر المتصلة بصلة القرابة ، ومن القرى ، ومن النجوع يتم تكوين القبيلة ، والقبيلة بدورها تستطيع أن تضم إليها عناصر أجنبية عن طريق النسب أو التحالف أو الولاء .

والشيوخ هم الذين يحكمون فى القبيلة من خلال مجلس لهم تكون قراراته بالأغلبية ولايملك الرئيس الذى اتخذته القبيلة زعيما لها سلطة الانفراد بالقرار[1] .

- يلعب السوق دورا مركزيا فى حياة البربر ، ويقام يوما فى الأسبوع ، وهو ليس مجرد وسيلة للتبادل أو المعاملات التجارية ، لكنه مناسبة اجتماعية سياسية ، فهو يوم السلام وفض المنازعات ، ففيه يتقابل رؤساء المجالس القبلية والعشائرية ، للتأكد من المحافظة على السلام ومناقشة المسائل الهامة التى طرأت خلال الأسبوع الماضى ، أو التى يتوقع إثارتها خلال الأسبوع القادم .

ويقدر عدد البربر فى المغرب بأقل من نصف الشعب المغربى بقليل ، ويبلغ عدد المتكلمين بالبربرية فى المغرب ٣٦٪ إلا أن عددا كبيراً من هؤلاء

(١) الفرد بل : الفرق الإسلامية فى المغرب ، مرجع سابق ص ص ٥٠ - ٥١ .

لديهم معرفة باللغة العربية ويستخدمون اللغتين فى حياتهم ، أما العكس فنادر الوقوع[1] .

ثانيا - العــرب :

لم يدخل العرب بلاد المغرب إلا بعد نضال عنيف استغرق نحو خمسين سنة بين العرب والبربر ، وكانت نهايته تحالفا قويا بينهما تحت راية الإسلام مكنها من فتح الأندلس .

فما كاد القرن الثانى الهجرى يؤذن بالإنتهاء ، حتى كان الإسلام قد استقر فى بلاد المغرب ، ودخل البربر فيه ، واندمجوا فى الحياة الإسلامية واكتسبت ثقافتهم الصفه العربية الواضحة .

ولعل ذلك يرجع إلى ظروف المغرب وخصوصيته التاريخية فى هذا الوقت نوجزها فى التالى :

١ - ان المسيحية فى المغرب قبل دخول العرب المسلمين لم تكن تتجاوز المدن الساحلية والسهل الساحلى لسبب واضح هو أن النفوذ الرومانى والبيزنطى لم يكن يتجاوز هذا النطاق .

٢ - أن العرب عندما دخلوا المغرب لم يعتبروا أنفسهم حكاما والبربر محكومين ، بل كانت المساواة بين الفريقين فى الحقوق والواجبات . بل إن العرب ميزوا البربر على ماعداهم من سكان المغرب ، فاعتبر الروم والأفارقة موالى للعرب لايتساوون مع البربر ولو أسلموا . وقد كانت طبيعة الحياة البربرية أقرب لقبول العرب المسلمين عن غيرهم .

(١) د . صلاح العقاد : المغرب الغربى ، الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ١٠ .

ولعل ما يؤكد ذلك تلك الوقائع التاريخية أن حسان بن النعمان فاتح أفريقية ، وكذلك (موسى بن نصير) قد قربا إليهما البربر ، حتى أن الأخير أولاهم الأعمال وأشركهم مع العرب فى إدارة البلاد . فوجدوا أن انضمامهم للعرب ، ومحالفتهم يعود عليهم بمكاسب مادية كبيرة ، فبدأوا يقبلون على الإسلام قبولا عظيما . وقد كانت سياسة العرب عدم إجبار البربر على الإسلام خوفا أو رهبة ، بل اقتناعا وحبا ، فأخذ موسى بن نصير يعمل عمل تفقية البربرفى الإسلام ، وأنشأ المساجد فى البلاد التى فتحها ، وأشرك البربر فى فتح الأندلس[1] .

وكان فتح الأندلس معجلا بإسلام البربر ، فقد حاربوا مع العرب جنبا لجنب ، واحتكوا بهم وخالطوهم ، وأفادوا منهم فى الدين والثقافة[2] . ولم ينفرد العرب – الولاة بأمور المغرب على هذا النحو ، بل اهتم به الخلفاء، وكان اهتمامهم محمسا لأعمال الولاة ودافعا بالحركة الإسلامية إلى الأمام ، خصوصا الخليفة عمر بن عبد العزيز ، الذى كان يريد أن يزيد الإسلام انتشارا فى المغرب ، وأن يثبته فى قلوب من دخل فيه حديثاً .

ولتحقيق هذا الغرض تراه يولى اسماعيل بن عبد الله عام ١٠٠ هجرية ، ليدعو من بقى من البربر إلى دين الإسلام ، ولم يكن إسماعيل عاملا على المغرب فحسب ، بل داعية إلى الإسلام بدعوته السلمية والحجة والإقناع . واتبع عمر بن عبد العزيز هذا بارسال التابعين الذين يبصرون البربر بقواعده وأصوله .

(١) د . حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ص ١٤١ - ١٤٦ .

(٢) د . حسين مؤنس : فتح المغرب ، مكتبة القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٢٩٢ .

ويمكن القول أن القرن العشرين للهجرة أظل المغرب وقد أصبح قطرا إسلاميا يتفاعل مع التفكير الإسلامى الذى شاع فى العصر الأموى[1] . ولم تظهر فيه مشكلة العرقية بين العرب والبربر .

بل إن ظهور الفرق الدينية التى ظهرت بعد ذلك فى المغرب مثل الخوارج والشيعة قد قربت بين العرب والبربر ، واستطاع العرب نشر لغتهم بين البربر ، حيث وجدوا فيها أداة طيعة تمكنهم من التفاهم فيما بينهم ، خاصة أن اللغة العربية لغة مكتوبة يمكنهم أن يسجلوا بها تراثهم . وفى نفس الوقت الذى انتشر فيه الإسلام واللغة العربية ، كانت الثقافة العربية الوافدة إلى مدرسة فاس تسير فى طريقها نحو التفوق والإزدهار .

لكن هذه الوحدة السياسية التى أظلت المغرب وتبعته للخلافة الإسلامية فى الشرق ، لم تستمر طويلا ، وصار المغرب ميداناً للصراعات العرقية بين البربر والعرب سويا بانتشار مبدأ الخوارج ، الذى نادى بأن الإمامة ليست مقصورة على العرب ، بل يشترك فيها المسلمون على السواء فتلقفها البربر واعتنقوها ، وبدأ التمرد ضد الخلافة الأموية ينطلق من مدينة طنجة عام ١٢٢هـ / ٧٢٢م على يد أحد زعماء البربر المسلمين ، وهو ميسرة ، ثم تحول التمرد إلى ثورة لتشمل كل أرجاء المغرب .

ولم يستطع الحكام العرب إخماد هذه الثورة وتكونت عدة دويلات بربرية مثل بنى واسول فى سجلماسة وبرغواطة بطنجة وما حولها ، ومهد الطريق أمام الأدراسة ، ليعتمدوا على البربر فى إقامة إمارة مستقلة توحد المغرب الكبير كله تحت لوائها وكان لانتساب الأدارسة للرسول أثر كبير فى توحيد

(١) د . حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، مرجع سابق ، ص ، ٢٩٢ .

البربر مع العرب ، ونجحوا فى إقامة حكومة مركزية قوية اشترك فيها العرب جنبا لجنب .

كان تأسيس مدينة فاس فاتحة عهد فى تاريخ المغرب ، فقد أصبحت حاضرة المغرب الأقصى يقصدها العلماء والتجار . ويرجع الفضل للأدارسة الذين أيدوا الحركة العلمية ونشر الثقافة العربية فى المغرب .

إن دخول الإسلام المغرب لم يقتصر على الآلاف من الجند العرب الذين خلصوه من الاستعمار الرومانى ، وإنما تعداهم إلى آلاف مؤلفة من العرب الذين انساحوا من المشرق العربى جماعات وبطونا وقبائل .

والصورة التى تم بها تحرك الهجرات العربية كان معظمها من قبائل القواد والجند يلحقون بهم يستقر بهم مقام الفتح والمرابطة .

ويؤخذ من كلام المقريزى [1] أن الهجرات العربية للبلاد التى دخلها الإسلام لم تكن هجرات اعتباطية ، لكنها كانت تقوم على الأسس التالية :

١ – هجرة القبائل العربية لم تكن فوضى وإنما كانت تتم بإذن من الدولة .

٢ – مصلحة أهل البلاد كانت موضع اعتبار .

٣ – كانت الهجرة تتم على شكل ، رجل وزوجته وأولاده حتى يحدث استقرار مع الحركة الجماعية للأسرة على شكل بطن أو قبيلة .

٤ – إن العرب المقيمين بالمغرب كانوا يعولون العرب الوافدين على الأقل أول وصولهم .

(١) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مطبعة النيل ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ ، جزء أول ، ص ص ١٢٨ – ١٢٩ .

٥ – لم يكونوا العرب فى المغرب عالة على غيرهم ، ولم يكونوا طبقة من الأرستقراطية العاطلة ، وإنما كانوا يعملون ويعيشون من كدهم .

٦ – إن الهجرة كانت بأعداد كبيرة ، ومن أمثلة ذلك قبائل بنى هلال وبنى سليم الذين استقروا فى بلاد المغرب .

وقد تعددت أسباب الهجرة كلما امتد التاريخ الإسلامى ، فالفرق الدينية المضطهدة (الخوارج – الشيعة) قد هاجروا إلى المغرب .

كان نزوح العرب إلى المغرب قد أدى إلي نوع من الاختلاط التدريجى مع البربر ، دينيا ولغويا وثقافيا ، بل وأحيانا سلاليا . كما أدى إلى اتحاد العادات والتقاليد وتقاسم الجميع العقيدة الواحدة والتكامل الثقافى [1] .

إن دخول العرب إلى المغرب لم يصاحبه أدنى قدر من التعصب العرقى ، حيث كانت تعاليم الإسلام هى الدستور الذى ينظم علاقات العرب مع البربر وغيرها من الجماعات القائمة بالمغرب . ويؤكد ذلك تمثلهم بقول الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) (سورة الحجرات) وقوله تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[2] .

وقول رسول الله عليه الصلاه والسلام (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) وقوله عليه الصلاة والسلام (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الأثنين ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة)[3] .

(١) محيى الدين (المراكش) : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، مكتبة القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١١٥ .

(٢) سورة البقرة (٢١٣) .

(٣) الشيخان والبخارى .

ويمكن القول أن العرب عندما دخلوا مع الإسلام إلى المغرب وأقيمت الدولة الإسلامية اعتمدوا على الشريعة الإسلامية ، والتى وحدت بينهم وبين البربر ووضع أسس العلاقات بينهما ، وقد أدى ذلك إلى وجود قدر كبير من التفاعل الإيجابى بين الجماعتين ، ويمكننا تحديد هذه الأسس فى التالى :

١ - المساواة الإنسانية :

تعتبر المساواة الإنسانية التى قررها الإسلام ، وعملت بها الدولة الإسلامية فى المغرب قيمة أساسية ، فلم يفرق فى المغرب بين عنصر وعنصر، حيث يقول الله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير)[1] .

كما يقول الرسول عليه السلام (يا أيها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد لافضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

٢ - الإخاء الإنسانى :

قرر الإسلام الإخاء الإنسانى بين البشر جميعاً ، فهم أبناء رجل واحد وأمرأة واحدة ، ولهذا قال الله تعالى فى سورة النساء (ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا

(١) سورة الحجرات (١٣) .

ونساء)[1] وكذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (اللهم ربنا ورب كل شىء ومليكه أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة) .

ولذلك لم يمارس داخل المغرب من قبل العرب المسلمين أى دعوى للعنصرية أو التحيز حتى على الجماعات غير المسلمة كاليهود .

٣ - العدالة :

كانت من سمات المجتمع الإسلامى فى المغرب الأخذ بسمات العدالة الإسلامية ، والتى قام عليها بناء المجتمع المغربى الإسلامى ، وعمل الدعاة على توضيح معنى العدالة النفسية فى الإسلام ، وهى التى تجعل المسلم يقدر لنفسه من الحقوق بمقدار ما يقدره لغيره على ألا يزيد على الناس فى حق ، بل وقد يؤثره على نفسه . وهذه العدالة هى التى قربت البربر من العرب فى المجتمع المغربى يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .

٤ - المسئولية الاجتماعية :

أخذ الولاة فى المغرب بمبدأ المسئولية الاجتماعية فى الإسلام ، والتى لم تتوقف على مسئولية الإنسان المسلم عن أخيه المسلم ، بل أيضاً امتدت إلى توفير الخير ورد الشر فى كل صوره . وقد أدى ذلك أيضاً إلى وقوف العرب والبربر ، فى كثير من الفترات التى حدث انقسام بشأنها فى المجتمع

(١) سورة النساء (١) .

المغربى ، موقفا واحدا دون النظر إلى المعيار العرقى . ويتضح ذلك فى تاريخ المغرب عندما اشترك المسلمون من العرب والبربر فى فتح بلاد الأندلس ، وفى العصر الحديث عندما قاوم البربر والعرب قانون الظهير البربرى والتى حاول الاحتلال الفرنسى فى المغرب ، بإصداره ، التفرقة بين البربر والعرب .

وقد يقول البعض أن تاريخ المغرب قد حدث فيه نوع من سوء العلاقة بين العرب والبربر فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى ، لكن الرد على هذا القول ، أن ذلك الأمر لم يكن سببه صراعات عرقية بين البربر والعرب ، لكنه كان المسئول عن ذلك بعض التصرفات الفردية لبعض الولاة العرب الذين لم يطبقوا روح الإسلام كما فهمها البربر . ولم يكن الصراع بين عرب وبربر ، لكنه كان بين إسلام سنى ، بنى أمية ، وإسلام احتجاجى ، الخوارج. فقد كان الخوارج ينتقدون بنى أمية لانغماسهم فى روح الترف والملذات وتخليهم عن روح الإسلام .

وخلاصة القول أن العرب استطاعوا إيجاد نوع من التجانس الشامل مع البربر ، وتجلى ذلك عن مظاهر عديدة مثل الزواج والمعايشة ، واتخاذ البربر اللغة العربية لغة القرآن للتخاطب والحوار بينهم وبين العرب ، ثم بينهم أنفسهم عبر أجيال متعاقبة ومن ثم انتشرت الثقافة العربية ، وبدأ تعريب المغرب ، حتى أن البربر لم يحاولوا كتابة لغتهم كما فعلت بعض الشعوب الإسلامية الأخرى مثل الفرس الذين أصبح تراثهم الخاص نواة لقيام قومية أو شعوبية منفصلة فى العالم الإسلامى [1] .

---

(١) د . صلاح العقاد : المغرب العربى ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

ثالثا - الزنـــوج :

يضم المغرب إلى جانب البربر والعرب عدداً قليلاً من الزنوج ، ويصعب التعبير عنهم إحصائيا ، غير أنه يمكن ربط وجودهم فى المدن الفقيرة التى كانت تجارة الرقيق فيها مزدهرة حينما كانت الطبقة الأرستقراطية تحضر الرقيق لخدمتها .

وفى الواحات وجنوب المغرب وعلى طول الحدود الجنوبية الصحراوية يلاحظ وجود عناصر سوداء يطلق عليها الأهالى الحراثيون ، وهم نتيجة لاختلاط جماعات البربر بزنوج السودان ، والبعض الآخر قد أحضرهم الرعاة للعمل فى زراعة الواحات ، وربما كان هؤلاء السكان القدماء للصحراء [1] .

ويقول عنهم ابن حوقل [2] يمتاز هؤلاء السكان بالجلد الأدكن ، الذى يميل إلى الحمرة وهو موجود بأعداد قليلة فى جنوب المغرب ويسمى (الجرطانى) وهذا اللفظ يؤكد ابن حوقل أنه لايحمل الاحتقار أو العنصرية ، إنما معناه : أن هذا الشخص لا هو بالعربى ولا هو بالبربرى ، أما ملامحهم فتتمثل فى أن القامة فوق المتوسط ، والاكتاف عريضة ومربعة وقفص الصدر يشكل جذعا منعكساً مع ضيق فى أعلى الحوض والجمجمة طويلة والقمة ضيقة والجبهة منحرفة ، والحاجبان مقرونان مع بروز واضح كبير فى الوجنتين ، والأنف قصيرة أحنس لكنه غير افطس ، والفم كبير والشفتان غليظتان ، والجرطان عريض فى القدم بالمغرب ، وهو فى ذلك عكس (الحراثيون) الذين يعتبر تاريخ وجودهم أحدث من البربر .

---

(١) د . يسرى الجوهرى : شمال أفريقيا ، دراسة فى الجغرافيا الأقليمية ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٢) عبد القادر زمامة : مجلة البحث العلمى ، كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ١٩٧٢ ، عدد ٩ ص ٨٣ .

رابعا - سكان أوربا وآسيا :

يضم المغرب عناصر قليلة من السكان من أصول أوربية وأسيوية . وهذه العناصر قد تسربت إلى المغرب فى عهود مختلفة ، لأسباب عديدة مثل الإسبان . والعبيد المسيحيون المنحدرون من قوميات مختلفة ، والجوارى اللائى جىء بهن من المغرب والشرق وأدخلن فى حريم الطبقة الأستقراطية ويقول ابن حوقل[1] إن هذا الخليط لابد أن يكون له اعتبار فى تشكيل الأصول المغربية .

خامسا - اليهود :

ينحدر يهود المغرب من عدة أصول إثنية مختلفة منهم البربر والإسبان والبرتغال والفرنسيون . ويرجع البعض[2] أن الأصول الغالبة عليهم هى الإسبانية ، حيث إنهم يهود إسبانيا الذين طردوا منها عقب هزيمة العرب فى الأندلس ، واستقروا فى المدن الساحلية .

أما اليهود أنفسهم فهم يرفضون مقولة أنهم من أصول بربرية ، وأنهم قد وفدوا من فلسطين[3] ، رغم أن الأدلة التاريخية لا تشير خروج هجرة يهودية كبيرة من فلسطين إلى الشمال الأفريقى .

ونحن نميل إلى أنهم من أصول إثنية مختلفة ، جمعتهم التوراة وتعاليم التلمود والذى يؤكد ذلك أن ملامحهم مختلفة . ففى منطقة الريف يتصفون

(١) المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٢) د . يسرى الجوهرى : شمال أفريقيا ، دراسة فى الجغرافيا الإقليمية ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٣) أحمد بوحداد : مجلة الأبحاث ، الرباط ، ١٩٨٨ ، عدد ١٨ ، ص ٦٩ .

بالشقرة والعيون الزرق ، وفى منطقة الأطلس يتصفون بالسمرة وسواد العيون ، وأن أغلبهم من أصول بربرية[1] .

ويمثل يهود المغرب أكبر نسبة من يهود شمال أفريقيا . وتشير الإحصاءات أنه برغم الهجرات الأولى التى سجلت بعد قيام إسرائيل ١٩٤٨ فإن ٨٠.٠٠٠ من يهود المغرب ظلوا مستقرين فيه يمارسون أنشطة متعددة فى الحكومة والتجارة والصحافة ، كما أن المؤسسات اليهودية ظلت تعمل بفاعلية إلى جانب أن كثيرا من اليهود بقى محتفظا بثروته مصانة . الأمر الذى دفع بالكثير منهم إلى تفضيل البقاء فى المغرب[2] .

ولقد ظل اليهود المغاربة يشكلون لبنة هامة فى البناء الاجتماعى المغربى . ومنذ عهد قديم على امتداد فترة طويلة من تاريخ المغرب الإسلامى ، وعلى الرغم من هذه الحقيقة التاريخية ، فإن عدد اليهود كان ضئيلاً على الدوام بالمقارنة إلى مجموع المغاربة وإذ كان عدد اليهود قد تذبذب فى الصعود والهبوط نتيجة للتطورات التاريخية التى أحاطت بالمجتمع المغربى كله من ناحية ، ونتيجة للظروف الخاصة بالأقلية اليهودية المغربية من ناحية أخرى ، فإن التطور التاريخى العام يكشف أن نسبة اليهود المغاربة إلى سائر المغاربة ظلت فى تناقص مستمر .

وحقيقة القول أن البحث الموضوعى يرى أن اليهود فى المغرب لم يكونوا جالية أجنبية ذات خصائص اجتماعية ثقافية متمايزة . لأن هذا العرض ينافى حقائق التاريخ ، ولكن اليهود المغاربة هم جماعة مغربية من جماعات

(١) ابن خلدون : المقدمة ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .

(٢) مارك تيسلر وليندال هاويكنز : الثقافة السياسية لليهود فى تونس والمغرب ، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسى ، الدار البيضاء ، السنة الثانية ، شتاء - ربيع ١٩٨٨ ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

الأقلية المغربية التى تعتنق دينا يختلف عن دين الأكثرية المسلمة ، ولكنها تشارك هذه الأكثرية فى اللغة والأرض ، وكذلك فى الخصائص الثقافية والسمات الاجتماعية العامة ، ذلك أن المسلمين واليهود فى المغرب قد شكلوا جسدا اجتماعيا واحدا على الرغم من أختلاف الديانتين .

وإن كان اليهود فى المغرب قد شكلوا أقلية ضئيلة فلعل ذلك مرجعه إلى الطبيعة غير التبشيرية من ناحية ، ومن الظروف الإجتماعية والإقتصادية والسياسية التى حكمت التطور التاريخى لأعداد يهود المغرب من ناحية أخرى .

٢

الفصل الثانى

الأقليات اليهودية فى العالم والأقلية اليهودية المغربية

تزعم الصهيونية أن يهود العالم من سلالة عرقية واحدة ، وأنهم جاءوا كتلة واحدة بأمر الرب مع ابراهيم ، ومن تبعوه إلى الأرض (الموعودة) أرض كنعان ، ثم ساروا نحو مصر ، وأنقذهم من العبودية بفضل معجزة (الخروج) بقيادة موسى حوالى القرن الثالث عشر ق.م.، وغزوا الأرض الموعودة تحت قيادة (يوشا) وأبادوا بأمر الرب السكان الأصليين وأسسوا مملكة دواود . ثم حاقت بهم الهزيمة وتشردوا فى أنحاء الأرض .

فلما سمح (قورش) عام ٥٣٩ بعودة المنفيين ، قام رجلان من المقربين إلى بلاط فارس هما الكاهن الأكبر (نحميا) والكاتب (اسداراس) ، حفظا لنقاء الدين والدم ، ومنعا لأى اندماج لليهود بغيرهم ممن يعيشون بينهم ، قاما بوضع قوانين صارمة تحرم الزواج من نساء غير يهوديات ، وسن الاثنان القانون الذى سبق أن نزل على موسى ، وأقاما سلطة كهنوتية مطلقة.

وهكذا تمت صيانة اليهودية فى عرف الصهيونية وبقيت مستمرة فى نقائها تحت رعاية كبار الكهنة .

واستمر تاريخ الشتات اليهودى ، حيث لقيت الأقليات اليهودية ، كما تزعم الصهيونية ، مختلف الاضطهاد أيا كانوا ، ولكنهم أحتفظوا بالأمل فى العودة إلى (الأرض الموعودة) التى فقدوها مؤقتا ، وكانوا شعباً واحداً اختارته العناية الإلهية ، كما تقول الصهيونية ، ليكون شاهدا بألامه وبإيمانه الذى لايضعف على إرادة الرب . ويدور التاريخ الإنسانى بأكمله حول مصير

(١) د . جمال حمدان : اليهود أنثروبولجيا ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ص ١٤ - ١٦ .

هذا الشعب[١] .

ولكن الحقيقة غير ذلك وعكس ما تدعيه الصهيونية ، فمفهوم العرق أو الجنس النقى ، ليس سوى بدعة من بدع القرن التاسع عشر[١] . ففى تبرير نيتشه لسيادة الغرب الاستعمارية ترك فكرة التمييز بين شعب وأخر على أساس اللغة ، وانتقل إلى نظرية مزعومة عن الاختلاف الفيزيقى تؤدى إلى القول بوجود طبقات بين الأجناس البشرية .

لقد فتحت فلسفة (نيتشه) الطريق أمام الإدعاء الصهيونى بنقاء العرق اليهودى ، وتفوقه على سائر الأعراق الأخرى ، إلى حد ذهب بالمفكر الصهيونى (أحاد عاهام) بالقول أن اليهودية سبقت الأفكار التى جاء بها نيتشه بزمن بعيد ، حول الرجل اليهودى النقى الذى لم يخالط الأعراق الرديئة ، الرجل المختار هو غاية ولد العالم من أجله..[٢] .

إن الأقليات اليهودية ليست كما يدعى أصحاب الفكر الصهيونى ، بأنها جميعاً تنتمى إلى عرق واحد ، لكن الدراسة الموضوعية لهذه الأقليات يتضح منها أن هناك كثيراً من التمايز العرقى ، والقومى ، والدينى ، حيث أن الانتماء الدينى اليهودى ذاته ليس انتماء واحدا موحدا . وحتى يتضح مدى هذا الاختلاف والتمايز الذى يؤكد على دحض الإدعاء بنقاوة الجنس اليهودى وسوف يتم التعرض للأقليات اليهودية فى محاولة لتصنيفها إثنيا من الناحية العرقية ثم من الناحية الدينية ، ثم التعرض لرأى علماء الأنثروبولوجيا فى هذا الشأن ، ثم التواجد التاريخى والجغرافى

(١) العرقية ازاء العلم : مجموعة مقالات ، مجلة أونسكو ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٧ ، ص ص ١٧ ، ١٤ ، ٤٢ .

(٢) مجلة الأرض : منظمة التحرير الفلسطينية ، دمشق ، ١٩٧٩ ، عدد ٢٤ ، ص ٢ .

والديمجرافى للأقلية اليهودية فى المغرب .

أولا - التصنيف العرقى للأقليات اليهودية فى العالم :

أ - الأقلي هودية الإشكنازية (اليهود الغربيون) :

كلمة أشـ ى الأسـ اسم لأحد أحفاد نوح . وكانت الكلمة تستخدم فى الأمر لل للشعب والبلد الموجودين على حدود أرمينيا فى أعالى رات ، ولكنها فى العصور الوسطى أصبحت تشير إلى الأراضى الأوروبـ ى يسكنها الجنس الجرمانى ثم أصبحت تشير إلى ألمانيا ، ولكن لم يسـ ر الأشكناز فى ـ ـيا فقط ، فبعضهم استوطن شمال فرنسا وشرقها ، والنمسا ، وروسيا ، كما هاجر بعضهم إلى شرق أوروبا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ومعظم اليهود الأشكناز لايتحدثون العبرية ، وإنما يتحدثون اللغة البيديشية ، وهى لغة ألمانيا فى العصور الوسطى مختلطة بالسلافية ، وتكتب بالحروف العبرية . كما أن صيغ الدين اليهودى التى يعرفونها تختلف عن الصيغ المألوفة بين السفارديم نظرا لاختلاف المؤثرات الحضارية والإجتماعية التى أثرت على الفريقين[1] .

وقد اتسعت دلالة المصطلح بحيث أصبحت تتضمن كل يهود الغرب بما فى ذلك الولايات المتحدة ، وباستثناء يهود أسبانيا ، وبعض يهود هولندا وانجلترا ، وتركز الحركة الصهيونية كل جهودها على تهجير اليهود الأشكناز .

(١) د . عبد الوهاب محمد المسيرى : الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومى ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥ ، ص ٩٢ .

ومن الملاحظ أن اليهود الأشكناز يمكن التمييز بينهم ، فأشكناز أوروبا الغربية غير أشكناز أوروبا الشرقية ، وهذا نابع من اختلاف نمط الحياة لكل فريق من هذين الفريقين ، فأشكناز أوروبا الشرقية يعدون أكثر تمسكا وأشد تزمتا فى أمور الدين وهم أقل حضارة من أشكناز أوروبا الغربية[1] .

ووصلت نسبة اليهود الأشكناز خلال مطلع القرن التاسع عشر ٩٤٪ من الأقليات اليهودية فى العالم ، وبلغت نسبتهم فى فلسطين عام ١٩٤١ حوالى ٧٧,٧٪ من اليهود الذين كانوا يقيمون بها ، ووصلت فى عام ١٩٦١ إلى ٥٩٪ وانخفضت خلال السبعينات إلى ٣٠٪ داخل فلسطين المحتلة .

ولم ينصهر يهود الأشكناز مع غيرهم من اليهود الأخرين المقيمين حالياً فى فلسطين المحتلة ، حيث ينظر هؤلاء إلى غيرهم من اليهود نظرة ازدراء واحتقار .

ب - الأقليات اليهودية السفاردية (اليهود الشرقيون) :

جرت العادة من قبل بعض الباحثين فى دراسة الأقليات اليهودية على إطلاق لفظ (السفارديم) على جميع الأقليات اليهودية غير المنتمية عرقيا لليهود الأشكناز ، باستثناء اليهود السود أو الزنوج العبرانيون . وقد ارتكز هؤلاء فى اطلاقهم لهذا المصطلح على المكانة الاجتماعية التى يحتلها أفراد الأقليات اليهودية غير الأشكنازية ، وهى مكانة أقل من مكانة الأشكناز .

ويذهب البعض الآخر من الباحثين إلى إطلاق لفظ اليهود الشرقيين على مجموع الأقليات اليهودية التى تقف فى المواجهة الاجتماعية والثقافية لليهود

(١) مجلة الأرض : منظمة التحرير الفلسطينية ، دمشق ، ١٩٧٩ ، عدد ٢٤ ، ص ٢ .

الأشكناز، دون مراعاة للعامل الفيزيقى ، وهذا اللفظ أو المصطلح هو دلالة عن التميز العرقى الذى تمارسه الأقليات اليهودية الأشكنازية ضد الأقليات اليهودية الشرقية (السفارديم) .

ويعود اليهود السفارديم إلى أصول إسبانية وبرتغالية . ويعتقد اليهود السفارديم أن طقوسهم الدينية تعد استمرار للتقاليد الدينية اليهودية التى نشأت وتطورت فى بابل[1] . وهم يعتبرون أنفسهم الأتباع الحقيقين للديانة اليهودية ، وذلك بعد تفكك المركز الدينى البابلى ، حيث انتقلت حسب مزاعمهم الهيمنة الدينية والثقافية إليهم[2] .

وتدعى الصهيونية بأن الجذور العرقية للسفارديم تمتد فى تاريخها البعيد لتتصل بالعرق السامى ، الذى دخل إلى أسبانيا ، عقب سقوط مدينة القدس على يد القائد الرومانى تيتوس ، والتى على أثرها توزع اليهود ، الذين كانوا يعيشون فى فلسطين أنذاك ، على جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، بما فيها شبه الجزيرة الأيبيرية التى عرفت زيادة فى حجم أبناء اليهود الشرقيين المقيمة فيها ، وذلك مع الفتح العربى الإسلامى ، الذى أحضر معه يهود مصر والشمال الأفريقى . وتضيف الصهيونية فى ادعائها بأن العرب الفاتحين لبلاد الأندلس ، أحضروا معهم اليهود للاستفادة من خبرتهم المالية التى كانوا يمتازون بها .

ويتحدث يهود السفارديم لغة الأدينو ، وهى لهجة إسبانية أدخلت عليها مفردات عبرية وبرتغالية وتركية .

(١) مجلة الأرض : منظمة التحرير الفلسطينية ، دمشق ، ١٩٧٩ ، عدد ٢٤ ، ص ٢ .

(٢) الموسوعة الفلسطينية : منظمة التحرير الفلسطينية ، الجزء الأول ، دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .

وعلى أثر الحملة التى شاهدتها أسبانيا ضد اليهود خلال أواخر القرن الخامس عشر وحتى مطلع القرن السادس عشر تم طردهم من هناك وتوزعوا على الدول المجاورة وتركيا وفلسطين والشمال الأفريقى .

وكان اليهود السفارديم أكثر اندماجا وتقبلا لحضارات الشعوب التى عاشوا معها ، وكانوا أيضاً أقل ممارسة لفكرة إقامة الوطن القومى اليهودى ، وذلك بالمقارنة مع اليهود الأشكناز . ويتضح ذلك من تأخر هجرتهم إلى فلسطين بوقت طويل عن قيام الحركة الصهيونية ، التى لم تبذل أى جهد يذكر لتهجيرهم إلى فلسطين ، وذلك خلال سنواتها الأولى ، على الرغم من أن وجود غالبية هؤلاء الأشكنازيم بالقرب من فلسطين . وفسرت أسباب ذلك الإهمال بالنهج العنصرى الذى مارسته الحركة الصهيونية فى ذلك الوقت ، حيث كانت لفظة اليهودى تعنى بالنسبة إليها الأشكنازى وأكد على ذلك عالم الاجتماع الصهيونى (أرثر روبين) فى إحدى دراساته حينما قال : (إنه من الصعب اعتبار السفارديم يهودا)[1] .

أما فيما يتعلق بباقى الأقليات اليهودية التى تشكل الأقليات اليهودية الشرقية السفارديم ، فغالبية هذه الأقليات تعود إلى أصول عرقية سامية ، وعلى الخصوص يهود الأقطار العربية المشرقية كاليمن والعراق وفلسطين ، ويستثنى منهم اليهود السفارديم ، الذين قدموا إلى المنطقة من شبه الجزيرة الأيبيرية المشكوك فى انتمائهم للعرق السامى ، كذلك أولئك اليهود الذين أحضرتهم القوى الاستعمارية للمنطقة ، وخاصة الجانب الكبير من يهود مصر الذين أحضرهم الاستعمار البريطانى والفرنسى .

(١) الموسوعة الفلسطينية : الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .

ويعتقد باقى الأقليات اليهودية الشرقية فى إيران وبخارى وأرمينيا وكردستان وأفغانستان والهند أنهم يعودون بأصولهم العرقية إلى سلالة يهود السبى البابلى ، الذى تم على يد (نبوخذ نصر) عام ٥٨٦ق.م[1]

وأثناء المؤتمر الحادى عشر لاتحاد العمال الإسرائيلى - الهستدروت عام ١٩٦٩ أعيد تصنيف يهود اليونان ويوغسلافيا وبلغاريا على أنهم سفارديم ، بينما تم تصنيف يهود جنوب أفريقيا ضمن اليهود الغربيين - الأشكناز[2] .

ج - الأقليات اليهودية السوداء (الفلاشا والعبرانيون) :

تتألف هذه الأقليات من مجموعة يهود الحبشة (الفلاشا) والزنوج العبرانيون الذين يتواجدون بأعداد متفاوتة فى الولايات المتحدة ومنطقة البحر الكاريبى وليبيريا .

ويمثل وضع هذه الأقليات المأزق الحقيقى الذى تعرفه الحركة الصهيونية خلال الوقت الراهن ، ويتمثل هذا الوضع برفض المصادر الدينية العليا بشرعية أبناء تلك الأقليات .

ويكشف هذا الرفض زيف وبطلان المفاهيم الصهيونية المتعلقة بانتماء الأقليات اليهودية فى العالم للعرق السامى .

- فيهود الفلاشا لم يرتبطوا باليهودية المعاصرة إلى أن تدخل فى شئونهم المبشرون والمستشرقون المسيحيون الذين أبدوا اهتماما خاصاً

(١) من الفكر الصهيونى المعاصر : مجموعة مقالات لكتاب يهود ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٣٩ .

(٢) يهود العالم والصهيونية واسرائيل : مجموعة مقالات ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ١١ .

(٣)د . عبد الوهاب محمد المسيرى وسوسن حسين : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الأهرام ، مصر ، ١٩٧٥ ، ص ٤٩٩ .

بشعائر هؤلاء وبطقوسهم[1] .

فالفلاشا الذين يشبهون فى تكوينهم الفيزيقى سائر الجماعات الأثيوبية التى تقطن منطقة الهضبة العليا كانوا يتكلمون لغة (الأغوا) التى هجروها منذ القرن السادس والسابع عشر ، بعد أن أخذوا تدريجيا باللغة الأمهرية وهى لغة سامية تتكلمها الأرستقراطية الحبشية وهم يمارسون طقوسا دينية بلغة (الغيز) وهى لغة الكنيسة الحبشية ، ويجهلون بصفة مطلقة اللغة العبرية والأرامية والتعاليم التلمودية .

وإضافة إلى ذلك فإن يهود الفلاشا يؤمنون ببعض المعتقدات التى يعتنقها أغلبية الأحباش ، ولهم قساوستهم ورهبانهم ، وليس لهم على الإطلاق حاخامات ، كما هو موجود لدى الأقليات اليهودية الأخرى .

وخلاصة القول أن يهود الفلاشا ليسوا يهودا بل هم أقرب إلى المسيحية[1] . لكن المبشرين والمستشرقين الأوروبيين هم الذين ادعوا بيهودية هؤلاء ، وقامت الصهيونية باستغلال ذلك الادعاء خلال علاقاتها مع (هيلاسلاسى) الإمبراطور السابق للحبشة ، وذلك للأهمية الاستراتيجية التى تمثلها الحبشة فى الصراع العربى الاسرائيلى . وعقب إعلان إسرائيل ١٩٤٨ ادعت الصهيونية بأن الفلاشا ينحدرون من قبيلة دان اليهودية التى تقول عنها الأساطير اليهودية بأنها تاهت وضلت طريقها فى مكان ما من أفريقيا ، وأضافت بأن الفلاشا من سلالة (مانيلك) الذى انجبته (ماكيدا) ملكة سبأ من سليمان ، وذلك بعد لقائها به بمدينة القدس ، وبعد أن تربع مانيلك على العرش ذهب إلى القدس والتقى بأبيه سليمان الذى أمر بعض

(١) جبهة تحرير اريتيريا : القرن الأفريقى ، ملف ٣٤ ، مكتب الخليج العربى ، أبو ظبى ١٩٨٥ ، ص ٢ .

رجال حاشيته بمرافقة مانيلك حتى وصوله إلى مملكة اكسوم .

وبالرغم من هذه المزاعم فإن الصهيونية لم يسبق لها أن أهتمت بأبناء الفلاشا وذلك حتى أثناء مرحلة ازدهار علاقتها مع النظام الإمبراطورى السابق ، فقد كان بإمكانها أن تقوم بنقلهم فى ذلك الوقت إلى فلسطين المحتلة فى ظل ظروف سهلة ، ودون تعريضهم للخطر الذى أحاط مؤخراً بهم أثناء نقلهم إلى فلسطين فى سبتمبر ١٩٨٤ ، تحت اسم عملية موسى ، وأولتها وسائل الإعلام والدعاية الصهيونية اهتماما واسعا واصفة إياها بالعملية الخارقة ، متجاهلة الدور المتواطىء الذى قامت به بعض القوى العالمية والمحلية التى شاركت فى عملية اقتلاعهم من أراضيهم ، والزج بهم فى وسط اجتماعى سخر من ثقافتهم وأصولهم ، وشكك فى مشاعرهم الدينية بل عمل على إلغائها .

والواقع أن نقل هؤلاء الفلاشا إلى إسرائيل جاء فى وقت نضبت فيه الهجرة إلى إسرائيل ، وزادت فيه الهجرة المضادة ، علاوة على احتياج المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة للأيدى العاملة وتزويد المؤسسة العسكرية بالعنصر البشرى اللازم .

الاقليـة الزنجيـة الأمريكية (العبرانيـون):

وهذه الأقلية اليهودية الزنجية هى من أصول هندية وأفريقية ، ويدعون بأنهم وحدهم السلالة الحقيقية الوحيدة لبنى اسرائيل .

وتطلق هذه الأقلية على نفسها لقب الإسرائيلين الحقيقين وهم يدعون بأن أصلهم يعود إلى القبائل الغابرة التى وجدت فى زمن التوراة . وجرى

طردهم ونفيهم إلى أفريقيا ، بسبب المعاصى والخطايا التى اقترفوها ، ثم تم نفيهم مرة ثانية إلى الولايات المتحدة ليكونوا بمثابة عبيد ، وأطلق عليهم اسم اليهود الزنوج .

ويتزعم هذه الأقلية جيرسون باركر الذى كان يعمل سائق سيارة أجرة فى مدينة شيكاغو ، وقام بتغيير اسمه عقب هجرته لاسرائيل ، وأصبح يدعى بن عامى كارتر .

ويعتبر بن عامى اليهود البيض دخلاء على اليهودية ، وليس لهم علاقة باليهود أو بأرض الميعاد ، ويرى أن اليهود الحقيقين هم السود ، وليس البيض وهؤلاء الذين يرى أنهم لا يمتلكون السمات التى تحدد الشخصية اليهودية .

ويرى أحد أغنياء هذه الأقلية وهو شاليح بن يهودا أن اليهود البيض انبثقوا من الشعب الألمانى ، فأصلهم من الألمان الذين قاموا بسرقة العادات والتقاليد اليهودية(١) .

وبعد هذا العرض للتصنيف العرقى للأقليات اليهودية فى العالم ، يتحتم أن نناقش موقف علماء الأنثروبولوجيا من الإدعاء الذى تنادى به الصهيونية والخاص بالنقاوة العرقية لليهود .

فقد أعلن الاتحاد الامريكى للأنثروبولوجيا فى عام ١٩٣٨ أن لفظ سامى إنما هو تعبير لغوى ، وليس له أى مدلول جنسى Racial وأنه ليس هناك جنس يهودى .

(١) د . عبد الوهاب محمد المسيرى : الأقليات اليهودية بنى التجارة والادعاء القومى ، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

ويرى فردريك هيرز – Friedrich Herz أن اليهود يتكونون من أجناس مختلطة ، كما أن يوجين بيتارد – Eugene Pittard يرى فى كتابه الجنس والتاريخ – Race and History أن اليهود يتكونون من عناصر مختلفة تماماً ، وليس هناك شئ اسمه جنس يهودى ، كما أنه ليس هناك جنس مسيحى أو جنس إسلامى ، فاليهودية عقيدة دينية لها أتباع من كل الأجناس البشرية .

ويرى ربلى – Ripley أن أصول اليهود لم تعرف النقاء الجنسى ، وأن يهود اليوم لا يكونون جنسا واحدا . ويشاركه فى ذلك هادون – Haddon الذى يرى أن اليهود يتكونون من أصول مختلطة ولايمكن القول بأنهم جنس نقى[1] .

ويؤكد سالمان R.N.Salman أن نقاوة السلالة اليهودية ما هى إلا أوهام ، وأن أكثر الاختلافات والتغيرات بين السلالات توجد بين اليهود ، إذ تتفاوت الاختلافات فيما يخص بشكل الرأس العريض والرأس الطويل جدا . وفى ألمانيا وروسيا على وجه الخصوص يوجد من اليهود من لا تظهر عليه إطلاقاً أية صفات ومميزات جسدية أسيوية .

ويضيف فيشبرج Fishberg إلى هذا تأكيدا آخر ، حيث يقول : (أنه من الأدلة الدافعة على كذب وجود جنس أسيوى ينتمى إليه يهود العالم لم يعتره التغير ولم تخالطه صفات أجنبية ، منذ نزول الكتاب المقدس ، وجود نسبة مئوية من مظاهر الشقرة والعيون الفاتحة الألوان بين اليهود ، وتوزيعها توزيعاً غير منتظم بين الأقليات اليهودية والتغير والاختلاف الشديد فى

(١) وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ص ٢٥ – ٢٦ .

النسبة الرأسية ، وهو الاختلاف الذى تجده بين أى شعب من شعوب أوربا ، ووجود أقليات يهودية تظهر فيها الصفات الزنجية والمغولية والتيوتونية ، واختلافات فى طول القامة)[1] . ومن ثم فإن مزاعم اليهود ، وادعاءاتهم بنقاوة سلالتهم عبث مجرد عن كل أساس .

ويرى روجيه جارودى أنه لم يكن هناك قط جنس يهودى إلا فى الشطحات الجنوبية لهتلر وللصهيونيين ، ففى كل مراحل التاريخ كانت الأقليات اليهودية أحد العناصر التى تكونت منها الشعوب[2] .

ولعل هذا العرض للأقليات اليهودية فى العالم قد أعطى قدرا من الوضوح عن هذه الأقليات ومدى تمايزها عرقيا ودينيا ودحض للإدعاء الكاذب بنقاوة الجنس أو العرق اليهودى . ولاشك أن فهم طبيعة هذه الأقليات اليهودية المنتشرة بين أنحاء العالم يدحض دعاوى الصهيونية السياسية التى تقول بنقاوة الجنس اليهودى ، فقد لاحظنا من خلال العرض السابق أن هناك من اليهود من يتسم بالبشرة السوداء . وكذلك نجد عددا منهم يتسم بالشقرة أو الصفرة ، وكذلك اختلافا فى لون عيونهم فاليهود الروس يتسمون بالعيون اللوزية ويهود وسط آسيا بالعيون المغولية .

فاليهود إذن لايمكن أن يصنفوا كأمة ولا حتى كوحدة إثنولوجية ، حيث أنهم يتفاوتون تفاوتا عظيماً فى الصفات الجسيمة .

وحقيقة القول أن موقف اليهود أصحاب نظرية النقاوة ليس غير علمى فقط ، ولكنه أيضاً موقف انتهازى ومغرض ، ويكفى للتدليل على ذلك موقفهم

(١) جوان كوماس : خرافات عن الأجناس ، ترجمة ، محمد رياض ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٥٤ .

(٢) روجيه جارودى : ملف اسرائيل دراسة للصهيونية السياسية ترجمة ، مصطفى كامل فوده ، دار الشروق ، القاهرة، ١٩٨٥ ، ص ص ٥١ – ٥٢ .

أيام اضطهاد النازية فى ألمانيا ، حيث كان كل شىء يقاس بالجنس النوردى والأصل الآرى . فقد كان اليهود يدعون أنهم من ذلك الجنس والأصل ليفلتوا من عقاب ولعنة السامية . ويكفى أن نورد تعليق (هوتون - Hooton) فى اضطهاد ألمانيا النازية لليهود حيث يسخر قائلاً إن اليهود ربما كانوا يمتلكون من الدم النوردى مثلما يمتلك الألمان أنفسهم ، ومما له مغزاه كذلك أن القليل من الكتاب الذين يأخذون بنظرية نقاوة اليهود الجنسية هم من دعاة النظريات العنصرية التى نبذها العالم تماماً .

ثانيا - التصنيف الثقافى الدينى (المذهبى) للأقليات اليهودية فى العالم :

ثبت من خلال التصنيف السابق أن الأقليات اليهودية فى العالم لا تمثل عرقا نقيا ، كما يزعم كتاب الصهيونية ، وبالتالى فإن ما يسمى بالقومية اليهودية القائمة على أساس الجنس الواحد هى قضية تعتمد على المغالطة العلمية وتفتقر إلى الدلائل والأسانيد العلمية .

ويأتى التصنيف المذهبى الدينى للأقليات اليهودية فى العالم ليقضى على أى شك حول خرافة الجنس اليهودى شعب الله المختار . ويبرز هنا سؤال هل الأقليات اليهودية فى العالم موحدة من ناحية الفكر الدينى اليهودى ؟ وبالتالى يمكن القول بأن يجمعها ثقافة دينية مشتركة ؟ أم أن هناك مذاهب يهودية بين هذه الأقليات ، ومن ثم تؤدى إلى التمايز الدينى بينها ؟

وسوف يتم التعرض لهذه المذاهب الدينية بغية فهم الواقع الفكرى الدينى المتعدد للأقليات اليهودية فى العالم ، والتى تدحض مزاعم الصهيونية حول فكرة القومية اليهودية على أساس الفكر الدينى المشترك .

أ- الربانويـن (الفريسيون) :

ويطلق عليهم أيضاً الربيبيون ، وهم من أشهر الجماعات اليهودية ، وأكثرها عددا فى التاريخ القديم والحديث على السواء واسم هذه الجماعة مشتق من كلمة (ربى) أو (ربان) المأخوذة عن كلمة (ربانيم) العبرية ومعناها الأمام ، أو الحبر ، أو الفقيه[١] .

ويؤمن اليهود الربانيون بالعهد القديم بأسفاره التسعة والثلاثين ، كما يؤمنون بما ورد فى التلمود الذى يتضمن أبحاث أحبار اليهود فى شئون العقيدة اليهودية والقانون والتاريخ الدينى اليهودى ، ويضم التلمود ثلاثة وستين سفرا تم تأليفها فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد . وقد أطلق عليها (المشناه) أى الثنى أو المكرر ، ثم شرحت هذه الأبحاث فيما بعد ، وعرفت الشروح باسم (الجمارا) . ومن المتن (المشناه) والشروح والتعليمات (أمجارا) تألف التلمود أى التعاليم .

ب - القراؤون (العنانيون) :

يرجع بعض الباحثين أصل هذه الجماعة إلى النصف الثانى من القرن الثانى بعد الميلاد ، حين دعا عنان بن داود إلى مذهب جديد بعد الخلاف الذى حدث بعد توليه منصب رأس الجالوت (رئيس اليهود فى العراق) ، وكان بعض علماء اليهود وأحبارهم قد تأثروا بآراء المعتزلة وأصحاب علم الكلام من المسلمين ، فأخذوا ينقدون تعاليم الربانيين ، ويطالبون بالخروج على تعاليم التلمود وأحكامه ، وكان على رأس هذه الحركة الفكرية الجديدة

(١) د . قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، دار الفكر والدراسات القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٣٣ .

ثلاثة من علماء اليهود هم (افرايم ، واليشع المعلم ، وحنوكة) ، ووجد أولئك الثلاثة فى ثورة عنان والنزاع الذى نشب بينه وبين أخيه الأصغر حنانيا حول منصب رأس الجالوت ، ضالتهم المنشودة فنصبوا عنان رئيسا لحركتهم ، ومنذ ذلك الوقت صاروا يعرفون باسم القرائين ، إشارة إلى تمسكهم الحرفى بالتوراة ، ورفضهم ماعداها من كتب التشريع اليهودى[(١)]

ولم يترك الربانيون فرصة لمهاجمة القرائين ، فاتهموهم بالكفر وحرموا الزواج من بناتهم والاتصال بهم ، وقد انتشرت أفكار القرائين من فلسطين إلى سوريا والعراق ، ووصلت خراسان والبسفور وشبه جزيرة القرم ، ووصلت إلى مصر التى انتشرت منها إلى المغرب العربى وإسبانيا .

وأهم المبادىء الدينية لهذه الجماعة اليهودية هى :

١ – التمسك بالعهد القديم وحده .

٢ – عدم الإيمان بالتلمود .

٣ – يخالفون سائر اليهود فى السبت والأعياد .

٤ – يقتصرون على أكل الطير والسمك ويذبحون الحيوان على القفا .

٥ – يصدقون عيسى عليه السلام فى مواعظه وإشاداته إلا أنهم لايقولون بنبوته[(٢)] .

---

(١) د . قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، دار الفكر والدراسات القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٢ .

(٢) بنيامين التطيلى : رحلة بينامين ، ترجمة عزرا حداد بغداد ، ١٣٨٤هـ ، ملحق ١ ، ص ١٩٢ .

جـ - السامريون :

وهم خليط من اليهود الآشوريين ، وأغلب السامريين قبائل آشورية أرسلها ملوك بابل إلى فلسطين ، ليسكنوها محل اليهود ، الذين تم سبيهم إلى بابل ، واختلط الآشوريون الوافدون بمن بقى من اليهود بغير سبى واعتنقوا الديانة اليهودية ، ولذلك كانت غالبية السامريين من غير بنى اسرائيل ، وكان اليهود يعاملون أفراد هذه الجماعة على أنهم أقل منهم قدراً وأحط منهم منزلة وأتهموهم بالوثنية[(١)] .

وأقام السامريون هيكلاً خاصا بهم فوق جبل جرزيم بفلسطين ، وراحوا ينافسون به هيكل بيت المقدس على مدى مائتى عام ، حتى قام حنا هيركانوس رئيس كهنة بيت المقدس بهدم هيكل السامريين فى القرن الثانى ق.م وأعاد السامريون بناءه مرة أخرى ، ثم هدمه الرومان بعد ذلك فى القرن الخامس الميلادى .

والسامريون لايؤمنون سوى بالأسفار الخمسة التى تمثل القسم الأول من العهد القديم وهم ينكرون بقية أسفار العهد القديم ، وينكرون التلمود ، ونصوص الأسفار المعتمدة لديهم تختلف عن النصوص المشهورة لهذه الأسفار ، ولعل ذلك مادفع بعض المصادر التاريخية العربية إلى القول بأن لهم توراه أخرى خاصة بهم غير التوراه التى بأيدى القرائين والربانين ، وغير التوراه التى بأيدى المسيحين . كذلك أنكر السامريون نبوة كل من أتى بعد موسى عليه السلام باستثناء هارون ويوشع ، كما أنهم يخالفون اليهود فى القبلة ، فهم يصلون إلى جبل الجزريم بنابلس فى فلسطين ، ويحجون

---

(١) د . أحمد أحمد دياب عبد الحافظ : أضواء على اليهودية من خلال مصادرها ، دار المنار ، القاهرة ، ١٩٨ ص ١٦٧ .

إليه ويقدمون عليه الأضاحى بدلا من بيت المقدس ، ولهم لهجة عبرية وأبجدية خاصة تختلف عن سائر اليهود[1] .

د - اليهــود المتخفــون :

وهو اصلاح يستخدم للإشارة لليهود الذين يضطرون لاعتناق دين غير دينهم ، فيقيمون شعائر دينهم فى الخفاء ، ويبقون فى الوقت ذاته واجهة غير يهودية ، مسيحية أو اسلامية ، وتوجد أقليات من اليهود المتخفين وهما :

المــارانــوس :

وهو تعبير أطلق على اليهود الإسبان الذين تراجعوا ظاهريا عن عقيدتهم اليهودية فى القرن الرابع عشر ، حتى يتمكنوا من البقاء فى إسبانيا بعد أن انتهى الحكم العربى الإسلامى ، وقد أطلق عليهم أيضاً (المسيحيون الجدد) .

وقـد مـارس هـؤلاء المارانوس كـافـة الطقوس التى تقـتـضـيـهـا الديانة المسيحية فى العلن ، ولكنهم ظلوا فى الوقت ذاته يمارسون سرا كافة الطقوس اليهودية .

وكان بعض المارنوس ، ما إن يخرج من إسبانيا حتى يظهر تمسكه الشديد باليهودية ، ولكن فريقا آخر منهم استمر فى ممارسة طقوسه سرا ، وفى التزاوج بين أفراد أقليته حتى بعد أن انتهت الحاجة لذلك ، ولا يزال توجد طوائف مارانوس فى إسبانيا والبرتغال والولايات المتحدة[2] .

(١) د . فـاروق عبد الســلام : الأحزاب السياسية والفصل بين الدين والسياسة ، مكتبة قليوب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٢١ .

(٢) د . قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

الـدونمــة :

وهى كلمة تركية تعنى المرتدين ، وهى أقلية يهودية تركية أستقرت فى سالونيكا حين كانت اليونان تتبع الدولة العثمانية وأشهرت إسلامها تشبها بمبتاى تسفى الباشيح الدجال الذى ظهر فى أوربا فى القرن السابع عشر . فقد اعتقد كثيرون من أتباعه المتعصبين له أن ارتداده عن دينه واعتناقه للإسلام إن هو إلا تلبية لأمر سرى من الرب وتنفيذا لإرادته ، فخذوا حذوه ولكنه ظلوا متمسكين سرا بتقاليدهم اليهودية ، وهم يحتفلون بجميع الأعياد اليهودية ، ويتبعون الشعائر اليهودية فيما عدا شعيرة الكف عن العمل يوم السب حتى لايلفتوا النظر إلى حقيقتهم .

وقد أضافوا إلى الأعياد عيداً آخر أعتبروه أقدس الأعياد على الإطلاق وهو عيد ميلاد شبستاى تشفى ، وقد اتهمت الدونمة بالانحلال الخلقى والانغماس فى الجنس ، وذلك بسبب ميلهم إلى تحليل الزوجات التى حرمتها الشريعة اليهودية . وبسبب الحفلات التى كانوا يقيمونها ويتبادلون خلالها الزوجات . وقد تفرقت هذه الأقلية على أثر تبادل السكان التى وقعتها تركيا واليونان بعد الحرب سنة ١٩٤٢ ، بسبب اضطرار أفرادها إلى ترك مقرهم فى سالونيكا والاستقرار فى جهات متفرقة بتركيا .

وقد تم أخيراً إزاحة النقاب عن سر هذه الأقلية ، بعد أن نجحت طويلاً فى إخفاء حقيقة أمرها عن المسلمين واليهود على السواء . فقد ظهرت وثائق ومخطوطات كشفت عن يهوديتهم المتأملة وبعدهم التام عن الإسلام . ولكن مما يلف النظر أنه بالرغم من هذه الوثائق التى تؤكد ارتباطهم الشديد باليهودية فقد فشلت الصهيونية فى محاولتها لإقناعهم بالهجرة إلى إسرائيل ، ولم يكن بين اليهود الأتراك غير قليل جداً من أفراد الدونمة[1] .

(١) د . عبد الوهاب محمد المسيرى وسوسن حسين : المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، مرجع سابق ، ص ٢٦١ .

هـ - اليهودية الاصلاحية :

ويمكن اعتبار اليهودية الإصلاحية ثمرة مباشرة لحركة التنوير اليهودية . وقد حاول مؤسسو هذا المذهب أن يصلوا إلى صيغة معاصرة يهودية تلائم العصر ، وتتخلص من قيد المطلقات اللاتاريخية التى كانت تدور فى فلكها هذه الديانة . ويمكن القول بأن أحد القيادات الأساسية فى اليهودية الإصلاحية هو وضع المعتقدات الدينية اليهودية فى إطار تاريخى ، ومحاولة التمييز بين ما هو مطلق أزلى ، وما هو دنيوى مرتبط بزمان ومكان . ولهذا عدلوا فكرة الوحى والنبوة ، ونادوا بأن الوحى ليس خالصا صافيا بل يختلط بعناصر تاريخية زمنية ، وبذلك يصبح اليهود ملزمين بمحاولة فهم وتفسير هذا الوحى من فترة لأخرى ، وأن ينفذوا منه ماهو ممكن فى لحظتهم التاريخية[1] ، وعلى هذا يصبح للقانون الإلهى السلطة والحق فقط طالما كانت أوضاع الحياة التى جاد لمعالجتها مستمرة ، وعندما تتغير الأوضاع يجب أن ينسخ القانون ، حتى وإن كان الله صاحبه ومشرعه .

وقام اليهود الإصلاحيون بالغاء الصلوات التى لها طابع قومى يهودى ، بعد أن عملوا على استبعاد العناصر القومية الموجودة فى الديانة اليهودية ، التى تؤكد على الانعزال اليهودى عن الأمم الأخرى ، وجعلوا لغة الصلاة هى اللغة الألمانية لا العبرية ، وتخلوا نهائياً عن فكرة الشعب المختار .

وقد قام بعض الإصلاحيين ببناء بيت للعبادة أطلقوا عليه اسم الهيكل ، وكانت تلك أول مرة يستخدم فيها هذا الاسم ، لأنه لايطلق إلا على الهيكل الموجود بالقدس ، أى أن الإصلاحيين بتسميتهم معبدهم هذه التسمية الجديدة كانوا يحاولون تعميق إنتماء وولاء اليهودى للوطن الذى يعيش فيه .

(1) د . عبد الوهاب محمد المسيرى : الاقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومى ، مرجع سابق ، ص ص ٩٦-٩٧ .

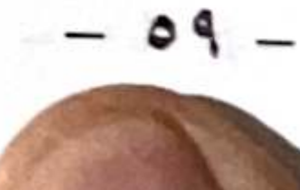
وقد فسر الإصلاحيون اليهودية على أساس عقلى ، وأهملوا التحريمات المختلفة التى ينص عليها التلمود ، استنادا إلى أن الدين اليهودى يستند إلى قيم أخلاقية تشابه قيم الأديان الأخرى . وأضفوا على فكرة العودة والماشيح طابعا إنسانيا ، فقد رفضوا فكرة العودة الشخصية للماشيح المخلص ، وأحلوا فكرة العصر الماشيحانى ، وينكر اليهود الأرثوذكس الإصلاحيين ولايعترفون بالزيجات التى يعقدها حاخام إصلاحى[1] .

و - اليهودية الأرثوذكسية :

تعد اليهودية الأرثوذكسية رد فعل رجعى للتيارات الاستنارية والإصلاحية بين اليهود ويؤمن الأرثوذكس أن التوراة هى كلام الله ، كتبها حرفا حرفا ، قيمها خالدة تنطبق على كل العصور ، ولولا التوراه لما تحقق وجود إسرائيل كشعب . وهم يطالبون أتباعهم بالإيمان الكامل بالشريعة المدونة والشفهية . وبكل الكتب اليهودية الحاخامية مثل التلمود والشولحان هاروخ ، وهم لايقبلون أى تمييز بين الشرائع الخاصة بالعقائد وتلك الخاصة بالطقوس ، فكلها ملزمة وبنفس الدرجة . وقد نادى الأرثوذكس بعدم التغيير أو التبديل أو التطوير ، لأن التطور سيودى حتما باليهودية . وقد وصل التزمت ببعض الأرثوذكس أنهم طالبوا بعدم تغيير حتى الطريقة التى يرتدى بها اليهود ملابسهم أو يقصوا بها شعرهم .

وهم يستخدمون فى صلواتهم اللغة العبرية ، ولايسمحون باختلاط الجنسين فى الصلاة بعكس اليهودية الإصلاحية ، كما أنهم يعارضون أى نشاطات تبشيرية يقوم بها اليهود . والأرثوذكس يحاولون الانفصال عن

(1) المرجع السابق : ص ص ٩٩ - ١٠٠ .



سائر الأقليات اليهودية الأخرى حتى يمكنهم الحفاظ على ما يتصورونه بأنه جوهر اليهودية الحقيقي دون أن تشوبه شوائب[1]

ز - اليهودية المحافظة :

نادى المحافظون بأن أى تغيير أو تطوير لليهودية لابد وأن يكون نابعاً من أعماق الروح اليهودية لا من خارجها ، وعلى الرغم من أن المحافظين كانوا من المؤمنين بأن فكرة الشريعة الشفهية خرافة ابتدعها الحاخامات، وعلى الرغم من رأيهم فى أن التراث الدينى اليهودى ليس مرسلا من الله إلا أنهم لم يتخذوا موقفا نقديا أو متمردا من التوراة أو التراث اليهودى لأن كليهما تعبير عن روح الشعب اليهودى وعبقريته ، ولذلك يؤمن المحافظون بالقانون اليهودى الدائم التطور ، ولكن هذا التطور لابد أن يكون متسقا مع منطق اليهودية نفسها وأن تظل الأشكال المختلفة المتغيرة تعبيرا عن عبقريتها . ويؤمن المحافظون بأن الأمل فى العودة فكرة محببة لدى اليهود لابد من المحافظة عليها وبأن هذا الأمل لا يتنافى بأى حال من الولاء للوطن الذى يعيش فيه اليهودى ولم يمانعوا من تلاوة الصلوات باللغة المحلية إذا لزم الأمر[2] .

ثالثا - الأقلية اليهودية/التواجد التاريخى والجغرافى والديمجغرافى :

يعود تواجد اليهود فى المغرب إلى موجات متتالية بدأت منذ القرن السادس قبل الميلاد ، الشتات البابلى .

وإذا كان الشتات والأسر البابلى قد اتجه أساسا نحو الشرق ، فمن

(١) د . عبد الوهاب محمد المسيرى : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٢) صحيفة القبس الدولى : ١٩/١٢/١٩٨٦ نقلا عن صحيفة دير شبيجل الألمانية الصادرة فى ١٢/٨/١٩٨٦ .

المرجع أن بعض الهجرة اتجهت غربا إلى شمال أفريقيا ، حيث يدعى اليهود ممن يسكنون الجبال اليوم ، ويتكلمون البربرية ، أن أجدادهم تركوا فلسطين واستقروا فى المغرب قبل السبى البابلى نفسه ، وحيث يسمون أنفسهم البلشتيم Plishtim ، والكلمة تحريف واضح لكلمة فلسطين[1] .

وعلى الرغم من أن المؤرخين يتهيبون من تقديم معلومات دقيقة حول أصولهم . فإنهم يجمعون على أن هؤلاء اليهود ربطتهم أواصر حميمة بالسكان البربر الأصليين . ويمضى بعض المؤرخين إلى أبعد من هذا ليتكلم عن البربرية اليهودية[2] .

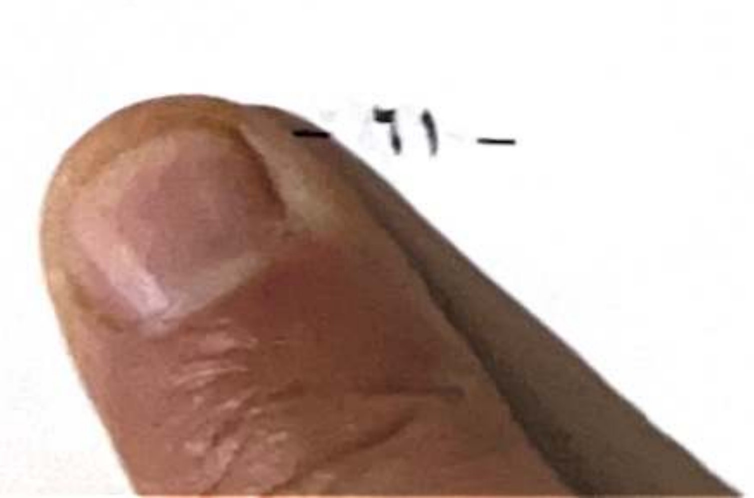
ويعتبر تاريخ تلك الفترة عند المؤرخين اليهود ضربا من الأساطير التى تتحدث عن وجود آثار لأمجاد الأجداد الأوائل ، يقال أن الذى وضعها هو يؤاب بن سروبا قائد جيش الملك داود ، وهم يختلفون أيضاً فى المكان الذى وضعت فيه هذه الأمجاد ، فالبعض يحكى أنها وضعت فى الصحراء المغربية ، والبعض يحكى أنها وضعت فى طنجة وفاس . ويذكر التلمود وكتابات أحبار اليهود أن طائفة يهودية كانت تسكن مدينة وليلى فى زمن الاحتلال الرومانى . وقد عثر على بقايا شاهد قبر فى بقايا ذلك الموقع يحمل كتابة عبرية ، كما عثر على شمعدان برونزى ذى سبعة عروش[3] .

إلا أن الموجة الكبرى هى التى أعقبت سقوط الأندلس ، وعرض اليهود الإسبان للاضطهاد والإبادة على أيدى محاكم التفتيش ، دفعتهم إلى

(١) د . جمال حمدان : اليهود أنثروبولوجيا ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٢) Donath, Bensimen: Immigrants d'Alrique de Norden Israel, Paris, Edition Anthropos; 1962. p. 30-87.

(٣) Zafrani Haim: Mille ans de vie juive on Morco, Maison neuve et la rose, Paris, 1986, p. 10.



الهجرة إلى المغرب، فاستقروا فيه، حيث كانت جماعات يهودية قائ
ومستقرة من قبل. واستوطن اليهود الوافدون الشريط الساحلي، بينما كا
اليهود الأصليون يعيشون في المناطق الجبلية، وعلى تخوم الصحرا
الكبرى، وعرفت لغة اليهود الوافدين باللغة القشتالية IL PAEO - CASTILIAN

وكان اليهود يشعرون بالاعتزاز لانتمائهم إلى المدن المغربية التي أوتهم لدى هروبهم من إسبانيا غداة سقوط الحكم العربي [١].

وكان يهود المغرب منتبهين إلى تنوع أصولهم العرقية من ناحية وثقافتهم من ناحية أخرى. وقد شهد المغرب حالة من التوتر والنزاع بين اليهود الأصليين واليهود الإسبان واتهم اليهود الأصليون اليهود الإسبان بأن لديهم نزعات وتأثيرات مسيحية، واستمر التوتر بين اليهود الأصليين - توشفيم - وبين اليهود الوافدين الإسبان - ميكورشيم - في عديد من المسائل الخاصة بالعبادات كالطقوس، والقوانين الخاصة بالذبائح، إلا أن اليهود الوافدين الإسبان أحتلوا في النهاية قيادة الجماعة اليهودية خاصة في شمال البلاد، غير أنه مازال يستعمل في بيعة التوشفيم بملاح فاس سدور وهو كتاب صلاة طبقاً لعادات يهود فاس الأصليين [٢].

وقد وصل عدد اليهود في المغرب في العصور الوسطى إلى ٢٢٥ ألفا [٣].

وقد عرفت الأقلية اليهودية في المغرب التعايش السلمي والتعاون والسلام مع الأكثرية المسلمة من العرب والبربر، غير أن الملاحظ أن بعض المؤرخين

(١) ابن خلدون: المقدمة، مرجع سابق، ص ص ٢٠٨ - ٢٠٩.
(٢) Ibid. pp. 12 - 13.
(٣) د. شكري النجار: المغرب العربي، التعايش التاريخي بين العرب واليهود، مجلة شئون فلسطينية بيروت ديسمبر ١٩٨١، ص ١٢.



اليهود الذين تناولوا دراسة يهود المغرب أنهم يشيرون إلى مدى العذاب والاضطهاد اللذين مروا به عند الفتح الإسلامي للمغرب.

غير أن الملاحظ أن هؤلاء الكتاب اليهود الذين تحدثوا عن اضطهاد المسلمين ليهود المغرب، هم من يهود المغرب الأشكناز وليسوا من يهود البلدان العربية - السفارديم - وهؤلاء الأشكناز لم يعيشوا في الوطن العربي من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد عمل هؤلاء الكتاب الأشكناز على خدمة الدعاية الصهيونية والترويج لها.

وسوف يكون من الأفضل التعرض لبعض هذه الكتابات، ثم محاولة الرد عليها من خلال الوقائع التاريخية من ناحية، وشهادات بعض اليهود المغاربة من ناحية أخرى.

ويعتبر أندريه شوراكي من أكثر المؤرخين اليهود الذين أدانوا فترة الفتح الإسلامي والتواجد العربي في المغرب، وأوضح أن يهود المغرب قد عانوا الاضطهاد والظلم، وحتى لايكون الباحث متبنيا لوجهة نظر مسبقة، فإنه يرى أن يعطى الفرصة لشوراكي للحديث عن وجهة نظره، ثم يحاول الرد عليها بعد ذلك.

يقول شوراكي (كان الشيء الوضيع والأسوأ لليهودي أن يكون دائماً ضحية كل أزمة وكانوا ضحية للحروب المستمرة بين القبائل الداخلية والأسرة الملكية، ويدون التاريخ أن جميع الطوائف اليهودية في المغرب كانت تردد جملة معروفة وهي أنهم يسلبون كل اليهود، ويغتصبون الفتيات الصغيرات، ويقتلون الكثير من النساء والأطفال، ويحرقون كثيرا من المعابد، وأن من ينجو من ذلك كان يقضى عليه عن طريق رجال العصابات) [١].

(١) Chouraqui Andre: Between East and West. A history, of the jews of North Africa; Translated French by Michal M. Bernat. The Jewish publication Society of Americca. 1986. pp. 48-49.

ويرى الباحث أن شوراكى لم يتناول الحقيقة ، فالهجرات المتتالية اليهودية تؤكد على حسن المعاملة التى صادفها اليهود من قبل الأغلبية المسلمة ، التى اتسقت مع تعالم الشريعة الإسلامية فكان لهم حريتهم الكاملة فى ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية ، كما كانوا يمارسون أنشطتهم المختلفة فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فبرز منهم عدد من الشخصيات الإدارية والدبلوماسية والسياسية والمالية والاقتصادية ، وخاصة فى عهد السلطان مولاى اسماعيل، ومحمد بن عبد الله ، والحسن الأول .

لقد عاشت الأقلية اليهودية المغربية كأقلية دينية فى المغرب دون تعصب أو تنكر لها من قبل الأكثرية ، قد قاسمت الأقلية اليهودية المغربية المجتمع المغربى عاداته وتقاليده ، وشاركوا فى عملية بناء المغرب الحديث على قدم المساواة مع أبنائه دون تمييز أو إكراه .

ومكنت الوضعية المالية لبعض أبناء هذه الأقلية من المشاركة الفعالة فى النشاط الاقتصادى والتجارى ، ولم تقتصر وضعيتهم على النشاط الاقتصادى والتجارى ، فبرز منهم رجال فى العلم والأدب والسياسة ، حيث شغلوا مناصب إدارية وسياسة هامة واستمر هذا التعامل حتى بعد قيام الحركة الصهيونية التى عملت ، وبتحالف مع سلطات الحماية الاستعمارية على إحداث شرخ فى العلاقات القائمة بين أبناء هذه الأقلية وباقى أفراد المجتمع المغربى .

إن من المعروف أن معظم الأقليات اليهودية فى العالم لا تمارس النشاط الزراعى ، حيث أن هذا النشاط يحتاج لقدر كبير من الاستقرار ، ولكن الوقائع التاريخية تؤكد أن يهود المغرب قد مارسوا الزراعة وعملوا بها حتى

النصف الأول من القرن العشرين ، ومازال بعضهم يمارسها حتى الآن . ولعل فى ذلك دليلاً على عدم تعرضهم للعذاب والتشريد كما يدعى شوراكى وغيره من دعاه الفكر الصهيونى الغربيين .

ويسوق الباحث مجموعة من كتابات بعض اليهود تؤكد على الوضعية الحسنة التى عاشها يهود المغرب فى ظل الإسلام والعروبة ، فقد كتب (باروخ نادل)[1] مقالا رد فيها على هذه المزاعم ، التى تروجها الصهيونية ، والتى يستخدم فيها بعض الكتاب الاكاديميين من اليهود الأشكناز ، قال باروخ فى مقالته : (إن لكل طائفة يهودية فى المغرب زعامة يهودية تتألف من الصفوة المثقفة ذات النفوذ فى البلاد ، وعادة مايقوم اليهود بخدمة الدولة كمستشارين ، وأطباء ، ومترجمين ، وكتاب ، ودبلوماسيين ، وصيارفة ،

وقد أفاد الأغنياء من اليهود المغاربة عن طريق نشاطهم الاقتصادى ، وعملوا أيضاً فى إدارة الملاحة ، وظهر بينهم شعراء ممتازون ، وعملوا مع المسلمين فى المؤسسات الإسلامية ، كما عمل المسلمون فى مؤسسات اليهود، وكان اليهود المغاربة مسئولين عن سك النقود ، وأشتهر (مسترا موسى) طبيب الملك الخاص ، وخلفه يوسف فالنسا - أما شموئيل هلاش فقد وقع على أول معاهدة أبرمت بين المغرب وهولندا ، وعين سفيرا مغربياً فى امستردام عام ١٦١٠م ، وكذلك هلاش وزير الخارجية والمستشار الخاص لأربعة سلاطين) .

كما كتبت صحيفة فانشيل تايمز الاسرائيلية فى ١٩٨٦/٦/٢٣ : (إن الأقلية اليهودية المغربية قد لعبت دوراً هاماً فى الحياة السياسية والاقتصادية والحضارية منذ قرون عديدة ، ولايزال حتى يومنا هذا الأمير

(١) باروخ نادل : صحيفة يديعوت أحرنوت ، تل أبيب ، ٢٢ / ٧ / ١٩٧٦

محمد أكبر أبناء الملك الحسن الثانى ، يواصل زياراته للمعبد اليهودى فى الرباط ، فى ليلة عيد الغفران ، ومازال اليهود فى المغرب يلعبون دوراً هاماً فى البلاد ، وأن رئيس الطائفة اليهودية داؤد عمار يشارك الملك فى أكبر شركة مغربية ، ويستخدم داؤد نفوذه الاقتصادى من أجل تقليص معارضة يهود الولايات المتحدة لبيع الأسلحة لبعض الدول العربية) .

أما (أ. بابا سيدى)[1] وهو من يهود المغرب فيرد على مزاعم مؤرخ آخر من مؤرخى الفكر الصهيونى وهو البيرميمى فيقول : (إن الدولة الصهيونية تستخدم منطق اللجوء إلى تغيير مركز القضايا ومحاولة تقديم العالم العربى على أنه العدو الأساسى ملقية وراء ظهرها بالشهادات القومية لتاريخ حدث، وهم يستخدمون أى الكتاب الصهاينة - طريقة التحوير والتزييف بعزل الحدث عن سياقه ، ويقدمونه وكأنه فريد ، ثم يضفون عليه دلالة لايتوفر عليها إطلاقا .

ويستطرد أ. بابا سيدى فيرد على الزعم الذى زعمه البيرميمى من وقوع مذبحة لليهود المغاربة ، ووقوع مجزرة كبيرة فى مارس عام ١٩١٢ ، وفى وجدة عام ١٩٤٨ فيقول أ. بابا سيدى: (فى عام ١٩٠٧ كان الأمر يتعلق بقضية ميناء الدار البيضاء إبان بداية الأشغال الأولى لبنائه ، ذلك أن الفرق العسكرية الفرنسية احتلت الميناء متعللة بالاضطرابات المثارة من طرف عملاء الإمبريالية ، وحاولت قبائل الشاوية بدون جدوى أن تلقى بالمحتل إلى البحر، وذلك بمهاجمة الدار البيضاء التى لم تكن فى هذا الوقت غير مدينة صغيرة . ومن المحتمل سقوط بعض الضحايا من اليهود لكنهم ليسوا وحدهم الضحايا كما لم يكونوا مطلقاً المقصودين بالهجوم . وفى عام ١٩١٢

(١) أ . بابا سيدى يهود مغاربة ، مجلة شئون فلسطينية ، بيروت ، اكتوبر ١٩٧٧ ، ص ص ١٦٤-١٦٦ .

نشبت الأحداث المؤلمة المتصلة بتوقيع معاهدة الحماية الفرنسية ، وهذه الاضطرابات الدامية شملت البلاد كلها . وخلفت ضحايا يعدون بالآلاف من صفوف المواطنين المغاربة الذين هبوا لمقاومة الغزو الفرنسى ، غير أن ميمى لا يتحدث عن ذلك ، لأنه يريد أن يبرز حالة اليهود الذين كانوا أيضاً ضحايا هذه الأحداث . والتى لم يزد عددها عن مائة شخص طبقاً للإحصائية التى نشرت بالقدس عام ١٩٧٥ تحت رعاية قسم الشبيبة الإسرائيلية . أما عن أحداث ١٩٤٨ التى تتحدث عنها الصهيونية ومؤرخها فيقول عنها أ. بابا سيدى : (لقد عشنا وتتبعنا عن قرب هذه الفترة السياسية فى المغرب ، ولم تقع أية حوادث باستثناء حادثة واحدة والتى لاتعتبر خطيرة ، فى حين منذ ذلك التاريخ أخذت اسرائيل تشوه كثيرا العلاقات بين المسلمين واليهود) .

ان التاريخ الحديث للمغرب يؤكد أن الأقلية اليهودية كانت تتمتع بكل حقوق المواطنة ، ورغم محاولة فرنسا أن توجد من اليهود المغاربة قوة جديدة تقف بين الحماية الفرنسية والأكثرية المسلمة - فإن السلطات المغربية استمرت لاتفرق بين مواطنيها على أساس الدين ، ومثال ذلك أنه فى أول خطاب للعرش المغربى ، والذى ألقاه الملك محمد الخامس فى ١٨ نوفمبر ١٩٥٥ يؤكد على هذا المعنى .

(ومن البديهى أن يهود المغرب هم كجميع المواطنين المغاربة متساوون فى الحقوق والواجبات)[1] .

وعندما كان الملك محمد الخامس سلطانا للمغرب رفض محاولات حكومية فيشى عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية باضطهاد يهود

(١) د. على إبراهيم عبده ، وخيرية قاسمية ، يهود البلدان العربية ، سلسلة دراسات فلسطينية ، بيروت ١٩٧١ ، عدد ٨٢ ، ص ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

المغرب بتطبيق القوانين النازية عليهم ، وقد نجح فى حمايتهم كمواطنين مغاربة ، الأمر الذى جعل رئيس الاتحاد الاسرائيلى - البيانس - يبعث رسالة إلى السلطان يشكره باسم جميع اليهود الفرنسيين ، لأنه أنقذ حياة الكثيرين من إخوانهم فى الدين[1] .

وعندما توفى الملك محمد الخامس عام ١٩٦١ ، بكاه الشعب المغربى ، ونظمت مسيرات ضخمة فى جميع الأماكن ، شاركت فيها الأقلية اليهودية ، التى كانت تقيم الصلوات اليهودية المعروفة باسم القاديش ، والتى تحمل علامات التأثر والحزن ، تعبيرا من المغاربة اليهود عن ارتباطهم بالملك العربى المسلم ، الذى دافع عنهم ضد حكومة فيشى ، وجعل منهم مواطنين فى بلد مستقل[2] .

وفى عام ١٩٦٠ كان عدد اليهود المغاربة ١٥٩.٥٨٠ نسمة من بين مجموع السكان فى المغرب البالغ عددهم ١١ مليون نسمة ، ولم يبق منهم فى يونيو ١٩٦٧ إلا ما يتراوح بين ٦٠ - ٧٠ ألفا منهم[3] . وفى عام ١٩٨٧ أصبح عدد الأقلية اليهودية المغربية لايزيد عن ١٥ ألف نسمة[4] .

ويرجع تناقص العدد إلى الهجرة خارج المغرب ، فقد هاجر إلى إسرائيل أربعمائة ألف ، وإلى فرنسا ثمانمائة ألف ، وإلى كندا عشرون ألفا ، وإلى إسبانيا خمسة عشر ألفا ، وإلى الولايات المتحدة أربعة آلاف ، وهاجر بضعة آلاف أخرى إلى فنزويلا وأمريكا اللاتينية[5] .

---

(١) روم لاندو : أزمة المغرب الأقصى ، ترجمة اسماعيل على وآخرون ، الانجلو المصرية ، ١٩٦١، ص ٢٣ .

(٢) شمعون ليفى : مناظرة فى التاريخ الحديث والمعاصر ليهود المغرب ، دار الستوكى ، الرباط ، ١٩٨٦ ص ٧٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٤) د . وجيه الحاج سالم وآخرون : الوجه الحقيقى للموساد ، دار الجليل ، عمان ، ١٩٨٧ ، ص ١٩٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

ويتضح من الأرقام أن هجرتهم من المغرب إلى الدول الأوروبية أكثر من هجرتهم إلى إسرائيل ، ويعنى ذلك أن أحد الأسباب الرئيسية هو الظروف الاقتصادية ومستوى الدخل المحدود للمواطن المغربى الذى دفع بالمغربى اليهودى والمغربى المسلم سواء بسواء إلى الهجرة بحثاً عن حياة وظروف معيشية أفضل .

خلاصة القول أن الأقلية اليهودية المغربية لم تعرف ذلك الغبن والاضطهاد من الحكم العربى الإسلامى بالمغرب ، ولم تشعر بالدونية والاحتقار من الشعب المغربى ، وهذا يدحض أباطيل الكتاب الصهاينة الذين يدعون هذا الادعاء .

فيهود المغرب ليسوا جنسا مختلفا عن سائر الشعب المغربى ، كما أن اليهودية التى يدينون بها ليست جنسية . وإذا كانت هذه الأقلية تدخل فى تصنيف الأقليات الدينية - باعتبارها تعتنق دينا آخر غير دين الأكثرية المسلمة المغربية - إلا أن اختلاف الدين ليس مبررا لادعاء الاستقلال الحضارى والتمايز الاجتماعى والثقافى بل أن الخصوصية الثقافية لهذه الأقلية تنصب عادة فى المجرى العام لثقافة المجتمع المغربى كله .

وإذا كانت الأقلية اليهودية المغربية قد شكلت أقلية قليلة العدد داخل المجتمع المغربى فإن ذلك لايعنى صحة مزاعم الصهيونية بأن هناك اضطهادا وتصفية لهم من قبل الحكم العربى الإسلامى فى المغرب ، لكن تفسير ذلك يرجع إلى الطبيعة غير التبشيرية للدين اليهودى .

وهناك أسباب كثيرة تدعو للاعتقاد بأن أعداد اليهود قد زادت فى المغرب بعد الفتح الإسلامى نتيجة لتحسن أوضاعهم الاجتماعية والقانونية ، فقد صار اليهود (أهل الذمة) بعد أن كانوا أقلية منبوذة تحت الحكم الرومانى .

وفيما يتعلق بالتوزيع الجغرافى والديمجرافى ليهـود المغـرب :

يعتبر يهود المغرب بالدرجة الأولى سكان المدن المغربية الكبيرة ، ثم سكان الموانى ، بعد ذلك .

ويرجع السبب إلى ذلك أن المدينة كانت ولاتزال هى مركز النشاط المالى والتجارى والمصرفى ، وحيث أن النشاط الغالب ليهود المغرب هو النشاط الاقتصادى والتجارى فقد استقروا واستوطنوا العواصم والمدن مثل فاس ومكناس ومراكش ، كما استوطنوا الموانىء مثل الرباط وسلا ، وتطوان وطنجة والعرائش واسفى ، ثم الجديدة والصويرة كما استوطنوا بعض المدن الثانوية والتى عملوا بها فى التجارة مثل صفرو وديدو وتارودانت .

ولهذه المدن جميعاً وظيفة اقتصادية مزدوجة وهى الصناعة التقليدية والتجارية .

ويمثل اليهود نسبة هامة من سكان المدن تتراوح مابين ١٠٪ إلى ٤٠٪ أو أكثر فى بعض المدن كالصويرة وصفرو ويقومون بدور واضح فى النشاط الاقتصادى .

كما سكن بعض اليهود المغرب مناطق السوس والأطلس وهؤلاء قد عملوا بالنشاط الزراعى[١] .

ويذكر ابن خوجه[٢] أن الإحصائيات التى تمت فى ١٩٤٧/٣/١ تجعلنا لانطمئن إليها كثيراً ، وكذلك التقديرات التى رواها الرحالة والإخباريون ،

(١) شمعون ليفى : مناظرة فى التاريخ الحديث والمعاصر ليهود المغرب ، مرجع سابق ، ص ص ٢٨ - ٣١ .

(٢) د . محمد الحبيب بن الخوجة : يهود المغرب العربى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ص ١٤١ - ١٥٢ .

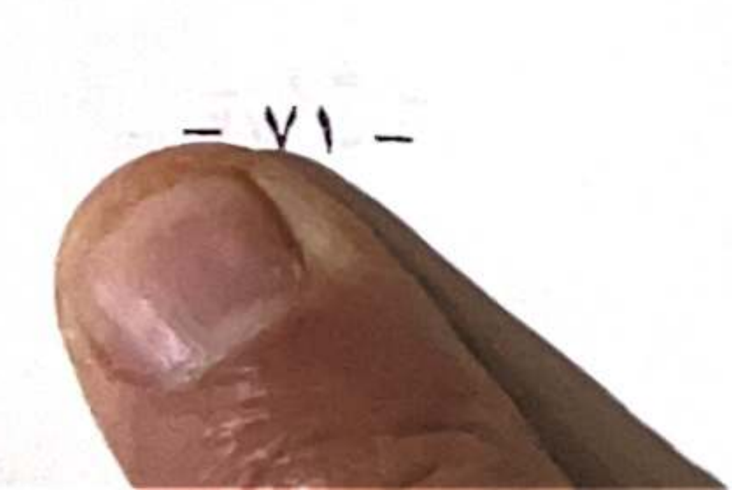
غير أن هذه الاحصائيات والتقديرات يمكن بمقارنتها ما لحق بها من احصائيات دقيقة بعد ذلك تؤدى إلى معرفة نسبة التطور فى أعداد هذه الأقلية المغربية ، فإذا كان (دى فوكولد) قد قرر عدد يهود المغرب فى عام ١٨٨٣ - ١٨٨٤ بعـدد ٧.١٩٠ أسـرة يهـودية ، وإذا كـانت المصـادر الصهيونية قد ذكرت أن عدد السكان اليهود بالمغرب عام ١٩٠٤ يبلغ ١٠٣.٧١٢ فإن الاحصائيات بعد ذلك أفادت التقديرات التالية :

جـدول (١)

السنة	عدد اليهود	عدد المسلمين
١٩٢١	٨١.٣٠٠	٣.٣٧١.٨٠٠
١٩٢٦	١٠٧.٦٠٠	٤.٨٨١.٩٠٠
١٩٣٦	١٦١.٩٠٠	٥.٨٨٠.٧٠٠
١٩٤٧	٢٠٣.٨٠٠	٨.٠٨٨.٤٠٠

أما توزيعهم جغرافياً ، فيلاحظ أن النسبة الغالبة منهم كانت فى المدن ، بينما كانت هناك نسبة أقل من القرى (البوادى)، ومجموعهم كان بالمنطقة السلطانية الخاضعة للحماية الفرنسية والتى تعرف باسم بلاد المخزن ، كانت موزعة على سبع مدن على النحو التالى :

وكانت نسبة الإناس من الذكور متقاربة ، حيث كانت جملة الذكور ١٠٢.٠٣٧ وجملة النساء ١٠١.٨٠٢ .



المدينة	عدد اليهود
الدار البيضاء	٥.٧٧١ نسمة
مراكش	٧.٥٥٣ نسمة
فاس	٢٢٤٨٤ نسمة
مكناس	٢٢٢٦٩ نسمة
الرباط	١٩٢٢٥ نسمة
وجدة	٦٨٨٤ نسمة
أغادير	٤٨٥٨ نسمة

أما الإقبال الأقلية اليهودية على سكن المدن فتحدده الإحصائيات التالية :

ففى مدينة الدار البيضاء فى ١٩٤٥/١/١ كان عدد اليهود ٥١.٨٢٧ بالملاح داخل المدينة ، وعند باب الجديد ، وباب مراكش .

وفى ١٩٤٦/١/١ كان عددهم ٥٤١٧٣ نسمة

وفى ١٩٤٧/١/١ كان عددهم ٥٦٧٤٨ نسمة

وفى ١٩٤٨/١/١ كان عددهم ٦٠٣٤٦ نسمة

وفى ١٩٤٩/١/١ كان عددهم ٦٢٩٦٨ نسمة

فالنمو كان بزيادة ١١٤١ نسمة فيما بين عام ١٩٤٥ ، ١٩٤٩ ويرجع ذلك إلى زيادة نسبة المواليد بنسبة ٣٣٪ ، ثم الهجرة إلى المدينة وأحوازها بنسبة ٦٦٪ أى بزيادة عدد من السكان لايقل عن ٧٢٤٢ وتؤكد إحصائيات عامى ١٩٤٧ ، ١٩٥٠ أن عدد اليهود ارتفع من ٦٤٩٩٠ إلى ٨٠٠٠٠ نسمة .

ويتوزع اليهود خارج مدينة الدار البيضاء بين ثلاث عشر دائرة كما يوجدون بسبتة فى تجمعات أخرى صغيرة من أهمها الشاوية وسنان وبنى ملال ومزغان وأزمور .

أما فى مدينة مراكش فقد بلغت جملة اليهود ٥٠١٠٧ منهم ٢٣٥٢٩ ذكور + ٢٦٧٧٨ أناث .

وأهم المراكز التى يوجدون بها فى هذه الولاية كالتالى :

مراكش المدينة	١٨٣١١ (٧٧١٣ ذكور + ١٠٥٩٨[1] إناث)
موقادور	٤٩٨٩ نسمة
اسفى	٤٣٩٩ نسمة
وارازازات	٣٨٠٥ نسمة
دمناط	٢٨٠٧ نسمة
أيت أوبر	٢٢٦٨ نسمة
سرادفة زمران	١٨٢٨ نسمة
أزيلان	١٦٠٥ نسمة
تاليووين	١٣٣٣ نسمة
سكورة	١٢٣٢ نسمة
أمزمز	١١٩٣ نسمة

وفى مدينة فاس بلغ عدد اليهود حسب إحصائية عام ١٩٤٧ : ٢٢٤٧٤ (١.٩١٥ ذكور + ١١٥٦٩ إناث) ، كانوا موزعين بين عشرين مركزا وبدائرة

---

(١) ترجع الزيادة فى عدد النساء إلى مكوثهن بمراكز مراكش ، ولكن لايذهبن مع أزواجهن للعمل بالدار البيضاء أو غيرها من المدن .

المدينة وحدها ١٤١٤٠ (٦٧٧٥ ذكور + ٧٣٦٥ إناث) . ومن أهم مراكز فاس تازا التى بلغ عدد اليهود بها ٢٢٨٦ نسمة .

وفى مدينة مكناس فى نفس السنة ١٩٤٧ بلغ عدد اليهود ٢٢٢٦٩ (١٠٨٠ ذكور + ١١٤٦٩ إناث) ، وكانوا موزعين بين عشرين مركزا تقريبا . ويقيم بالملاحين القديم والجديد بمدينة مكناس ١٣٦٧٠ منهم ، مع قلة صغيرة بالأحياء الأوروبية ٦٨٠١ ذكور + ٦٨٦٩ إناث .

أما بقية المجموعات خارج مدينة فاس كانت كالتالى :

أدفو ٢١٩٠ نسمة
ميدانت ١٧٥٠ نسمة
قصر الشوق ١١٨٦ نسمة
تالسنت ٧٩٤ نسمة
العرايش ٧٨١ نسمة
ريصانى ٦٧٩ نسمة
تنجداد ٣٤٠ نسمة
يودنيب ٣٣٣ نسمة

وفى مدينة الرباط بلغ عددهم ١٩٩٢٥ نسمة (١٠١٣٣ ذكور + ٩٧٩٢ إناث) موزعون بين عشرة مراكز أهمها .

سلا ٣١٥١ نسمة
وزان ٢٢٨٤ نسمة
بورت ليوفى ١٣٦٥ نسمة
مشرى بلقصيرى ٦٢٢ نسمة

وفى مدينة وجدة بلغ عددهم ٦٨٨٦ نسمة موزعة بين عشرة مراكز أهمها

مدينة وجدة ٣٦٨٠ نسمة (٢١٤١ ذكور + ١٥٣٩ إناث)
ديبدو ١٠٩٣ نسمة
وريزت ١٠٢٦ نسمة
بارفنت ٣٩٠ نسمة
بركان ٣٠١ نسمة
قصر ٢٥٨ نسمة
فقيف ١٣٨ نسمة

ويقرب من مدينة وجدة الواقعة فى الحدود الشرقية المغربية مركز تافلالت الجنوبى الصحراوى وهو بعد وحدة حسب احصائية ١٩٤٧ : ٦٥٠٧ يهودى (٢٨٩٨ ذكور + ٣٦٠٩ إناث) .

وفى مدينة أغادير بلغ عدد اليهود ٤٨٥٨ موزعين على عشرة مراكز هى :

تارودانت ١٩٥٩ نسمة (٩٨٦ ذكور + ٩٧٣ إناث)
أغادير ١٤٠٤ نسمة (٥٤٥ ذكور + ٩٥٩ إناث)
ترنت ٥٣٤ نسمة
أيداولتنيت ٣٧٢ نسمة
أترفان ٣٣١ نسمة (١٨٠ ذكور + ١٥١ إناث)
تافراود ١٧١ نسمة
بوعزقرن ١٢٣ نسمة
عكة ١٦٥ نسمة
فوليميم ٧٣ نسمة
أزقانا ٢٦ نسمة

وأما فى المنطقتين الدولية والإسبانية (بلاد السيب) فبلغ عدد اليهود ٢٥ ألف نسمة منهم ١٠٠٠٠ نسمة بطنجة ، وعدد ١٣٦٦٧ نسمة بالمدن الأخرى وعدد ٥١٩ نسمة بين الريف والبادية وتشير الإحصائية التالية إلى نسبة توزيعهم .

تطوان	٧٦٢٨ نسمة
الأعراش	٢٢٢٨ نسمة
القصر الكبير	٢١٦٠ نسمة
ناظور	٥٩٢ نسمة
أصلية	٥٧١ نسمة
سان جورجو	١٤٧ نسمة
زايو	٨٧ نسمة
بابكياز	٧٣ نسمة
قرية عركمان	٧١ نسمة
سقنفن	٤٩ نسمة
أرويت	٢٣ نسمة
ترفيست	٢٤ نسمة
وادى مارقان	٦ نسمة
زلوان	٥ نسمة
شوان	٤ نسمة

وإذا كان عدد اليهود المغاربة قد قل فى المغرب بعد عام ١٩٤٨ ، وبلغت هذه القلة الذروة ما بين عامى ١٩٦٧، ١٩٧١ إلا أن هناك ملاحظة جديرة الاعتبار وهى زيادة النسبة العددية لليهود المغاربة فى أواخر هذه الفترة . ورغم أنه لاتوجد إحصاءات رسمية بعددهم فى المملكة المغربية الآن ، وإن كان بعض مثقفى المغرب يرى أنهم تجاوزوا أضعاف هذا الرقم .

ويشير درويس بنسمون دوناط[1] إلا أن التقديرات والاحصائيات للسكان اليهود بالمغرب كانت تشوبها عدم الصحة وخاصة احصاءات ١٩٢١ - ١٩٢٧ - ١٩٣١ - ١٩٣٦ ويعتبر أن أدق المصادر هى احصاءات ١٩٥٢ ، ١٩٦٠ ، ١٩٧١ .

وأما التوزيع الجغرافى لليهود المغاربة من ١٩٥١/ ١٩٧١ :

فقد كان ثلث السكان من اليهود المغاربة تقريبا يعيش بالملاحات الصغيرة بالأطلس وتخوم الصحراء ، لكن سرعان ما تمدنت اليهودية المغربية خلال فترة الحماية ، ففى عام ١٩٧١ لم يعد هناك أثر للسكان القرويين اليهود . ويوضح الجدول الآتى نسبة القرويين إلى نسبة الحضريين .

جدول (٢) توزيع السكان اليهود المغاربة

احصاء	السكان القرويون (نسبة منوية)	السكان الحضريون (نسبة منوية)
١٩٥١	٩.٨	٩١.٢
١٩٦٠	٥.٣	٩٤.٧
١٩٧١	٠.٢	٩٩.٨

ويتضح من ذلك أن السكان اليهود المغاربة لم يتمدنوا فحسب ، بل أكثر

(١) درويسس بنسمون دوناط - اليهودية المغربية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، التحولات الديمغرافية والاجتماعية ، مطبوعات كلية الآداب العلوم الانسانية - جامعة محمد الخامس - الرباط ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٧١ - ١٧٨ .

من ذلك نجحوا بالدار البيضاء العاصمة التجارية الأولى بالمغرب . يليها الرباط ، وذلك على حساب جميع المدن الأخرى[1] .

جدول (٣) تطور التوزيع الجغرافى لليهود المغاربة

المدينة	احصاء عام ١٩٢١ (نسبة منوية)	احصاء عام ١٩٥١ (نسبة منوية)	احصاء عام ١٩٦٠ (نسبة منوية)	احصاء عام ١٩٧١ (نسبة منوية)
الدار البيضاء	٢٣.٢	٣٣.٧	٤٥	٥٤.٢
مراكش	٢٥.٢	٧.٤	٧.٧	٥
مكناس	٩	٥.٦	٦.٣	٧.٢
فاس	٩.١	٥.٧	٥.٤	٦
الرباط	٤.٩	٤.٦	٦.١	٩.٦
طنجه	-	٦.٧	٣.٨	٥.٥
المدن الأخرى	٢٨.٥	٣٦.٣	٢٥.٧	١٢.٥
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ففى عام ١٩٧١ كان ثلثا السكان اليهود المغاربة يقيمون بمدينتى الدار البيضاء والرباط ، وباستثناء مدينتى طنجة ومكناس اللتان عرفتا تزايدا سكانيا ما بين ١٩٦٠ ، ١٩٧١ فإن جميع الطوائف اليهودية الأخرى تقلصت نسبتها العددية .

(١) د. محمد الحبيب بن الخوجه : يهود البلاد العربية ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ .

جدول (٤) التركيب السنى لليهود المغاربة

الفئة	احصاء ١٩٣٦ (نسبة منوية)	احصاء ١٩٥٢ (نسبة منوية)	احصاء ١٩٦٠ (نسبة منوية)
حتى ١٩ سنة	٥٦.٢	٥٢	٥٢,٩
٢٠-٥٩ سنة	٣٩.٧	٤٢.٨	٣٩.٨
٦٠ سنة فاكبر	٥.٢	٥.٢	٧.٣
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

أما بالنسبة للتركيب النوعى لليهود المغاربة فلم تشر احصائيات ١٩٥٢، ١٩٦٠ إلى نسبة المواليد لدى السكان اليهود المغاربة ، إلا أنه من الواضح أنها كانت قوية من خلال نسبة الخصوبة اليهودية المغربية بالنسبة لمجموع السكان اليهود المغاربة[1] .

وتشير الإحصاءات أنه كان هناك تفاوت طفيف فى عدد الإناث ففى احصاء ١٩٥٢ كان نسبة الإناث ٥١٪ بالمقارنة بنسبة الذكور التى وصلت ٥٩٪ لكن المقارنة النسبية بين فئات السن والجنس للسكان تظهر تطورا بين عامى ١٩٥٢ و ١٩٦٠ وفقاً للجدول التالى :

جدول (٥)

الفئة	احصاء ١٩٣٦ (نسبة منوية)	احصاء ١٩٥٢ (نسبة منوية)	احصاء ١٩٦٠ (نسبة منوية)
حتى ١٩ سنة	٥٦.٢	٥٢	٥٢,٩
٢٠-٥٩ سنة	٣٩.٧	٤٢.٨	٣٩.٨
٦٠ سنة فاكبر	٥.٢	٥.٢	٧.٣
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

(١) المرجع السابق ص ١٥١ .

ويلاحظ أن من بين فئة أقل من عشرين سنة كان الذكور أكثر عددا من الإناث ، لكن من بين فئة ٢٠-٤٩ سنة يصبح التفاوت لصالح الإناث ، ويمكن تفسير ذلك باعتبار هجرة عدد من الرجال فى مقتبل العمر .

ومن خلال المؤشرات الديمجرافية السابقة ، يمكن أن نسجل بعض الاستنتاجات التى توضح أهم الخصائص الديمجرافية لليهود المغاربة وهى :

١ – زاد عدد اليهود المغاربة زيادة ملحوظة فى الفترة من عام ١٩٢١ – ١٩٤٧ وذلك نتيجة لزيادة الطبيعة (المواليد) . الأمر الذى يدحض أى دعاوى للكتاب الأشكناز ، بأن يهود المغرب تعرضوا دوما لنوع من الاضطهاد من قبل الأكثرية المسلمة .

٢ – النسبة الغالبة من اليهود موزعة على المدن الكبرى ، وهذا الأمر يبين أن النشاط الاقتصادى الغالب عليهم هو التجارة والصناعة ، والأعمال ذات الطبيعة المهنية ، وانخفاض عدد اليهود المغاربة فى الريف المغربى .

٣ – تناقص عدد اليهود داخل المغرب اعتبار من عام ١٩٤٨ ، وقد بلغ هذا التناقص فى الفترة مابين عام ١٩٦٧ – ١٩٧١ . ويمكن ارجاع ذلك إلى قيام اسرائيل ، وتكثيف الدعاية الصهيونية لجذب اليهود المغاربة تجاه الهجرة إلى اسرائيل عن طريق مبعوثى الوكالة اليهودية فى المغرب .

٣

الفصل الثالث

دور الأقلية اليهودية فى النسق الاجتماعى المغربى

يصنف يهود المغرب من ناحية المذاهب اليهودية بأنهم من اليهود الربانيين(*) وتنقسم هذه الأقلية إلى مجموعتين عرقيتين هما : المهجرين والإسبان ويهود المغرب الأصليين .

وتختلف المجموعتان العرقيتان أصلا ولغة ، كما يختلف مستواهما الثقافى، لكن ذلك لم يمنع من تعايشها معاً داخل البناء الاجتماعى المغربى، الذى اعتبر اليهود المغاربة بغض النظر عن كونهم من الأصليين أو المهجرين من مواطنى المغرب ، لهم حق المواطنة مثل الأكثرية المسلمة .

وقد ظل اليهود المغاربة يشكلون لبنة هامة فى البناء الاجتماعى المغربى منذ زمن طويل على امتداد تاريخ المغرب ، وخاصة المغرب العربى الإسلامى. ولم يحدث أن عاش اليهود داخل المغرب كجالية أجنبية ذات خصائص اجتماعية وثقافية متمايزة ، لكنهم عاشوا كجماعة مغربية تعتنق دينا مخالفا لدين الأكثرية ، وتشارك هذه الأكثرية فى الخصائص الثقافية والاجتماعية العامة اعتبارهم جزء من البناء الاجتماعى ، ومن ثم فهم يشكلون مع المسلمين من العرب والبربر جسدا اجتماعيا واحدا على الرغم من اختلاف دينهم .

وعلاقة اليهود بالدولة لم تأخذ مسارا خاصا ، كما أن اليهود المغاربة لم يكن لهم بناء اجتماعى مستقل ، وبالتالى لم يكن لهم أنساق تختلف عن أنساق البناء الاجتماعى المغربى ، وإذا كان هناك نظام داخلى للأقلية اليهودية المغربية فإن ذلك الأمر يبدو طبيعيا باعتبارهم جماعة مغربية تختلف فى دينها عن بقية الجماعات التى يتكون منها الشعب المغربى ، والذى لم

(*) فى هذا المذهب راجع ما سبق ذكره من اليهود الربانيين فى الفصل الثانى .

تسع هذه الأقلية إلى الانفصال عنه ، أو المطالبة بحكم ذاتى فى إطار الدولة المغربية .

وإذا كانت الدراسة تتعرض للنظام الاجتماعى الداخلى لهذه الأقلية ، فلا يعنى هذا أن هذه الأقلية منفصلة أو منعزلة بإرادتها ، أو مفروض عليها العزلة داخل الإطار المغربى كما يدعى بعض الكتاب أصحاب النزعة الصهيونية .

السمات الثقافية والاجتماعية للأقلية اليهودية فى المغرب :

أولا - مجلس الطائفة والنظام الداخلى :

يتكون مجلس الطائفة اليهودية فى المغرب من بعض الأغنياء والمثقفين من أفراد الأقلية اليهودية ، ومهمة هذا المجلس هى إدارة شئون اليهود فى أنحاء المغرب ، وهو يتكون من :

١ - الأحبار الرسميون (حخيم) والقضاة (ديانيم) وهم أصحاب المشورة والأمر فى أمور الشريعة ، والتقاليد اليهودية .

٢ - الأعيان ويختارون من ذوى الثقافة ، وهم يمثلون الأرستقراطية اليهودية ويهتمون بالمصالح العامة لأفراد الأقلية ، ويحدث أن يتغلب هؤلاء الأعيان بثروتهم وسلطتهم ، فيتسلطون على أفراد الأقلية للاستفادة الشخصية ، وهؤلاء الأعيان كانوا يلقبون بألقاب تتناسب مع مراكزهم الاجتماعية ووظائفهم التى يقومون بها مثل (روش هقهل) أى شيوخ الطائفة ، و(يجيد هقهل ويجيد سكوله) أى صفوة المجتمع .

ومن هذه الطبقة يتم اختيار أعضاء المجلس ، وهم الذين يقومون مع

غيرهم بالوظائف العامة ، ويعملون تطوعا فى أكثر الأحوال مثل إدارة المؤسسات الخيرية لليهود وإدارة المؤسسات الدينية . ومن بينهم يتم تعيين شيخ الطائفة ويطلق عليه (النكيد) وأحيانا (الناسى) .

وشيخ اليهود (النكيد) يعتبر همزة الوصل بين اليهود المغاربة والسلطات الرسمية للدولة . وهو المسئول عن تنفيذ قرارات المجلس ، ويشرف على تنفيذ الأحكام الصادرة عن المحاكم الربانية . وجرت العادة بأنه لاينال هذا المنصب إلا من أحرز تأييد السلطات المغربية ، وموافقة الأعيان والأحبار ، ويسير المجلس (المعبد) الذى يرأسه النكيد شئون الأقلية اليهودية ، التى تسمى الطائفة بواسطة مراسيم وقرارات ، وتصبح هذه المراسيم سارية المفعول بمجرد الإعلان عنها ، ويلتزم كل اليهود المغاربة باحترامها .

وشيخ اليهود يمتلك سلطة كبيرة ويتمتع بامتيازات تضعه أحيانا فوق القانون العام ، غير أنه أيضاً أول ضحية للتغيرات السياسية . وقد يتعرض لمواقف لايحسد عليها فى فترات الأزمات الشديدة ، ومن ثم فإن الأقلية اليهودية تلتزم بتعويض خسائره المادية التى يتعرض لها أثناء تأدية مهامه .

وفيما يتعلق بشخصية شيخ اليهود لدى اليهود المغاربة تلك الاخبار الشفهية التى يتناقلها اليهود المغاربة من كبار السن ، والتى تقول أنه كان فى خدمة الشيخ (صموئيل الباز) بمدينة الدار البيضاء فى بداية القرن العشرين وقبل الحماية الفرنسية مجموعة من (المخازنية) يساعدونه لاستتباب الأمن فى الملاح(●) كما يستعمل كل ما فى وسعه من حيل لمنع إسلام اليهود ، أو ليرد من أسلم منهم حديثاً ، وكان هؤلاء يعاملون بدون

(*) تنسب الكلمات التى بين القوسين إلى اللغة العبرية .

(●) الملاح هو الجيتو اليهودى فى المغرب .

شفقة أو رحمة ، وقد كان حامى الأرامل واليتامى والفقراء من اليهود المغاربة .

ويسير (المعبد) اليهودى الذى يرأسه شيخ اليهود عادة اليهود المغاربة بواسطة مراسيم وقرارات ، وتتناول هذه المراسيم والقرارات جوانب كبيرة من حياة اليهود ، ولها صبغة الصلاحية الدائمة ، غير أنه يمكن أن تكون مؤقتة ، وفى هذه الحالة تكون صلاحيتها محدودة(١) .

ثانيا - النظام الأسرى :

أ - الزواج :

يتم عقد الزواج طبقاً للتشريع الدينى اليهودى أولا ، ثم وفقا للصيغة الشعائرية ثانيا ، وهما يمثلان مظهرين لاحتفال شعائرى واحد ، يكرسان رسميا الاتحاد الشرعى والقانونى للزوجين .

ويتم الزواج بعد أن يقدم الخطيب لخطيبته بعض القطع النقدية ، أو أشياء ذات قيمة ، مثل الحلى المعدنية (الشبكة) ، ويبارك الزواج بالقدوش وهى (مباركات الخمر السبع) ، وبالصيغة الخاصة بذلك ، والتى تحددها العبارة التالية (ها أنت مباركة لى بهذا الخاتم طبقاً لشريعة موسى وإسرائيل) . ويصبح هذا الاتحاد قائما بالاتصال الزوجى ، والزواج وكذلك عقد يتضمن عددا من الإجراءات تحمى المصالح المالية للزوجة ، ويمكن أن يختار الزوجان وعائلتاهما بين مختلف أنظمة الزواج ، وهى الصداق أو النظام التقليدى وبين النظام القشتالى(*) .

(١) Zafrani Haim : Op. Cit. pp. 125 - 126

(*) سيرد شرحه بعد قليل

وتحدد الكتوبة (عقد الزواج) ، مبلغ المهر الشرعى ، الذى يضاف إليه المقدم وحصة الزوجة (المؤخر) إذا ما توفى الزوج أو حدث طلاق ، فإن مجموع المبلغ المسجل فى الكتوبة يعود إلى المرأة ، ويمكن حسب بنود الكتوبة ، وعلى ضوء كل الانظمة التقليدية أو القشتالية أن تضاف باتفاق مشترك بعض التغييرات العامة على شكل بنود تهدف إلى حماية أفضل لمصالح الزوجة ، ويحدث أن يحرر المعنيون بالأمر بالإضافة إلى عقد الزواج اليهودى (الكتوبة) عقدا يسمى بالصداق يقدمة الزوج لزوجته ، ويبرم أمام قضاء إسلامى مكون من قاضى وشاهدى عدل ، أو من هذين الأخرين وهذا النظام التقليدى هو التشريع المتبع على كل اليهود ، وهو يرتكز على التشريع التلمودى القديم الذى تكيف مع الأعراف المحلية .

نظام الزواج القشتالى :

يعطى النظام القشتالى الذى جاء مع يهود الأندلس وضعا أفضل للمرأة والطفل داخل الأسرة ، وهو يختلف عن نظام الزواج التقليدى التلمودى ، فهو يعطى مساواة قانونية عند فسخ الزواج بسبب وفاة أحد الزوجين من جهة ، كما أنه يحرم تعدد الزوجات من جهة أخرى . وتطبق القواعد التى تحكم المساواة فى الحقوق أثناء توزيع الإرث عند وفاة أحد الزوجين ، ويتم اللجوء إلى تصفية التركة ، وهى عملية معقدة وتتطلب تدخل السلطات الربية (الدينية) وذلك لحصر الأملاك والأموال فى نفس يوم الوفاة ، وإجراء القسمة طبقاً للأحكام والمراسيم القشتالية .

الزواج الأحادى والثنائى وتعدد الزوجات :

يسمح التشريع التلمودى بتعدد الزوجات فى حدود معينة ، غير أن عائلة الزوجة كانت دائما تعمل للحصول على ضمانات تمنع الزوج من التزوج

بامرأة ثانية ، وكثيراً ما كانوا يكتبون فى الكتوبة البند الذى يمنع الزوج من التزوج من إمرأة ثانية ، مالم يحصل على موافقة سابقة من زوجته الأولى . وحقيقة الأمر أن تعدد الزوجات كان مقصورا على حالات معينة مثل كون الزوجة الأولى عاقرا ، أو عندما تدعو الضرورة إلى إحترام الوصية الخاصة (الليفرا) ، وهى التزام يفرضه الدين اليهودى على كل أخ توفى أخوه بحيث تلزمه بتزويج الأرملة التى لم تنجب من أخيه المتوفى حتى يضمن لهذا الأخير دوام النسل .

وقد جعلت المراسيم القشتالية من البند المانع للتعدد بندا إجباريا ، وأصبح هذا التشريع سارى المفعول ، فاختفى نظام تعدد الزوجات ، غير أن التشريع تعرض فيما بعد لمعارضة اليهود المغاربة الأصليين ، الذين ظلوا أوفياء للنظام التقليدى . وصدر تشريع جديد يسمح باتخاذ زوجة ثانية فى حالة عدم إنجاب ولد ذكر . وقد أدت معارضة الأحبار تجاه تعدد الزوجات إلى تدخل السلطات الحكومية بإيعاز من بعض الأعيان اليهود ذوى النفوذ ، الذين اتهموا الأحبار بانتهاك حرمة التشريع التلمودى ، فصدر مرسوم من السلطات يسمح لليهود بأن يتزوج أكثر من زوجة . وقد هددت الزوجات اليهوديات اللائى تزوج أزواجهن بالخروج عن الديانة اليهودية . وبعد فترة من الخلافات بين الفريقين المؤيد للتعدد والمنادى بأحادية الزوجات ، صدر تشريع يحدد الظروف التى تسمح للزوج بالزواج بزوجة أخرى وحددت فى التالى :

١ – فى حالة عقم الزوجة الأولى .

٢ – ضمان ممارسة زواج السلفة(*) .

(*) زواج السلفة : إذا مات زوج عن زوجته دون أن ينجب أطفالا ، فإن أخاه الشقيق أو أخاه من أبيه يتزوج ولا تحل لغيره مادام حيا إلا إذا تبرأ منها

٣ – إذا وجد الزوج بعيداً عن زوجته ، وكان يصعب عليه الاتصال بها لأسباب قاهرة .

٤ – إذا كانت الزوجة الأولى مريضة بما يصعب معه إقامة علاقات زوجية طبيعية .

غير أن الملاحظ الآن أن اليهود المغاربة لا يتزوجون بأكثر من زوجة واحدة ، ويرجع ذلك إلى اعتبارات اقتصادية من جانب ، وإلى احتكاكهم بالحضارة الأوروبية من جانب آخر .

وإذا كان الحديث هنا بصدد الزواج داخل الأقلية اليهودية المغربية فإن الباحث قد لاحظ فى بعض المدن الكبرى مثل الدار البيضاء أن بعض الأسر المسلمة لا تمانع على الإطلاق فى أن يتزوج أحد أبنائها بفتاة يهودية ، وإن كانت معظم هذه الأسر تفضل أن تعلن الفتاة اليهودية إسلامها قبل الزواج . وفى حالة بقائها على ديانتها اليهودية ، فإنها أيضاً لاتجد نوعا من القطيعة من أسرة الزوج المسلم ، فقط يؤكدون على أهمية أن ينشأ الأبناء على الدين الإسلامى . كما لاحظ الباحث أن بعض الأسر المسلمة أيضاً لا تمانع فى أن يتزوج يهودى أعلن إسلامه بإحدى بنات هذه الأسرة المسلمة. وقد ناقش الباحث هذا الأمر وكانت الإجابة إذا كان الإسلام يبيح ذلك فكيف نحرمه نحن ؟

ويختلف معدل سن الزواج بين الشباب اليهودى المغربى ، فقد كان سن الزواج بين اليهود الذين يعملون بالزراعة هو ثمانية عشر عاماً ، ولكن الأمر يختلف داخل المدن الكبرى حيث يلاحظ إرتفاع سن الزواج بين الشباب

(**) لقاء مع د . ضريف محمد بمنزله بالمدينة القديمة – بالدار البيضاء يوم ١١/٩/١٩٩٠ .

اليهودى المغربى ، وخاصة بين أصحاب المهن المتخصصة كالأطباء والمحامين والصيادلة .

احتفالات الزواج :

وفيما يتعلق باحتفالات وطقوس الزواج فإنها تبدأ احتفالات الزواج فى السبت الثانى ليوم الزواج الحقيقى ، والذى يتم فى يوم الأربعاء ، ويسمى هذا السبت بسبت (الرشيم) أى سبت الإشهار ، ويعين الخطيب أسماء رفاقه وأصدقائه .

وفى الخميس التالى يبدأ الاحتفال بكسر بيضة على رأس الخطيبة ، حيث يسيل السائل على شعرها المسدل ، وتبلل الحاضرات أيديهن واحدة بعد الأخرى فى إناء من الحناء ، ويضعن الحناء بعد ذلك على رأس العروس، حيث يشد الشعر ، فيما بعد ، بقماش من القطن الذى يجب الاحتفاظ به إلى يوم الثلاثاء ، وهو يوم أستحمام العروس ، ووضعها للحناء على يديها وقدميها ، ثم يكون يوم السبت ويسمى (أيلان) ، وهو يوم يتميز باجماع العروسين وأصدقائهم من الذين لم يسبق لهم الزواج ويتم فى يوم الاثنين التالى تحرير عقد الزواج (الكتوبة) . تشمل الكتوبة عقد النكاح الذى يسلمه الخطيب بيده لخطيبته ، ويحتفظ به والد العروس وتنورة محلية من نفس اللون ومزخرفة بأزرار ذهبية وصدار مخملى وأخضر مزين باشارات مذهبة ، وحزام عريض ، ومقوى من المخمل المطرز بالذهب ، وبلغة مطرزة بالذهب وأكمام واسعة من الحرير المطرز ، وأكليل مثقل بالجواهر ، وقطع الذهب عند الأغنياء أو تقليد لهذه المجوهرات عند الفقراء . لكن دائماً يلاحظ أن هذه الأشياء ليست بالضرورة ملكا للعروس ، لكنها يمكن أن تقترضها من جيرانها أو أصدقائها . وتضع العروس وشاحا من الحرير يشد الشعر ،

وخمارا من الحرير الأبيض أو الأخضر يغطى بحجاب شفاف أبيض يدلى على الوجه .

وتجدد (الكتوبة) على قطعة جديدة من الجلد يزخرفها صانع يهودى موهوب ، وهى صورة من صور الفن اليهودى ، ويقرأها أحد رجال الدين أو أحد كبار السن من أسرة العروس علانية ، ويتلو أحد رجال الدين البركات السبع ، ويشرب العريس الخمر المبارك ، ويقدم للعروس كأسه لتشرب منه أيضاً ، ثم يقوم بكسر الكاس من أجل تذكير اليهود المتواجدين بخراب هيكل سليمان ، وبعد ذلك تحمل العروس فى موكب إلى مسكنها الجديد لتقضى فيه ليلتها الأولى ، ويطلق عليها ليلة الراحة . ويصوم العريس ولا يفطر إلا فى المساء ، حيث يتناول وجبة شعائرية يتقاسمها مع زوجته ويعتبر الصباح الأول يوما هاماً فى حياة الزوجين ، وذلك بعد أن يتأكد الزوج من عذرية زوجته وفى هذا الصباح يتلقى الزوجان الهدايا من الأقارب والأصدقاء ، وتستمر مواسم الزواج ، وهى دائما مصحوبة بالاحتفالات فى الأيام التالية (سبت العروس) ، ونهار الربطة ، وفيه يشد الرجل بالحزام المضمة* ويطأ قدمها ، ويوم الأربعاء (نهار الحوت) وهو اليوم السابع للزواج يمثل يوم الخروج الأول للعريس حيث يذهب إلى الحدائق المجاورة بعد صلاة الصباح ، مع جوقة من فتيان الشرف وعائلته وأصدقائه ، ويعتبر مساء هذا اليوم له دلالة كبرى إذ تقدم فيه للعروسين سمكتان ، ومن ينتهى منهما قبل الآخر من تقطيع سمكته هو الذى يفرض إرادته فى تدبير شئون المنزل . ولكن هذا الاختيار لا يخلو من بعض التحايل مراعاة للحساسيات المشروعة لكل واحد من الزوجين . وفى مساء هذا اليوم تنتهى مراسم الزواج ونهاية

* المضمة : لفظ فى اللهجة العامية المغربية يعنى الحزام .

فترة الاحتفالات التى رافقته ثم يعلن العروسان قبولهما للشروط المسجلة فى الكتوبة .

ويحدد مقدار الكتوبة حسب وثيقة دينية يهودية صدرت فى عام ١٤٩٧ بمقدار عشرين أوقية من الفضة على الأقل علاوة على المهر الشرعى . وليس بهذا القدر حد أقصى وهو يزيد تبعا لثروة العريس ، وما تشترطه العروس وعائلتها . ويكون احتفال تحرير الكتوبة مصحوبا بالذبيحة ، وتقدم غالبا البقرة التقليدية فى موكب كبير داخل صحن الدار وتكون مزينة بالأشرطة والورود ، وتذبح حسب الشريعة اليهودية ، ويقدم لحمها بعد طهيه فى عدد من الأوانى للضيوف .

ويتم حمام العروس الذى يمثل الشعيرة الرئيسية للطهارة يوم الثلاثاء بعد الظهر ، وكان أيضاً الاستحمام بعد ذلك فى صهريج الجماعة المخصص لهذا النوع من الاغتسال فى الملاح والذى لم يعد قائماً الآن فى المغرب .

وتفتح مراسم احتفال الزواج فى يوم الأربعاء بالبركات السبع ، وتلاوة عقد النكاح جهريا ، وفى هذا اليوم تلتحق الزوجة ببيت الزوجية ، ولكى لا يكون الزواج لاغيا لابد أن يتم الاحتفال بحضور عشرة من البالغين يشترط حضورهم عقد الزواج ، وهو نفس العدد اللازم لصلاة الجماعة ويلتزم أن يكون بينهم أحد رجال الدين اليهودى أو أحد أعضاء مجلس الطائفة ، وإذا تزوج الرجل بحضور شاهدين فقط تفرض عليه غرامة يترك تقديرها لشيخ الطائفة ، وإذا تزوج الرجل بحضور شاهدين فقط تفرض عليه غرامة يترك تقديرها لشيخ الطائفة ، والحاخام الأكبر وللقضاة ، ويسجن أياما إلى أن يوافق على الإدلاء بعقد الطلاق للزوجة ، وإذا وافق والد الفتاة على تزويج ابنته له فإن عليه على الأقل القيام بإجراءات الطلاق الشرعى ، قبل زواجه

من جديد مراعيا احترامه للشرع ، وتتخذ إجراءات كذلك ضد الشاهدين ، ولم تتوقف المحاكم الربيية فى المغرب عن إدانة هذا النوع من الزواج .

وبعد حمام التطهير (طبلية) يرتدى العريس ملابس الاحتفال ، وهى لباس محلى يتكون من سروال عريض مطرزة ومزينة بأزرار من الحرير ، وسترة طويلة من الجوخ مشدودة على الخصر بحزام من الحرير ، وتجلس العروس على كرسى الزوجية ويسمى (تالامون) وهى مشتقة من الأسبانية (Talmo) وتعنى أريكة ، وهذا عرف حمله اليهود معهم من الأندلس ، وتكون العروس معطرة ومزينة بالذهب والأحجار الكريمة ، متألقة فى كسوتها ، ويطلق على هذا اللباس الفاخر للعروس (الكسوة الكبيرة) ، والتى تتكون قطعها من صدرية مخملية مطرزة بالذهب والباحث عند زيارته للمغرب قد إلتقى ببعض اليهود المغاربة فى مدينة أجادير بحديقة الطيور(*) ، واستفسر منهم عن احتفالات الزواج التقليدية هذه ، فأخبروه بأن هذه المراسيم الاحتفالية لايقبل عليها الشباب الآن لأنها مكلفة ولا تتناسب مع التطور الاجتماعى الذى حدث للشباب اليهودى المغربى ، وأوضحوا أنه يكتفى بعقد الكتوبة وفقاً للشريعة اليهودية الربابية ، وأن العروسين يقضيان بعد ذلك بعض أيام فى أحد الفنادق أو يسافران للخارج ، وخاصة فرنسا أو أسبانيا .

وتحدث أحد هؤلاء الشباب وهو يعمل مدرسا بالمدرسة الاسرائيلية بالمدينة أن احتفالات الزواج التقليدية تكاد تندثر فى المغرب سواء بين المسلمين أو اليهود ، وذلك نتيجة التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التى جعلت الشباب ينفر من مثل هذه الاحتفالات المكلفة .

(*) يعمل مدرسا بالمدرسة الإسرائيلية بأجادير ورفض ذكر اسمه ، هذا وقد زار الباحث مدينة أجادير فى افقترة من ٩/١٦ إلى ١٩٩٠/٩/١٩ .

ثالثا - الطــلاق :

أما عن الطلاق عند اليهود المغاربة فهو غير مرغوب فيه وقد ظلت محاولات الحاخامات عبر العصور تعمل على الحد من ممارسة هذا الحق الخاص بالزواج ، والذى يعطيه له بوضوح التشريع الربى اليهودى .

وتنحصر الأسباب التى تؤدى إلى الطلاق فى التالى :

١ - الزنا حيث تصبح المرأة محرمة على زوجها الذى عليه أن يسلمها عقد الطلاق (كيت) وتصبح محرمة كذلك على العاشق الذى تفرض عليه غرامة ، بالإضافة إلى أنه يصبح معرضا إلى النبذ من الديانة اليهودية إذا ما إتصل بها من جديد .

٢ - الامتناع عن المعاشرة وهو السبب الثانى للطلاق ، وله عدة مظاهر منها رفض الزوجة للعلاقة الجنسية أو مغادرتها لبيت الزوجة ، وإذا كان الزوج هو المتهم برفض المعاشرة فإن السلطة الشرعية تقضى لغير صالحه بالطلاق ، ويجب عليه أن يسلمها عقد الطلاق وأن يؤدى مجموع ما عليه من حقوق حسب اتفاقات (الكتوبة) (وعقد النكاح) .

٣ - إذا كانت الزوجة عاقرا يكون للزوج الحق فى طلاقها ، وكذلك من حق الزوجة أن تطلب الطلاق فى حالة إصابة الزوج بعجز جنسى .

٤ - إذا أعتنق الزوج أو الزوجة الدين الإسلامى ، فإن الطرف الذى أعتنق الإسلام يعتبر ميتا بالنسبة لأسرته ، ومن حق الطرف الآخر أن يتزوج دون أن تكون عليه أى التزامات مادية أو أدبية للطرف الذى إرتد عن الديانة اليهودية(١) .

(١) Zafrani Haim : op. cit. pp. 91 - 93

رابعـا - الميـــلاد :

تتيح مناسبات الولادة والختان والفطام عند اليهود المغاربة فرصة لإقامة احتفالات تشارك فيها الأسر اليهودية الأخرى ، وتعد هذه الاحتفالات مناسبة توفيقية حيث يلتقى السحر بالدين ، وخاصة عندما يتعلق الأمر ببعض التقاليد والشعائر ذات الطابع المغربى والمشترك بين المسلمين واليهود المغاربة[1] .

والولد فى المجتمع المغربى مرغوب فيه، ومن حسن الحظ عند اليهودى المغربى إذا ولد له طفل ذكر ، فإن ذلك يملأ حياة الأسرة بهجة وفرحاً ، ويدعى الأصدقاء والجيران يهود ومسلمين للاحتفالات ، ويقرأ جزء من الكتاب باللغة العبرية ، ويعلق على سرير المولود كيس صغير به نوع من العطر والزعتر ، وتقضى الأسرة ليلة الميلاد فى ترديد الأناشيد ، ويبدأ عند منتصف الليل غلق جميع أبواب المنزل ، ويستمر كل ذلك لمدة أسبوع مع ممارسة بعض أنواع الكتابات السحرية والتعاويذ والأحجبة التى تحفظ الطفل المولود ، ثم يتم ختان الطفل فى اليوم السابع ، ويقوم الأب بخدش حوائط الحجرة بالسيف من جميع الجوانب للقضاء وإبعاد الأرواح الشريرة، وبعد ذلك يرش الطفل بالملح ، ويوضع أسفل وسادة الأم لحمايتها من الشيطان ، وتبدل السكين التى رش بها الملح ، والتى سبق وأن ختن بها الطفل بحدوة حصان توضع أسفل المولود ويوضع البخور على الجوانب الأربعة من المنزل[2] .

(١)
op. cit, p. 48

(٢) Chouraqui Andre: Between East and west, a History of the jews of North Africa, jewish Publication Socity of America. Philadephia 1986.

وعندما يكون المولود بنتا فإنها تستقبل عادة بفتور وتتم التهانى بعبارة المباركة سعيدة .

وإذا عسرت الولادة ، يبدأ الرجال فى ترتيل الأدعية والصلوات ، وإذا طالت الآلام فإنهم يتوسلون لتخفيفها بترتيل (العقيدة) وهى قصيدة ترتل فى الفترات الشديدة ورأس السنة ويوم الغفران[1] .

خامسـا - الوفـاة :

عندما تأتى ساعة خروج (الروح) يعترف المحتضر بآثامه شفهيا (تمتمة على الشفاة) أو فى قلبه ، دون حضور النساء والأطفال ، وبعدها يودع الحاضرون المحتضر ثم يبوح بآخر الرغبات ، ويبارك الأطفال ، وبعد أن يغسلوا يديه ينطق بالدعاء المتداول وينطق بالشهادة (إلا له الخالد حق ونور أنه حق ، وموسى نبيه حق ، وأقوال الحكماء حق تبارك عزة الله وملكوته أبد الأبدين) .

ويعتبر المحتضر حيا فى كل الأحوال ، ويسهر الأحبار فى انتظار لحظة النفس الأخير فهم أصحاب خبرة وتجربة ، وهم الذين يقرون اللحظة التى ينبغى أن ينطق فيها بالشهادة (اسمع يا اسرائيل الخالد ربنا لا إله إلا هو)[2] .

ويغلق الولد البكر عينى أبيه المتوفى . ثم يجرد الميت من ملابسه ويوضع عريانا على الأرض ويغطى بإزار ، وتغطى المرايا إذا كانت موجودة أو تقلب

(١) Zafrani Hain: op. cit, p. 50

(٢) توجد عبارات عديدة فى العهد القديم تدل على أن اليهود قد تصوروا الموت ضربا من العودة إلى الأسلاف والانضمام اليهم ، ثم أصبحت فكرة البعث بعد ذلك فكرة أساسية لصيقة بفكرة الموت راجع د. عبد الوهاب محمد المسيرى وسون حسين . مرجع سابق ، ص ٣٨٥ .

فقط ، وتتلى صلوات التوبة والمغفرة بينما يكون بعض الأحبار بحضور مراسيم الدفن ، أما الآخرين القائمين حوله يبقون بجانب الميت فى دائرة ضيقة ، ابتداء من اللحظة التى أسلم فيها الروح ، إلى أن يوارى فى اللحد ويرددون بعض الأدعية بهدف إبعاد الأرواح الشريرة التى تطوف حول الجثة

وتعد المقبرة مكانا مقدسا ، وتحمل تسمية تضاد تفاؤلية هى (بيت هاحاييم) أى (بيت الأحياء) ويخصص مقابر أخرى لرجال الدين وصفوة اليهود المغاربة ، كما تخصص مقبرة أخرى للمنبوذين والمنتحرين والعاهرات. ويدفن المنبوذ على عجل دون أدنى احتفال .

وتوضع جثة الرجل بعد تغسيله فى كفن مغطى بإزار أسود أو جلباب كان يلبسه المتوفى ويحمله الحاخامون فوق أكتافهم إلى المقبرة ، وتكون رأسه فى المقدمة عند خروجه من المنزل ويتبعه الأقارب والأصدقاء ، وكل شخص يهودى يشاهد النعش عليه أن يسير خلفه . ولا يسمح بمصاحبة النساء لموكب الجنازة حيث يعتقد اليهود أن ملاك الموت يحب مصاحبة النساء لموكب الجنازة ومن ثم يغرى الرجال بالنظر ناحيته .

وتقدم أسرة المتوفى بعد العودة إلى المنزل أول وجبة من البيض النيء والزيتون الأسود ، يتناولها كل الحاضرين وهم يبكون ويتبادلون العزاء ، ويتخلل ذلك نواح النساء ، وتتلقى أسرة المتوفى من الرجال التعازى بالعبارات التالية (العلى القدير سيعزيكم من بين كل الذين يحملون عزاء صهيونى أورشليم وهذا نصيبكم وفى أرض أورشليم تعزون) .

---

(١) د . قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، دار الفكر والدراسات القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٢

(٢) بنيامين التطيلى : رحلة بنيامين ، ترجمة عزرا حداد بغداد ، ١٣٨٤هـ ، ملحق ١ ، ص ١٩٢

وتنقسم فترة الحداد إلى ثلاث مراحل متتالية ، تدوم المرحلة الأولى سبعة أيام ، والثانية ثلاثين يوما ، والثالثة سبعة أو تسعة أو أحد شهرا حسب العادة الجارى بها العمل لدى الأسرة أو حسب الانتماء الاجتماعى أو مكانة المتوفى .

والحداد الأكبر هو الأيام السبعة الأولى التى تلى الوفاة ، وهى فترة من الانعزال تتميز بعدد كبير من المحرمات والمحظورات وتمنع ممارسة أعمال المهن التجارية أو اليدوية والاغتسال وانتعال الأحذية فتترك الأرجل حافية أو تنعل بحذاء قماشى ، كما تحرم العلاقات الجنسية ولا يؤكل اللحم ولا تشرب الخمر .

ويجلس كل من يحمل الحداد فى الزاوية اليسرى لغرفة الميت على فراش أو سجاد على الأرض ، ويطبق على رأسه قب جلبابه الأسود ، بل لا ينبغى له أن يتبادل كلمات التحية مع الزائرين ، ولا يتلفظ حتى بكلمة (شلوم) (سلام) ، ولا يجوز له أن يقص شعر لحيته أو رأسه أو أن يغادر البيت أبدا إلا فى حالة الذهاب إلى البيعة يوم السبت أو إلى المقبرة .

وتعتبر الزيارات إلى المقبرة أثناء الأيام السبعة التى تلى الوفاة عرف من الأعراف التى أخذها اليهود من المغاربة المسلمون ، وقد اكتسب هذا العرف قوة القانون ويطبقه اليهود المغاربة حرفيا ، كما هو الشأن بالنسبة لجيرانهم المسلمين ويوزع اليهود فيه الصدقات مثل المسلمين .

وتقام فى اليوم التالى بعد زيارة المقبرة مراسم اختتام فترة الحداد السبعة والتى تصحب بطقوس الطهارة (اغتسال واستحمام شعائرى)[١] .

---

(١) Zafram, Haim : op. cit, pp. 95 - 18

سادساً - الملابس :

الملابس التقليدية اليهود المغاربة هى نفس الملابس التقليدية التى يرتديها المسلمون المغاربة سواء العرب أو الأمازيغ (البربر) ولكنها تختلف فى الـ... فجلباب اليهودى أسود ، وكذلك طربوشه يتميز بلونه الأسود وبقصره وضيقه ، وتجده دائما على مؤخرة الرأس ، وذلك عكس المسلم العربى الذى عادة يكون لون طربوشه أحمر اللون .

وملابس اليهودى المغربى التقليدية تتكون من :

١ - الجلباب وهو الرداء الخارجي ويمتاز بغطاء للرأس متصل به ما يسمى قب والجلباب لونه أسود .

٢ - كسوة المحصور وهو نوع من (الصديرى البلدى) ويسمى أيضا البدلية .

٣ - قميص من الكتان بدلاً من الفانلة .

٤ - وقد يلبس الرجل فوق كتفه الجلباب المصنوع من الصوف أو القصب والحرير (السلهام) فى المناسبات والأعياد والسلهام نوع من العباءة ليس له كم .

٥ - السروال ويشبه السروال الإسكندرى .

٦ - طربوش أسود يتسم بالقصر والضيق .

أما ملابس المرأة اليهودية فهى لاتختلف عن ملابس النساء المسلمات إلا أن المرأة المسلمة تضع نوعاً من العصابة أو المنديل على رأسها ، واليهودية تضع هذا المنديل أو العصابة على كتفيها مثل (الشال) .

أما عن الجسد فنجد الملابس هى :

١ - التمتيمة وهى نوع من القميص النسائى يصنع من الحرير .

٢ - السروال ويصل إلى الركبة .

٣ - القفطان وهو نوع من الفستان يصنع من البروكاز .

٤ - الضمة وهو (حزام) يصنع من الذهب أو الفضة أو الحرير .

٥ - الجلباب ويلبس فوق القفطان ويمتاز بفتحة فى الصدر .

٦ - الشربيل وهو نوع من البلغة ، مطرز بطريقة تسمى الطرز الصقلى .

٧ - الطفاشير وهى الجوارب[1] .

ولعل دراسة الزى التقليدى المغربى ، يوضح أن التشابه فى الزى بين اليهود المغاربة والمسلمين المغاربة يؤكد التسامح بين الأكثرية والأقلية ، وتكيف الأقلية اليهودية مع الخصوصية الثقافية العامة للشعب المغربى رغم احتفاظهم بخصوصيتهم الثقافية الخاصة بهم .

سابعاً - الأعياد :

العيد الأول عند اليهود المغاربة هو (عيد الفصح) والثانى هو العيد المسمى (أسابيع شفعوت) ، ويرى اليهود أنه يصادف التاريخ الذى كان فترة نزول التوراة على طور سيناء ، والثالث هو عيد (سكوت) (الخيام) وتخلد هذه الأعياد الفصول الثلاثة : الربيع والصيف والخريف ، كما تخلد ثلاث فترات رئيسية فى التقويم الزراعى ، وقد أصبح لهذه الأعياد دلائل دينية دون أن تنسى ما كانت تخلده من مناسبات تاريخية .

يضاف إلى ذلك البعد الفلكلورى الذى اصطبغت به حيث يبرز العرف

---

(١) حسن محمد جوهر وآخرون : المغرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ص ٦١ - ٦٤ .

المحلى المغربى ، والمتخيل الاجتماعى ليهود المغرب ، وخصوصية المكان وهى جميعا قد ميزت هذه الأعياد الثلاثة بطابع خاص سوف يتم التعرض هنا لأهمها .

أ - عيـــد الفصـــح :

يحتفل بذكرى الفصح اليهودى فى يومى ١٤، ٢٢ أبريل أى مدة ثمانية أيام ، ويعد لهذا العيد عند اليهود المغاربة قبل موعد هذا العيد بفترة طويلة فهو يبدأ إعداده منذ الصيف عند جمع القمح الخاص بصنع الفطائر والذى يجمع جمعا مراقبا خاصة ويحفظ بعناية بعيدا عن الرطوبة ويكثف هذا الإعداد عندما يتبقى للفصح حوالى ثلاثين يوما ويعد صنع الفطائر (الرغايف) كما تسمى باللغة المتداولة - فى حد ذاته عملية معقدة إذ تفحص النساء والأطفال القمح حبة حبة فى الغربال ، وتنظف المطحنة والفرن حسب الطريقة الدينية ، كما يفتح الماء فى غروب الشمس ، ويحفظ فى أوانى فخارية مغطاة بنسيج دقيق ويراقب العجين مراقبة دقيقة ، ثم تنضج الفطائر مباشرة قبل أن تظهر عليها أى علامات للتخمر .

ويلزم التقيد تقيدا شديداً من جهة أخرى ، بعدد هائل من القواعد والأوامر التى حددتها الشريعة اليهودية ، وكذلك الأعراف والعادات اليهودية المغربية ، فالجدران مطلية والأبواب والنوافذ مغسولة ، وأدوات المطبخ مطهرة فى النار أو الماء الساخن ، ويمر الكل بدقة شديدة حسب شريعة الطهارة (الكشير) فى لغة يهود المغرب ، قبل حلول الفصح الذى يستقبل بلباس جديد فى اللحظة الاحتفالية من الليلة الأولى [١] .

وتعتبر الليلة الأولى لعيد الفصح ليلة (السدر) هى الفترة المهمة واللحظة

(١) Zafram, Haim : op. cit. pp. 224-228

الطقوسية المفضلة ، والتى تكرس تبعاً لتقليد خاص وهو إحياء ذكرى حدث رئيسى فى التاريخ اليهودى ، وهو خروجهم من مصر ، وتحرير اليهود من طغيان الفرعون . ويتم ذلك الاحتفال بقراءة (الهكدة) أى قصة خروجهم من مصر ، ثم قراءة (السدر) وهو مجموع الأربعة عشر طقسا المتعلقة بليلة الفصح ، وترتب حسب تقليد صيغ فى أعراف الشريعة اليهودية . وتكون قراءة (الهكدة) الطقس الخامس منها ، وهو الذى يهيمن على معظم الاحتفال .

ويبدأ نص الهكدة كالتالى : مسرعون خرجنا من مصر (وقد جرت العادة أثناء هذه الجملة بإدارة طبق السدر على رؤوس الحاضرين بعد أن يضعوا فيه وضعا خاصا الفطير والعشب المر وعظم خروف ويمثلون مشهد الخروج السريع من مصر ، حيث يغادر الرجال دورهم وعلى أكتافهم عصا ربطت بآخرها صرة ، ثم يصيحون (هكذا خرج أجدادنا من مصر)[١] .

وجرت العادة فى المغرب أن يقوم اليهود أثناء الشعيرة الرابعة والتى يشق فيها إحدى الفطائر الثلاث الموجودة على طبق السدر أن يتلى بالعربية دون غيرها النص التالى الذى يصف أنغلاق مياه البحر الأحمر وهو :

(هكذا خلق الله البحر اثنى عشر مسلكا ، عندما خرج أجدادنا من مصر تحت قيادة موسى نسل إبراهام ، عندما أنقذهم وخلصهم من الأعمال الشاقة وحررهم ، وهكذا سينقذنا ويخلصنا من النفى حبا فى إسمه الجليل). وينهى تلاوة هذا النص بالقرة التالية :

(العام المستقبل موعدنا بالقدس)[٢] .

(١) د . حسن ظاظا : أبحاث فى الفكر اليهودى . دار القلم ، دمشق ، ١٩٧٨ ، ص ص ١٠٥ - ١٠٩ .

(٢) Ibid . p. 48

وقد بذل الأحبار اليهود فى المغرب جهدا لتبنى هذا الاحتفال ، والذى يتضح فيه التعاليم التلمودية بجانب النصوص التوراتية ، الذى احتفظ به اليهود المغاربة ونقلوه معهم إلى أماكنهم الجديدة فى فرنسا وكندا وأمريكا الجنوبية[1] ، بل لقد أصبح عيدا وطنيا لليهود الأشكناز داخل اسرائيل .

ب : عيد الحظ (البوريم) :

يخلد هذا الاحتفال فى اليوم الرابع عشرين من شهر مارس ، واقعة جاء ذكرها فى التوراة فى سفر استير ، وهى قصة الملكة استير زوجة اسوريوس ، وأبيها مردخاى اللذين أنقذا اليهود من مؤامرة دبرها هامان مشير الملك ، قبل خمسة وعشرين قرنا[2] .

وتفتتح الاحتفالات بهذا العيد فى يوم السبت السابق عليه ، وهو يوم السبت المسمى (شبت ذخور) أى سبت الذكرى بطقس خاص يتلى فيه قصيدة لشاعر أندلسى عاش فى العصر الوسيط ، وهى قطعة من الشعر الحماسى جرت العادة على أن تقرأها الأقلية اليهودية المغربية فى صلاة الصباح فى لغتها العبرية أو باللغة العربية ، وتبدأ بتعظيم إله اليهود الذى خلصهم من كل مفتر عليهم ، وتصدى لأعدائهم وقطعهم أربا .

وقد أصبح لأعياد (البوريم) دلالة خاصة عند اليهود المغاربة ، فقد عرفت مدينة طنجة احتفالا خاصاً عند اليهود المقيمين بها يسمى بوريم (Las Boubas) وذلك فى ٢١ أغسطس من كل سنة ، وهى مناسبة تذكر بنجاة اليهود فى ذلك اليوم من عام ١٨٤٤ من القصف الذى صبه الأسطول

(١) Ibid . p. 245

(٢) اكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر استير، جمعية التوراة البريطانية والاجنبية بدون تاريخ ص ص ٧٧٩ ، ٧٩٢ .

الفرنسى على مدينة طنجة ، ويحتفل كذلك يهود مكناس ببوريم (المعكاز) الذى شهد عام ١٨٦٢ هزيمة عدو اليهود الثائر الجيلانى المعكاز . وتحتفل كذلك يهود الدار البيضاء ببوريم هتلر . كما يحتفل كل اليهود المغاربة ببوريم أدوم والذى يخلد وقائع الحرب الإسبانية الجزائرية فى بداية القرن السادس عشر وانهزام الإمبراطور شارل (Charles Quint) . وغرق أسطوله فى عرض البحر ويقول اليهود أنه كان ينوى إبادتهم بعد انتصاره .

ثامنا - العلاقات الاجتماعية بين اليهود والمسلمون المغاربة :

درج الكتاب الصهاينة والمتأثرون بهم على المبالغة فى تصوير ألوان الاضطهاد التى تعرض لها اليهود فى مختلف أقطار العالم وعلى مدى التاريخ فتجاهلوا الازدهار الذى شهدته الأقليات اليهودية فى البلاد العربية خلال العصور الوسطى ، وحتى بعد قيام الدولة الاسرائيلية فى فلسطين .

وسوف يتم التعرض لطبيعة العلاقات بين يهود المغرب والمسلمين المغاربة، حيث كان المغرب من أهم المناطق التى لجأ اليها اليهود الفارون من وجه الاضطهاد فى أوروبا . وقد نتج عن ذلك أن بلغ عدد اليهود فى المغرب حوالى ٢٢٥ ألف نسمة من جملة نصف مليون نسمة موزعين على أقطار المغرب العربى منهم ١٤٠ ألف نسمة فى الجزائر و١٠٥ ألف نسمة فى تونس[1] .

واليهود المغاربة داخل المجتمع المغربى مواطنون لهم كل حقوق المواطنة ، وكانوا ومازالوا يمثلون جزءا من نسيج المجتمع المغربى . ولم يفرض المجتمع المغربى قيودا عليهم فى مجال العمل والحرف والتجارة والإقامة

(١) د . شكرى النجار : المغرب العربى التعايش التاريخى بين العرب واليهود ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ .

حتى أن الملاح الذى كان يسكنه اليهود المغاربة فى الماضى كان اختيارا يهوديا وليس مفروضا عليهم ، والذى يدل على ذلك سكنى أسر يهودية متعددة حتى وقتنا الحاضر داخل بنايات متعددة الشقق يسكن معها المغربى المسلم سواء كان من العرب أو البربر[١] .

وفى هذا المجال يحضرنا قول للعالم اليهودى ابراهام هكلن[٢]

(كان اليهودى فى المغرب يشعر بالكفاية والأمن والطمأنينة دون أن يحتاج إلى صهر شخصيته فى سكان فلسطين وأراضيها ، فى هذا الوطن كان اليهودى يشعر أنه ينزل فى وطنه ويقيم بين أهله . لقد كان آمنا مطمئنا ومندمجا فى هذا المجتمع ومتفائلاً بمستقبله ، ومنذ الحكم العربى الإسلامى فى المغرب أنجز اليهود المغاربة انجازات علمية واجتماعية هامة) .

وبالرغم من هذه الحقائق والشواهد التى تدل على التفاعل الاجتماعى بين اليهود المسلمين المغاربة إلا أن الصهيونية تزعم أن يهود المغرب عانوا من الاضطهاد ومن الفقر ، وفرضت عليهم الإقامة الجبرية ، ومورس عليهم أنواع القمع السياسى ، وأرغموا على السير حفاة الرجلين منكسى الرأس ، وكلما قابلوا مسلما تحتم عليهم الانحراف عن الطريق ، وكان المسلم يعرضهم للإهانات والضرب[٣] .

وواقع الأمر أن جميع الكتاب الصهاينة الذين يصفون أحوال يهود المغرب وعلاقاتهم بالمجتمع المغربى ، هم من اليهود الأشكناز الذين هاجروا

(١) د . صلاح العقاد : المغرب العربى ، مرجع سابق ، ص ص ٥٢٨ - ٥٢ .
(٢) ابراهام هلكن : الانصهار العظيم تعريب الياس كوسا ، حيفا ، ص ٢٠ .
(٣) أنظر : س كير شنبارم : التاريخ اليهودى فى العصر الحديث وهو الكتاب الذى يدرس فى الصفوف العليا للمدارس الثانوية بإسرائيل .

من أوروبا وأمريكا ، ولم يعيشوا فى المغرب . ذلك لأن يهود المغرب لايسمح لهم بالتحدث عن حياتهم فى إسرائيل لأن جميع وسائل الإعلام والنشر بها بأيدى اليهود الأشكناز .

ولعل أبلغ رد على تلك المزاعم ، وتوضيح مدى التفاعل الايجابى بين الأقلية اليهودية المغربية والمجتمع المغربى ما كتبه أحد الكتاب اليهود فى صحيفة يهودية[١] ، والذى فند هذه المزاعم الكاذبة قائلاً : (إن لكل طائفة يهودية فى المغرب زعامة يهودية تتألف من الصفوة المثقفة ذات النفوذ فى البلاد . وعادة ما يقوم اليهود بخدمة الدولة : مستشارين وأطباء ومترجمين وكتابا ودبيلوماسيين وصرافين . وقد أفاد أغنياء اليهود بلادهم عن طريق نشاطهم الاقتصادى وعمل يهود المغرب أيضاً فى إدارة الملاحة . وظهر بينهم شعراء ممتازون وعمل المسلمون فى المؤسسات اليهودية والعكس بالعكس) هذا وتؤكد الشهادات الواقعية لبعض المسلمين واليهود المغاربة عن علاقة الأقلية اليهودية بالأكثرية المسلمة كذب هذه المزاعم[٢] .

ومما يؤكد التفاعل الاجتماعى بين اليهود المغاربة والأكثرية المسلمة المغربية ، ما حدث فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧، حيث أصدر عدد من المثقفين اليهود المغاربة بيانا جاء فيه :

(إن الصهيونية ليست عقيدتنا ، وأنه لايمكن اعتبار فلسطين وطنا قوميا لليهود أو حتى وطنا ثانيا لهم ، ومن واجب كل يهودى مغربى واع أن يتضامن مع شعبه من أجل مكافحة العقيدة الصهيونية ، والسياسية

(١) باروخ نادل : جريدة يديعوت أحرنوت الاسرائيلية ، تل أبيب ١٩٧٦/٧/٢٣ .
(٢) أنظر الملحقين ٢،١ .

الصهيونية داخل صفوف اليهود لكى يبعث فيهم حسهم الوطنى)[1] .

كما أعلن لازاركونكى L. Conquy وهو مدير سابق لإحدى المدارس اليهودية ، أن المغرب فريد فى موقفه إزاء الأقلية اليهودية ، إذ لايوجد اضطهاد من السلطات [2] .

وخلاصة القول أن اليهود المغاربة قد شاركوا مشاركة فعالة فى الأحداث والتطورات التى مرت على المغرب ، وكان لهم نصيب وافر فى النشاط الاجتماعى والثقافى ، باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من الكل المغربى ، ويخضعون لنفس الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، التى خضع لها المجتمع المغربى كله ، وعلى الرغم من أن تأثير اليهود كان محكوما بالحقائق التى زفرزتها أعدادهم الصغيرة ، فإنهم مارسوا حياتهم اليومية فى شتى جوانبها داخل إطار الحياة العامة للمجتمع المغربى كله . وبغض النظر عن بعض العادات والتقاليد الدينية اليهودية ، والتى قد يعتبروها البعض مؤشرات لثقافة فرعية لأبناء الأقلية اليهودية المغربية ، فإنهم لم يشذوا يوما عن البناء الاجتماعى العام كما مارسوا حياتهم اليومية بشتى جوانبها داخل إطار الحياة العامة للمجتمع المغربى كله .

---

(١) صحيفة المحرر المغربية بتاريخ ١٩/٨/١٩٦٧ .

(٢) Institute of jewish Affairs, August; pp. 6 - 8

٤

الفصل الرابع

دور الأقلية اليهودية فى النسق الاقتصادى المغربى

إذا أردنا التعرف على دور الأقلية اليهودية فى النسق الاقتصادى المغربى، فان من الضرورى التعرف على الواقع الاقتصادى للمغرب، ثم الدور الذى تلعبه الأقلية اليهودية فى الاقتصاد المغربى فى ضوء هذا الواقع.

أولا- الواقع الاقتصادى المغربى:

أ- الزراعة:

وتحتل قضية الزراعة والعلاقات الزراعية فى المغرب مكانا هاما وأساسيا فى الاقتصاد المغربى كما أنها تعانى من عدد من المشكلات التى تعوق التنمية فى المغرب(1).

وهذه الأهمية تتحدد بالعوامل التالية:

أ – تشكل الزراعة القطاع السائد فى الاقتصاد المغربى.

ب – تعمل فى الزراعة الأكثرية الساحقة من الأيدى العاملة وتستخدم الأساليب البدائية فى الانتاج الزراعى.

ج – تسود فى الزراعة العلاقات الانتاجية الإقطاعية التى يتميز بها الإنتاج الزراعى المغربى، والتى تعرقل حل القضية الزراعية.

د – يرتبط بحل القضية الزراعية حل مجموعة من القضايا الاقتصادية والاجتماعية الأخرى، منها مشكلة التراكم وتوسيع السوق الزراعى، وكذلك حل مشكلة الأمية وتهيئة الكادرات الفنية لاستخدام وسائل الانتاج الحديثة وغيرها من القضايا المتعددة.

(1) غورفار ميردال: العالم الفقير يتحدى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دمشق ١٩٧٥ ص ١٠٦.

وعلى أساس هذه الأهمية الاقتصادية يمكننا فهم أولويتها فى برنامج السلطة السياسية للمغرب بعد تحقيق الاستقلال السياسى، إذ بدون حلها لايمكن تحقيق أية نجاحات جدية فى الاقتصاد المغربى، وفى مجال التقدم الاجتماعى بصفة عامة.

ومازالت الزراعة فى المغرب غير قادرة على تامين الحاجات الغذائية للسكان ومن ثم يلجأ المغرب إلى الاستيراد لتكملة حاجاته. ورغم أن مساحة المغرب كثيرة وتصلح للزراعة إلا أن استخدام الآلات البدائية فى الزراعة لا تساعد فى رفع إنتاجية الأرض الزراعية.

وتعتبر بقايا الاقطاعية فى الاقتصاد الإرث الثقيل الذى تركه الاستعمار الفرنسى فى المغرب، فأكثرية الأراضى الصالحة للزراعة تعود ملكيتها إلى كبار ملاك الأراضى الذين يمارسون من خلال ملكيتهم استغلالا واضحا للفقراء الكادحين.

حقيقة أنه بعد الاستقلال السياسى للمغرب جرت إصلاحات زراعية، ولكن بالرغم من أن هذه الإجراءات الإصلاحية التى حدث من السلطة المطلقة للإقطاعيين وكبار الملاك، إلا أنها تميزت بطابع المحدودية ولم تحقق تغييرا جوهريا للأوضاع السائدة فى الزراعة.

حركة العمالة فى الزراعة:

لما كان المغرب بلدا زراعيا أساسيا، فمن الطبيعى أن تعمل الأكثرية الساحقة من السكان فى القطاع الزراعى، ورغم ذلك فان الإنتاج الزراعى مازال فى مستوى منخفض بفعل الوسائل البدائية المستخدمة فى الزراعة والعلاقات الانتاجية السائدة.

إن النسبة الضئيلة لتطور الانتاج الزراعى ، والتى لا تتوافق مع نمو الأيدى العاملة فى الزراعة تضغط باتجاه تفاقم أزمة الآلاف من العاطلين عن العمل ، لكن ذلك ليس السبب الوحيد لتفاقم أزمة العمالة ، فالنمو السكانى الهائل ، والذى يحدث أساسا فى الأسر الفلاحية ، يؤثر سلبيا على الأوضاع المعيشية ، ويشدد من فقر الفلاحين النسبى والمطلق .

وبحكم تخلف القطاعات الاقتصادية الأخرى ، وبخاصة الصناعة ، يقفل الباب أمام العمالة الزراعية فتزداد الأزمة تفاقما ، وتبقى نسبة العمالة للسكان دون تغيير جوهرى مما يزيد بدوره الوضع تأزما ، فصعوبة إيجاد عمل فى القطاعات الأخرى يحول الفائض السكانى الزراعى إلى جيش من البطالة[1] .

ب - الصناعة :

يمكن القول أن التخلف الاقتصادى فى المغرب مرتبط بتخلف الصناعة والذى يرتبط بدوره بوجود بنية متخلفة تعيد إنتاج التخلف عبر آليتها المميزة .

وهكذا فان جميع حلقات التخلف مرتبطة ببعضها البعض ولايمكن معالجتها إلا بشكل شمولى ، أى بكونها كلا لا يتجزأ .

هذه الصلة على وجه الخصوص هى التى تحدد أهمية دور الصناعة المغربية فى القضاء على التخلف الاقتصادى العام . وإنجاز مهام إعادة بناء الاقتصاد المغربى بعد مرحلة الاستقلال السياسى ، ومن ثم لايمكن القول بتحقيق نمو اقتصادى فى ظل بقاء أوضاع متخلفة للصناعة .

إن تخلف الصناعة المغربية كما والتخلف الاقتصادى العام يعود

(١) غورفار ميردال : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

السيطرة الاستعمارية الطويلة فى المغرب . التى جعلت اعتماد المغرب على الصناعة الفرنسية أمرا سياسياً ويفوق متوسط النمو السكانى متوسط النمو السنوى للإنتاج الصناعى حيث لاتزال الصناعة ضعيفة التطور بشقيها التحويلى والاستخراجى ، ماعدا بعض الصناعات الاستخراجية المتطورة بفعل أهميتها فى الانتاج العالمى المعاصر كالفوسفات أو المعادن الضرورية للصناعة .

وفى المغرب تتجسد الصناعة التحويلية أساسا فى ميادين تتجه نحو التصدير وتسمى هذه الميادين من الصناعة بالصناعات التصديرية مثل الفوسفات . لكن هذا الاتجاه يضع المغرب فى تبعية خطيرة للأسواق العالمية . وهذا ما ينعكس سلبا على فعاليتها الاقتصادية وثباتها . أما وسائل الانتاج المغربية فلا تتيح إلا فى عدد قليل جدا من الصناعات وفى إطار غير واسع مثل المنطقة الصناعية فى مدينة طنجة[1] .

ومن المعروف أنه حتى الآن لم يستطع المغرب تأمين حاجته من السلع الصناعية الضرورية ، فالانتاج المحلى لايؤمن حاجات البلد ، كما أن النسبة الغالبة من الانتاج تعود ملكيتها إلى الرأسمالى الأجنبى ، أما الباقى فيستورد من الخارج أى من الدول الرأسمالية المتطورة أساساً .

أما فيما يتعلق بمستوى القوى العاملة فى الصناعة فإنها تتميز بمستوى متدن من المهارة إذا ما قورنت بأوضاعها فى البلدان المتقدمة ، وهذا المستوى المتدنى للأيدى العاملة المغربية يعيق توظيف الاستثمارات فى

(١) زار الباحث المدينة الصناعية بطنجة ، وقد لاحظ وجود عدد من المصانع دقيقة التكنولوجيا فى مجال الصناعة التصديرية للمنسوجات والكرستال واقتصر نشاط اليهود على شركات التأمين والشحن باعتبار طنجة ميناء بحريا .

المجال الصناعى، ويشدد من تبعية الصناعة المغربية للخارج، انطلاقا من حاجتها للأيدى العاملة الماهرة غير المتوفرة محلياً، مما يضطرها إلى التوجه للعمل والكسب فى الخارج[1].

حركة العمالة فى الصناعة:

تجدر الإشارة إلى أن المغرب يفتقر إلى إحصاءات دقيقة عن توزيع السكان حسب القطاعات الاقتصادية. وبالرغم من ذلك يلاحظ فى أثناء الحرب العالمية الثانية حدث نمو ملحوظ فى عدد العاملين فى الصناعة، ويرجع ذلك إلى تعطيل طرق التجارة الدولية، واهتمام الدول المتقدمة بالحرب، مما يجعل المغرب مثل بقية البلدان المستعمرة والمتخلفة مضطرا للإعتماد على قدرته الذاتية لتلبية حاجاته، لكن ما لبث هذا النمو فى التراجع بعد الحرب مباشرة، أى مع عودة حركة التجارة الخارجية إلى طبيعتها، ولاشك أن هذا التراجع يشكل انعكاسا لصعوبات النمو الاقتصادى للمغرب الذى لايزال يخضع للاستثمار من قبل الدول الرأسمالية المتطورة[2].

إن حركة العمالة فى المغرب تفرز عملية متناقصة ومعقدة، حيث تتحكم فيها ثلاث متناقضات هى:

أ- أن عدد العاملين فى الصناعات الكبيرة يرافقه تفكك المنتج الصغير، وذلك من خلال مزاحمة ومنافسة منتجات الصناعة الكبيرة للصناعة الصغيرة والحرفية، حيث من المعروف أن الانتاج الصغير يلعب دورا كبيرا فى اقتصاد المغرب، فضلا عن أنه يؤمن العمل للكثير من المغاربة، وفى نفس

---

(١) د. طلال البابا: قضايا التخلف والتنمية فى العالم الثالث، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٦، ط ٢، ص

(٢) د. عزمى رجب: الاقتصاد السياسى، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠، ص ٢٨.

الوقت يؤمن للسكان مختلف السلع التى لا تنتجها المصانع الكبيرة أو تنتجها بكميات غير كافية.

ب- أنه مع بروز الصناعة الكبيرة وما يرافقها من نمو المدن السكانى، الذان بدورها يحطمان الانتاج اليدوى والحرفى التقليدى، تولد ميادين جديدة من الانتاج الصغير، وذلك يتجسد بقيام المصانع الصغرى والمرتبطة بالانتاج الآلى الكبير الذى تنتجه المصانع الكبرى. ومن ثم فإن حركة العمالة فى هذين النوعين من الانتاج الصغير تصبح متناقضة، ففى الانتاج التقليدى القديم تتقلص وفى الانتاج الصغير الجديد تنمو[1].

ج- هنالك عامل مهم يؤثر على حركة نمو العمالة فى الصناعة، وهو النقص النسبى للطلب على الأيدى العاملة بفعل نمو إنتاجية العمل، أن التقدم التقنى يؤدى إلى تقلص عدد العمال، فمن أجل انتاج كمية معينة من السلع فى ظل التقدم التكنولوجى يصبح عدد الأيدى العاملة المطلوبة أقل. ومن المعروف أن المغرب يبنى صناعته فى ظل ظروف الثورة العلمية - التكنولوجية، حيث تحقق إنتاجية العمل قفزة جديدة نوعية. وفى هذه الحالة فإن نمو الصناعة فى ظروف التقدم التكنولوجى، وزيادة التركيب العضوى للرأسمالية يعوق هذه العملية، أى عملية نمو عدد العاملين فى الصناعة، هذا الواقع يجد انعكاسه فى تخلف نمو العمالة عن نمو حجم الانتاج الصناعى العام، وبالرغم من ذلك يمكن الملاحظة أن عدد العاملين فى الصناعة ينمو فى المغرب.

---

(١) س. أ. تولياتوف: الاقتصاد السياسى للبلدان النامية، دار التقدم العربى، دمشق، ١٩٧٤، ص

ب - إن الإنتاجية المنخفضة فى الزراعة المغربية ، والزيادة السكانية الكبيرة فى الريف ، وكذلك الإمكانيات المحدودة للعمل فى الصناعة تدفع جميعها نحو تضخم العمالة المتزايد فى قطاع الخدمات ، حيث يلاحظ أن النمو الكبير فى قطاع الخدمات فى الغرب لا يتناسب مع مستوى التطور الاقتصادى داخله ، حيث يلاحظ أن الفائض السكانى الذى هو نتيجة لتخلف القطاعات المنتجة أساسا يتجه بكثرة نحو قطاع الخدمات المتخلف بفعل تخلف القطاعات المنتجة بالذات ، حيث ينمو التضخم المرضى فى هذا القطاع الانتاجى وتنتشر مختلف الخدمات التى تباع بثمن زهيد وفى عدداها تجارة الرقيق الأبيض .

حركة العمالة فى الخدمات :

إذا استثنينا الزراعة يصبح عدد العاملين المغاربة فى قطاع الخدمات يفوق عدد العاملين فى كل ميادين الإنتاج ، وتشكل البطالة التى تفرزها القطاعات المنتجة السبب الرئيسى لكثرة تدفق العاملين نحو قطاع الخدمات، كما أن الفائض السكانى لا يكون ميزة للقطاع الزراعى فقط ، بل هو موجود كذلك فى كل الميادين حيث يتواجد الإنتاج الصغير .

وغالباً ما يكون الإنتاج الصغير واجهة تختبىء وراءها البطالة المقنعة ، وكذلك الأمر بالنسبة للتجارة الصغيرة وأنواع كثيرة من الخدمات . فالبائع الذى لايتعدى رأسماله بعض أعداد من الصحف اليومية أو علبة من اللبان ، يكون من حيث الجوهر عاطلا عن العمل ، أما ماسحوا الأحذية الذين يفوق عددهم الحاجة ، والحمالون ، ومن يقومون بفتح أبواب السيارات ، أو مسح

زجاجها ، أو تقديم أى خدمة مشابهة ، فإن حالتهم ليست بأفضل من حالة البطالة ، هذا النوع من العمل فى قطاع الخدمات غالباً ما يمثل الفقر المدقع .

وهناك خاصة أخرى تفرزها العمالة المتنامية فى قطاع الخدمات . بالرغم من الطابع الزراعى السائد لتركيب السكان فى المغرب ، حيث تعيش أكثرية السكان فى الريف ، إذ يرافق النمو فى قطاع الخدمات نمو فى سكان المدن التى تكبر بسرعة . إن هدف الهروب من الريف ومحاولة إيجاد وضع أفضل فى المدينة يرتبط بعملية إفقار وإفلاس الفلاحين من جهة ، والافاق المتوفرة فى المدن من جراء تطورها الاقتصادى والاجتماعى من جهة أخرى ، كما أن تدفق السكان إلى المدن المغربية يفوق حاجتها للأيدى العاملة . ففى مثل المستوى الحالى ومشكلات التطور الاقتصادى ، لا تستطيع المدن تأمين العمل بشروط إنسانية لكل القادمين لها ، ولذلك يرافق نمو المدن المغربية تفاقم البطالة والفقر ، حيث تلاحظ أن وجود هؤلاء داخل المدن فى مساكن عشوائية شديدة الفقر محرومة من كل الخدمات ، وهى مدن الصفيح الناشئة والتى تكون دائماً فى طرف المدينة الأصلية . ففى مدن الصفيح بالدار البيضاء وحدها يسكن ١٥٠ ألف مغربى ، و٢٥ ألفا فى الرباط ، ١٥ ألفا فى القنيطرة ، ١٠ آلاف فى أسفلى وكذلك فى أجادير (*) .

فالاختلاط وقلة أبسط شروط الراحة يمثلان خطا رهيبا ففى مدن الصفيح لا تتوفر عدد البالوعات والمراحيض ويلجأ الرجال والنساء لقضاء حاجاتهم فى المناطق الخالية ، كما أن الماء غير موجود وفعلى سبيل المثال

(*) زار الباحث مدن الصفيح المشار إليها بمدينة الدار البيضاء ، ولاحظ أنه لا يوجد بها يهود إطلاقا بينما على بعد خمسمائة متر منها يوجد حى متميز جديد ، كل مساكنه من الفيلات الفاخرة ، والتى تدل على ثراء أصحابها الفاحش ، ويمتلك عدداً غير قليل منها أثرياء اليهود المغاربة .

نجد حي بن مسيك بالدار البيضاء لايضم إلا ستة صنابير للمياه لخمسين ألف ساكن ، أما الكهرباء فلا وجود لها[1] .

وخلاصة القول أن المغرب يواجه مجموعة متشابكة من التحديات الثقيلة بالنسبة إلى حاضره ومستقبله . تقتضى منه القدرة والنجاح لتحقيق الأمن الغذائى والتصنيع المجدى المسخر لإشباع الحاجات الأساسية لجماهيره، ولتوفير العمل المنتج للقوى البشرية وللكفاءات المهنية وللقدرات العلمية الوطنية ، ولضمان السكن اللائق والتعليم الشامل والمشاركة الصريحة للمواطن المغربى فى القرارات الحاكمة فى مصيره ومصير أبنائه .

إن إدراك جميع تلك الأهداف ومواجهة تلك التحديات يقتضى انتهاج استراتيجية مغربية لتنمية شاملة يحفزها منطق الاعتماد الجماعى على النفس ويدعمها التضامن الإقليمى بين أقطار المغرب العربى فى رسم الاختيارات المستقبلية وفى توظيف الموارد الطبيعية والبشرية وترشيد استعمالها .

وبحق التأكيد على أن وضع استراتيجية مغربية لتنمية شاملة أساسها الاعتماد على الذات المغربية أصبح اليوم هو الاختيار الأمثل لتحقيق ما تهدف إليه الجماهير المغربية[2] .

وإذا إنتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن دور اليهود المغاربة فى الاقتصاد المغربى فيهمنا أن نؤكد قبل الاستطراد فى هذا الموضوع أن الأعمال التى

---

(١) البير عياش : المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية ، ترجمة عبد القادر الشاوى وآخرون دار الخطابى ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ ، ص ٣١٣ .

(٢) د . مصطفى الفيلالى : المغرب العربى الكبير ، نداء المستقبل ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ١١ .

مارسها اليهود المغاربة لم يمارسوها بسبب طبيعتهم الخاصة كما يدعى المعادون للسامية ، فالأعمال التى مارسها اليهود المغربة قد مارسها أيضاً المغاربة من غير اليهود ، وإن كان اليهود قد فضلوا أعمالا ومهنا معينة نوعا يرجع ذلك إلى شعور الأقلية فى أى مجتمع من المجتمعات فى الرغبة فى التفوق الاقتصادى والاجتماعى من جانب ، فضلاً عن تأثرها بخصوصيتها الثقافية والدينية من جانب أخر ، شريطة ألا يتعارض هذا التأثر بالنسق الثقافى والاجتماعى العام داخل المجتمع .

ثانيا - دور الأقلية اليهودية فى النسق الإقتصادى المغربى :

ارتبط النشاط الاقتصادى ليهود المغرب ، بأعمال معينة مثل التجارة والربا ، وقد لعب اليهود دورا واضحا فى حياة المغرب الاقتصادية ، ومارسوا أعمالا ونشاطا اقتصاديا لا يتطلب الاستقرار فى مكان ثابت .

وقد أتاحت لهم الأنشطة الاقتصادية التى يمارسونها فرصة لتجميع الثروة المنقولة ، فأصبحوا صيارفة وتجارا وصناعا ، كما عملوا فى مجالات التجارة الخارجية حيث ساعدهم فى ذلك علاقاتهم التجارية فى جميع أنحاء العالم . ولا ينفرد يهود المغرب بهذه الخاصية فى المغرب وحدها ، بل يلاحظ أنها نفس الأنشطة الاقتصادية التى يمارسها اليهود فى كثير من البلدان التى يشكلون أقلية فيها .

وقد وصل عدد من اليهود المغاربة إلى قمة الثروة داخل المغرب ، وساعدهم على ذلك أنهم دخلوا مع عدد من أصحاب السلطة الصفوة المغربية فى أعمال التجارة داخل المغرب وخارجها نذكر منهم (داوود بن

عمار) . وقد صدر أخيراً مرسوم ملكى بتعيين أحد اليهود مستشارا للملك الحسن الثانى(*) .

تفضيل التجارة والعمل الحر :

إن السلوك والنشاط الاقتصادى لليهود المغاربة ، قد ارتبط بالتراث الدينى اليهودى وقيم اليهود ، مثل وحدة الشعب اليهودى ، والشعب المختار .

كما أن التراث الدينى اليهودى قد أثر على نوعية النشاط الاقتصادى لليهود المغاربة والتى جعلهم يرتبطون بالأعمال الحرة ، ويرفضون العمل كأجراء . فعلى سبيل المثال جاء فى سفر الأمثال أن كل من يبحث عن المتعة سيصاب بالفقر ، وهذا جوهر أخلاقيات الادخار التى تؤدى إلى تراكم رأس المال وتجعل منه قيمة فى حد ذاته(١) .

وقد قال أحد الحاخامات فى التلمود حاثا اليهود عليا لاشتغال بالتجارة (على الانسان أن يعلم ابنه التجارة ، ومن لايعلم ابنه التجارة فهو كمن يعلمه أن يصبح لصا ، والإنسان الذى يملك التجارة فهو مثل بستان العنب الذى يحيط به سور ، فلا تستطيع الماشية أو المارة أن يأكلوا منه أو حتى ينظرون إليه ، ومن لايملك تجارة فهو كبستان العنب الذى لاسور له ، تدخله الدواب والمارة يأكلون منه ، وينظرون إليه ، وجاء فى التلمود أيضاً أن الأتقياء يحبون أموالهم أكثر من أجسادهم ، وأن الحاخام اسحاق نصح

(*) لقاء مع عدد من السياسيين المغاربة وطلبوا عدم ذكر أسمائهم ، وذلك بدار الشبيبة ببوردون بالدار البيضاء حيث كان يقيم الباحث ، وأيضاً بمنزل أحد مثقفى المغرب بالمدينة القديمة بالدار البيضاء .

(١) د . كامل سعفان : اليهود تاريخا وعقيدة ، دار الهلال ، ١٩٨٢ ، عدد ٣٦٤ ، ص ٨-٢٩ .

الإنسان بأن يضع أمواله دائماً فى دورة مالية . وقد قال أحد العلماء التلموديين مشجعا على التجارة ومهاجما الزراعة : (لايوجد عمل أكثر امتهانا من فلاحة الأرض ، تاجر بمائة زوز تحصل على لحم وخمر ، أما إذا استعملت هذا القدر نفسه فى الزراعة فأكثر ما تحصل عليه هو الملح والخضار ، بل وتجعلك تنام على الأرض ، كى تحرس المحاصيل وتجعلك فى صراع دائم مع جيرانك)(١) .

وقد أثر هذا التراث الدينى اليهودى على طبيعة الأسرة اليهودية المغربية، حيث كان استقرار هذه الأسرة رهنا بعمل جميع أفرادها . وهذا يفسر لنا توارث الأبناء لمهن الآباء ، وارتباط اليهود بأعمال ومهن معينة داخل المغرب .

اليهود سكان مدن :

من الملاحظ أن النشاط الاقتصادى لليهود المغاربة ، يتركز فى المدن الكبرى داخل المغرب كالدار البيضاء ، ومراكش ، وطنجة والصويرة ، وفاس، والرباط . ويرى بعض الكتاب أن نسبة ٨٠٪ من اليهود يعيشون فى المدن ، ثلثهم فى الدار البيضاء ، وعموما تقل تدريجيا بسبب الهجرة لإسرائيل(٢) ، وبدأت تزيد بعد تصريح الملك الحسن بالعودة إلى المغرب وحصولهم على الجنسية المغربية مرة أخرى وذلك فى مارس ١٩٧٦(٣) .

والسؤال الذى ينبغى طرحه . هل ظاهرة تركز النشاط الاقتصادى لليهود المغاربة فى المدن الكبرى ترجع إلى غريزة (طفيلية) استغلالية فى

---

(١) د . عبد الوهاب المسيرى : الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) البير عياش : المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٣٢٨ .

(٣) صحيفة العلم السياسى المغربية : مقالة بعنوان العودة ، بدون تاريخ ، لدى الباحث .

أسلوب الحياة اليهودية ، أم إلى ضغوط من قبل الأكثرية المسلمة جعلت اليهود يسعون دائما إلى التكتل داخل المدن الكبرى؟

إن بعض اليهود المغاربة يرجعون ذلك الأمر إلى أن قوانين المغرب فى العصور الوسطى ، قد حرمت عليهم امتلاك الأراضى ، وفرضت عليه حياة (الملاح) فى المدن .

ويستطرد هؤلاء فى تفسير تمركز النشاط الاقتصادى لليهود داخل المدن المغربية ، بأن المناخ العام فى المغرب كان دائما غير مستقر تجاه اليهود ، ويستدلون على ذلك بما فرضه السلطان (يعقوب بن المنصور) فى القرن الثانى عشر بضرورة أن يرتدى اليهود ملابس مميزة ذات عباءة سوداء وأكمام واسعة ، غطاء رأس أسود يغطى الأذن . وهؤلاء اليهود يفسرون التمركز اليهودى داخل المدن الكبرى فى مجال الاقتصاد والتجارة بسيكولوجية الأقلية التى تسعى للتجمع لحماية نفسها ، وهذا يفسر فى وجهة نظرهم أسباب حرص اليهود على تكديس الثروات المنقولة التى توفر لهم الأمان ، وليس الملكية الثابتة المتمثلة فى الأراضى الزراعية[١] .

وحقيقة الأمر أن التنشئة اليهودية ، هى التى جعلت اليهودى يعزف عن العمل اليدوى ، وجعلته يكره بذل الجهد الجسمانى بصفة عامة ، ويفضل أن يعيش بعقله لا ببدنه ، وبذلك بعد عن النشاط الزراعى والصناعى ، وتركز فى المدن حيث الأعمال الحرة والمعاملات التجارية والنشاطات المالية والمصرفية[٢] .

---

(١) Chouraqui Ibid p.p. 48 - 50

(٢) د . جمال حمدان : اليهود أنثروبولوجيا ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

حتى أن العربية المغربية الدارجة تستخدم كلمة (الحاشاك) أى التاجر مرادفة لكلمة اليهودى (*) . مما يعطى انطباعا بأن اليهود فى سبيل التمايز عن المجتمع المغربى الزراعى ، وحفاظاً على ذاتيتهم كأقلية يهودية بين المغاربة المسلمين اختاروا التجارة والصرافة مهنة لهم .

وقبل الحديث عن دور اليهود المغاربة فى الحياة الاقتصادية المغربية ، يود الباحث أن يوضح أنه أثناء زيارته للمغرب ، قد لاحظ نوعا من التعتيم على الدور الذى يمارسه اليهود المغاربة فى النشاط الاقتصادى المغربى ، ومن ثم مدى تأثيرهم من خلال هذا النشاط داخل المجتمع بوجه عام .

ويفسر الباحث هذا الأمر بما يلى :

- أن السلطة القومية المغربية لا تفضل الافصاح عن طبيعة هذا النشاط، وتأثيره داخل المجتمع ، وذلك احتراما لمشاعر الأكثرية المسلمة أو خوفها منها ، نظرا لأنها تنظر نظرة ريبة إلى الأعمال الاقتصادية الذى يمارسها اليهود المغاربة ، خاصة وأن الشباب المغربى الآن يعانى من بطالة واضحة .

- اليهود المغاربة لا يحاولون أن ينشروا أو يذيعوا شيئا عن نشاطهم الاقتصادى كأنهم استفادوا من التجربة اليهودية التونسية عندما قامت الأكثرية المسلمة التونسية بتدمير وحرق الكثير من المشروعات الاقتصادية لليهود التوانسة عام ١٩٦٧[١] .

(*) استفسر الباحث عن معنى الحاشاك من كبار السن من المغاربة فقالوا أنها كلمة مغربية قديمة دارجة تعنى الحمار ، ولما كان التاجر اليهودى يجوب الريف على حماره ، فقد صارت تعنى التاجر اليهودى أيضاً وفيها ما فيها من تحقير ملحوظ للتاجر المرابى الجشع .

(١) مارك تيسلر وليندال هاويكنز : الثقافة السياسية لليهود فى تونس والمغرب ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

وأهم المجالات الاقتصادية والمهنية التى تعمل بها الأقلية اليهودية فى المغرب ما يلى :

١ - التجارة الداخلية :

ارتبط اليهود المغاربة بالتجارة من جميع الأنواع وهم أكثر قدرة من الأكثرية المغربية فى القيام بدور وسيط فى الأعمال التجارية ، والتجارة التى يمارسها اليهود المغاربة هى نوع من تجارة التجزئة والتى تختلف عن التجارة الحديثة فى عدة وجوه ، فالتجارة الحديثة جزء عضوى وأساسى فى نظام المجتمع ، أما تجارة التجزئة فهى تلعب دورا ثانويا ، فالتاجر اليهودى لا يوظف أمواله فى الإنتاج ، ولا يشترى مواد أولية ولا ينفق على صناعة الأقمشة جزءاً من رأسماله ، لكنه ليس سوى (وسيط) أى أن التجارة اليهودية لا تنطوى على أسلوب إنتاج معين تنتج فائض فيه ، وإنما تعيش على فائض القيمة الذى ينتجه الفلاحون والصناع ، فهم يعملون فى تجارة الحبوب ، والنسيج ، والجلود والدخان . وبهذا فهم يجنون ربحا دون أن يمارسوا أى دور فى عملية الانتاج ، وإنما كان دورهم هامشيا .

٢ - الصناعة الحرفية :

سبق الإشارة أنه جرى التقليد بين اليهود المغاربة بأن يحتفظوا بالمهن التى توارثوها عن آبائهم . وقد عمل اليهود فى بعض الصناعات الحرفية نذكر أهمها :

أ - صياغة الذهب :

ويشتهر بها يهود مدينتى فاس والصويرة ، كما يشتهرون أيضاً بصناعة

خيوط الذهب والفضة والتى تستخدم فى ملابس الزفاف للطبقة البورجوازية داخل المغرب .

ب - صناعة التقطير (الخمور) :

تعرف هذه الصناعة على نطاق واسع فى المدن الكبرى داخل المغرب ، ويحتكرها التجار اليهود ، وفى الوقت الذى لايقبل فيه اليهود المغاربة على الشراب ، فإنهم يقدمون على هذه الصناعة باعتبارها وسيلة مجزية للربح .

جـ - دباغة الجلود :

تشكل مهنة دباغة الجلود عند اليهود تجارة رابحة ، فهى تجد له أسواقا محليا داخل المغرب ، وكذلك مجالا للتسويق خارجه . ومن أهم اليهود الذين يعملون بهذه الصناعة هم يهود مدينة الصويرة فى حى قديم بالمدينة يسمى (النشر) أى مكان نشر الجلود .

٣ - التعاونيات :

وتعنى مجموعة صناع يهود يمارسون نفس الصناعة ، أو تجارا ينتمون إلى نفس التجارة ، ويخضعون لعدد من التقاليد والأعراف اليهودية فى مجال المهنة ، وهم يؤدون المساعدات التى يجب أداؤها لأبناء الأقلية ، وتسمى ضريبة المهنة ، ويتم ذلك تحت مراقبة أحدهم الذى يكون رئيسهم والممثل الرسمى لهم لدى السلطة الدينية .

والالتحاق بالتعاونية مكفول لجميع اليهود ، بشرط أن يتوفر لراغب الانضمام إليها المعرفة الكافية للمهنة من جانب ، ورأسمال صغير يساهم به فى التعاونية من جانب آخر ، وقد تطورت التعاونيات فأخذت شكلاً جديداً

يتمشى مع التطور الذى حدث فى المغرب ، ولم تعد تلك المحلات والاكاكين التقليدية ، بل توسعت وأصبحت محلات كبيرة مجمعة ويشارك عدد من كبار الرأسماليين المسلمين المغاربة نظرائهم اليهود فى بعض هذه التعاونيات ، مثل تعاونيات الحليب وصيد الأسماك وزيت الزيتون * .

٤ - الشركات المالية والبنوك :

بدأ اليهود المغاربة فى تكوين شركات كبيرة ذات ثقل اقتصادى مؤثر داخل المجتمع المغربى مثل (شركة ستيام) وهى شركة للمواصلات العامة داخل مدينة الدار البيضاء ، وتنافس الشركة الحكومية ، بل إنها تتفوق عليها بعدد حافلاتها من جانب وسهولة إدارتها من جانب آخر .

ولكى تنجح الأقلية اليهودية فى إدارة نشاطها الاقتصادى ، وتصبح عنصراً مؤثرا فى الحياة العامة المغربية ، بدأت تهتم بإنشاء البنوك الخاصة بها ، فيوجد الآن داخل المغرب (الشركة العامة المغربية للأبناك) ومعظم رأسمال هذه الشركة ساهم به يهود ، ولها فروع مصرفية فى جميع مدن المغرب ، وتعمل الشركة العامة المغربية للأبناك فى التجارة الخارجية ، كما يوجد عدد منهم أعضاء فى الغرف التجارية المغربية مثل جاك أو حنا[1] عضو غرفة التجارة والصناعة لولاية الدار البيضاء الكبرى .

٥ - السياحة :

بدأ اهتمام اليهود المغاربة بهذا النوع من النشاط الاقتصادى ،

* زار الباحث بعض هذه التعاونيات ولاحظ مشاركة مسلمين فى التعاونيات الغذائية فقط .

(١) منشورات الغرفة التجارية بالدار البيضاء الكبرى عام ١٩٩٢ .

وساعدهم على ذلك علاقاتهم بيهود أوربا الذين يسهلون له حضور الأفواج السياحية . ويوجد الآن عدد من الشركات السياحية التى يتملكها اليهود ، وخاصة فى المدن الكبرى مثل الدار البيضاء وطنجة ، وأغادير ، ومنطقة عين ذئاب فى الدار البيضاء* .

ورغم أن من الصعب الحصول على سوق سوداء لتجارة العملة فى المغرب ، لكن الباحث قد استمع من أحد السائقين الذين يعملون فى إحدى هذه الشركات السياحية ، أن صاحب الشركة يتعامل فى السوق السوداء فى مجال النقد الأجنبى .

٦ - الشركات العقارية :

لا يعمل المغاربة فى أعمال المقاولات الإنشائية ، لكنهم يعملون فى مجال تجارة العقارات والأراضى الخاصة بالبناء ، وكذلك فى تأجير الشقق المفروشة ، ومعظم أسماء هذه الشركات تحمل أسماء غير أسماء أصحابها ، وربما يرجع ذلك إلى الرغبة فى عدم الإفصاح عن الهوية الدينية لصاحبها .

٧ - المهن المتخصصة :

أ - الطب :

تفضل الأسرة اليهودية أن تلحق ابنها بدراسة الطب ، فهى تفضل مهنة الطبيب عن مهنة المهندس أو المحاسب . ذلك باعتبار أن مهنة الطب أكبر عائداً وربحاً . واليهود المغاربة يرون أن أفضل وسيلة تجعل أبناءهم أكثر

* عين ذئاب ملاهى بريئة تستقبل الخليجيين بصفة خاصة . وبعضها ملك اليهود لاسيما الفنادق والمطاعم والأندية الليلية . كما أن بعض راقصاتها من اليهوديات ويقدمن الفولكلور المغربى .

تأثيراً داخل المجتمع هى مهنة الطبيب حيث تكسبه احترام الآخرين ، كما أن مهنة الطبيب تمكنه من العمل فى المغرب وخارج المغرب . والطبيب اليهودى المغربى لايفضل العمل فى المستشفيات ليكون عضوا ضمن فريق الأطباء بها ، ويفضل العمل الحر ، وأن تكون له عيادته ، وحتى يكون اختلاطه بالمجتمع متاحا بشكل يستطيع من خلاله زيادة شبكة علاقاته الاجتماعية . والأسرة المسلمة لاتجد غضاضة فى الذهاب إلى الطبيب اليهودى(*).

ب - الصيدلة :

يعمل عدد من اليهود المغاربة فى مهنة الصيدلى ، وهم غالباً أصحاب صيدليات . ولعل الرغبة فى هذه المهنة أنها تجمع بين المهنة المتخصصة والتجارة ، وتدر عائداً كبيراً أيضاً ، هذا فضلاً على أنها تجعل الصيدلى اليهودى معروفاً فى المنطقة التى توجد بها صيدلية ، ومن ثم تزداد درجة علاقاته الاجتماعية(**).

ج - المحاماة :

ينظر اليهودى المغربى إلى دراسة القانون نظرة هامة ، فهو يعتبرها المهنة التى تفرض احترام المجتمع لصاحبها . وتجعل مهنة المحامى صاحبها من الصفوة داخل المجتمع وهذه المهنة عند اليهود تجعله يعرف شئون موكليه ، وهذا ما يرحب به اليهودى ، كما أن المهنة تسهل له العلاقة مع رجال الأعمال والتجارة ، الأمر الذى تجعل اليهود المغاربة يعرفون رجال

(*) نظرا لتوارث الأطباء اليهود مهنة الطب عن آبائهم وبراعتهم فيها بالتالى

(**) مشاهدات الباحث فى الدار البيضاء ، ومراجعة أسماء الصيدليات

الأعمال والسلطة المغربية ، وهذا ما يرحب به اليهودى المغربى فى أن له دورا فى هذه العلاقات(*).

د - المحاسبة :

يوجد عدد من المحاسبين اليهود المغاربة داخل المغرب . واليهودى المغربى يرحب بهذه المهنة حيث أن انتشار اليهود فى الأعمال التجارية ، تجعلهم فى حاجة دائمة لمعرفة قوانين الضرائب المختلفة . ومعظم الذين يعملون فى هذه المهنة من أبناء الطبقة المتوسطة ، ووجود المحاسبون اليهود يفتح المجال أمام باقى اليهود للعمل الناجح فى جميع مجالات النشاط الاقتصادى والصناعى والطبى والتجارى ، فإحاطة المحاسبين اليهود بكل أنواع المهن المختلفة ، يجعلهم يقدمون دائماً المشورة المخلصة لأبناء طائفتهم(*).

هـ - مهنة قيادة سيارات الأجرة :

يمتلك عدد من اليهود بعض السيارات (تاكسى) ، ومعظم هؤلاء من غير المتعلمين وقد أفادتهم هذه المهنة فى التعامل مع أبناء المغرب . والذين يعملون فى هذه المهنة يفضلونها ،لأنها تعطيهم الحرية فى التنقل ، فضلاً عن أنها تدر عليهم (البقشيش) . وليست هذه المهنة بحاجة إلى رأسمال ، فضلاً عن أنهم ينظرون إليها على أنها تجعل صاحبها مالكا وليس أجيراً(*).

٨ - النشاط الاقتصادى والثقافى والاعلامى :

يعتبر اليهود المغاربة أن هذا النوع من النشاط الاقتصادى له أهمية للأسباب التالية :

١ – أنه مع زيادة نسبة التعليم فى المغرب ، بدأت تظهر نهضة ثقافية ، تجعل عدداً كبيراً من الشباب المغربيين يهتم بشراء الصحف والدوريات فضلاً عن الكتب ، وهذا يجعل مثل هذه المشروعات ذات عائد ربحى .

٢ – أن العمل فى هذا المجال يجعل اليهود المغاربة يعرفون أدق التفاصيل عن الحياة العامة المغربية والتى لا تنشر أو تذاع .

٣ – أن هذا النشاط يسهل لهم وجود قنوات شرعية يستطيعون من خلالها التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم وثقافتهم .

٤ – يعتبر العمل فى مجال الثقافة والإعلام ، يتيح لهم التعرف على الصفوة المثقفة المغربية من أدباء وعلماء وكتاب ، الأمر الذى يجعلهم على معرفة بآرائهم من جانب ، ومن جانب آخر يأمنون وقوفهم بجانبهم خلال أى أزمة يتعرضون لها داخل المجتمع المغربى .

٥ – أن تملكهم لبعض الأدوات الثقافية والإعلامية ، تقربهم إلى السلطة المغربية ، خاصة إذا أشادوا بها .

ومن أمثلة هذا النوع من النشاط (دار توبقال للنشر)[*] وتنشر هذه الدار بعض المؤلفات ليهود مغاربة ، مثل رواية (ليل الحكيم) للكاتب (أدمون عمران المليح) والذى قام بترجمتها من الفرنسية إلى العربية (على تيزاكاد)، ومن الملاحظ أن هذه الدار بجانب نشاطها الربحى تهدف إلى التعريف بالثقافة اليهودية ، وحتى لا تثير الشك حول ذلك الأمر ، قامت بنشر بعض الأعمال الشعرية للشاعر الفلسطينى (محمود درويش) .

(*) مقر الدار . عمارة التسير التطبيقى ، ساحة محطة القطار ، بلفدير ، الدار البيضاء ، ص.ب : ٢١٠٥ .

وبالنسبة للنشاط الإعلامى فى مجال الصحافة ، فليس هناك أدلة يمكن الوصول إليها عن تملك اليهود للصحف المغربية ، غير أن الاعتقاد السائد لدى بعض المغاربة أن الصحافة الناطقة بالفرنسية داخل المغرب يمولها بعض اليهود المغاربة المستترين وراء شخصيات مغربية مسلمة .

ثالثا - المرأة اليهودية ودورها الاقتصادى :

تبدو المرأة فى الحياة الأسرية اليهودية وكأنها لا تضطلع إلا بدور هامشى . ويرجع ذلك إلى أن التراث اليهودى لم يمنح المرأة اليهودية مكانتها اللائقة ، ففى العهد القديم سفران فقط مخصصان للمرأة – أربعة إصحاحات مختصة بروث Ruth وعشرة إصحاحات مختصة باستير Esthir وقد نوقشت المسألة اليهودية من منظور الرجل ، فالدور التاريخى للثقافة اليهودية معنى بالرجال[1] . فالزوجة الصالحة والأم المثالية فى نظر الثقافة اليهودية هى المسئولة عن الحياة الاقتصادية داخل الأسرة ، من حيث تنظيمها فنشاطها الاقتصادى مقصور فى معظم الأوقات على رعاية شئون الأسرة ، وحتى ولو ساهمت فى عمل يؤدى إلى زيادة الدخل الأسرى ، فهو عمل يكون فى أغلب الأحيان داخل المنزل وليس خارجه ، مثل حياكة الملابس. كذلك فإن من تقاليد المجتمع المغربى التقاليد المحافظة ، فيما يتعلق بالمرأة والتى راعاها اليهود لأبعد مدى[*] .

(١) ناتالى رين المرأة اليهودية ، ترجمة سهام منصور ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٩ .

(*) وقع كثير من اليهوديات الأفريقيات والأسيويات بعد هجرتهن لاسرائيل فريسة لممارسة نمط الحياة الغربية وكن غير مرحبات بتحررهن المبالغ فيه ، حتى اضطرتهن الظروف الاقتصادية للعمل فى الدعارة . وإن كنا لانملك دليلا على كونهن من المغربيات .

غير أنه مع التطور الاجتماعى الذى حدث داخل المغرب ، والاهتمام بتعليم المرأة ، وانتشار مدارس الفتيات ، بدأت الأسرة اليهودية فى الاهتمام بتعليم الفتاة وخروجها إلى مجالات العمل المختلفة .

وأبرز المهن التى تمارسها المرأة اليهودية فى المغرب هى أعمال السكرتارية والترجمة ، وكذلك مصففات شعر النساء ، والعمل فى مجالات السياحة والفندقة كمضيفات ، كما يوجد قلة منهم تعمل فى أعمال وضيعة مثل الدعارة .

ويوجد عدد من النساء اليهوديات يعملن كمدرسات فى المدارس الاسرائيلية داخل المدن المغربية ، وتلقى هؤلاء النساء احتراما من قبل الأسر اليهودية .

وهناك مهن فى المجتمع المغربى ترتبط بالنساء اليهوديات ويشتركن فى ذلك مع النساء اليهوديات فى مصر ، كما لاحظ الباحث مما يتفق ماذكره الدكتور قاسم عبده قاسم عن اليهوديات فى مصر(٢) ، من أنهن يمارسن مهنة تزيين العروس للزفاف ، ومهنة قراءة الكف والطالع ، ومهنة الدلالات ، كذلك يشتغل بعضهن بمهنة الغاسلة لموتى اليهود من النساء كما يعمل بعضهن ندابات على الموتى اليهود .

---

(٢) راجع : ناتالى رين : المرأة اليهودية ، ص ص ١٥١ - ١٥٢ ، وقاسم عبده قاسم ، اليهود فى مصر منذ الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ... مرجع سابق ، ص ٦٨ .

(٢) د . قاسم عبد قاسم : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

٥

الفصل الخامس

دور الأقلية اليهودية فى النظام السياسى المغربى

يتناول هذا الفصل الدور السياسى للأقلية اليهودية المغربية خلال الفترة الممتدة من فرض الحماية الفرنسية على المغرب ، ودور اليهود وموقفهم من هذه الحماية ، وموقفهم من الأحزاب السياسية المغربية ، وكذلك موقف هذه الأحزاب السياسية منهم .

كما يتناول هذا الفصل بالدراسة لطبيعة ودور النشاط الصهيونى وسط هذه الأقلية منذ بدء الحماية الفرنسية على المغرب وحتى قيام حرب يونيو ١٩٦٧ بين العرب واسرائيل ، ومدى تأثير هذه الحرب على الواقع السياسى المغربى وموقف اليهود المغاربة والمسلمين من ناحية أخرى . ثم تتبع الهجرة اليهودية المغربية إلى اسرائيل والموقف الرسمى المعلن لليهود المغاربة من هذه الهجرة من خلال مؤسساتهم الشرعية داخل المغرب . وكذلك يتعرض هذا الفصل لدور الصفوة اليهودية المغربية فى إيجاد جسور من العلاقات بين القادة العرب والنظام الاسرائيلى .

الأقلية اليهودية وقضية استقلال المغـرب :

حفلت فترة الحماية على المغرب بكثير من الأحداث ، فكان المغرب مشدودا بالأحداث والتطورات التى يعيشها ، وتتركز فى الجهاد والسعى للحصول على استقلاله ، فى نفس الوقت فإنه كان يتابع الأحداث التى كانت تجرى فى فرنسا وأوروبا ، شاخصا ببصره إلى مجريات الأمور داخل الوطن العربى وحركات التحرر الوطنى ضد الاستعمار من جانب والنازية المتصاعدة من جانب آخر .

فى هذه الفترة الزمنية التى عاشها المغرب ، اتخذت الأقلية اليهودية المغربية مواقفها من الأحداث والتطورات وفقاً لمصالحها الاقتصادية ،

والعوامل التاريخية والاجتماعية والثقافية المتناقضة التى تحدد وضعيتها ، وتطورها ، والوعى الذى تكون لديها عن ذاتها وعن محيطها .

ولقد تأثر إطار الحياة السياسية المغربية فى هذه الفترة بالظروف المفروضة من التشريع الاستعمارى ، الذى حرم المغاربة من الحريات الأساسية . وفى أحسن الظروف كانت تمارس رقابة شديدة على الأحزاب السياسية ، التى سمح لها بالنشاط خلال سنوات قليلة ، ثم تعرضت بعد ذلك للخطر ومتابعة أعضائها ، واعتقال قياداتها ، الذين تعرضوا للسجن والتعذيب والنفى . ولم يكن للمغاربة الحق فى الانضمام للجماعات الثقافية ، كما كان عليهم الانضمام إلى التنظيمات النقابية الفرنسية ، وخضع أيضاً تأسيس الجمعيات الثقافية والرياضية لترخيص من سلطة الحماية . كما خضعت أيضاً الصحافة الناطقة بالعربية والعبرية للترخيص الإدارى ، فى حين أن الصحافة الوطنية كانت تخضع أيضاً للرقابة التى كانت كثيرا ما تصادر أعدادها[١] .

أما بالنسبة لليهود المغاربة فقد تأثر معظمهم فى أغلب الأحوال ببعض من مؤثرات المناخ الصعب الذى نال أبناء المغرب بصفة عامة ، وإن كانت الصفوة اليهودية المغربية تشعر بقدر من الأمان . فقد عينتهم السلطة الفرنسية فى مجالس الطوائف اليهودية والتى ظلت العضوية فيها بالتعيين حتى عام ١٩٤٥ حيث حل الانتخاب داخلها محل التعيين .

وكان لليهود مجلات دورية ناطقة بالفرنسية نذكر منها :

---

(١) انظر : ألبير عياش : الحركة النقابية فى المغرب ، الجزء الأول ، ترجمة نور الدين سعودى ، دار الخطابى للطباعة والنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٨ .

١ – صحيفة المستقبل المصور : فى الفترة من ١٩٢٦ – ١٩٣٦ وقد أسسها توهرمز (Tohrmoz) أحد اليهود الصهاينة الأوروبيين ، وأصبحت لسان حال الفيدرالية الصهيونية بالمغرب ، التى كانت تمثل تجمعها لكافة الجمعيات اليهودية الصهيونية بالمغرب .

٢ – الاتحاد المغربى : وظهرت فى الفترة من ١٩٣٢ – ١٩٤٠ وكانت تصدر بالعبرية العربية ، وكانت تنادى بدمج المغاربة فى الثقافة الفرنسية .

٣ – مجلة نوار – Noire : وظهرت بعد الحرب العالمية الثانية .

٤ – صوت الطوائف ظهرت فى عام ١٩٥٠ وكانت ناطقة باسم مجلس الطوائف اليهودية[٢] .

ويدعى الباحثون اليهود بأن اهتمامات هذه الصحف كانت مادية ونفعية مثل محاربة الرمد والسل والمطالبة بسكن صحى ، ولكن حقيقة الأمر أن هذه الدوريات والصحف كانت النافذة الذى استطاعت منه الحركة الصهيونية أن تمارس نشاطها الإعلامى .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية امتد النشاط الصهيونى إلى التنظيمات الشبابية اليهودية والفروع المحلية لها .

ونظراً للتركيبات المتعددة للشخصية اليهودية والثقافية التى تلقتها . فقد أصبح اليهود المغاربة يخضعون لتيارات مختلفة ومتباينة فرنسية ، يهودية ، صهيونية وبنسبة أقل لحركة الديمقراطية وحركة التحرر الوطنى ، مما نتج عنه نوع من الغموض وخاصة عند هؤلاء الذين حاولوا فيما مضى التوفيق

(٢) د . غازى صلاح أبو العنين : التمييز الطائفى داخل المجتمع الاسرائيلى ، مطبوعات كلية العلوم القانونية والاقتصادية ، جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ١٩٨٤ ، ص ٩٩ .

بين تعلقهم بفرنسا وتعاطفهم مع الصهيونية والتقارب مع المواطنين المغاربة المسلمين .

بعد إصدار فرنسا للظهير البربرى ، وسعيها للتوفيق بين العرب والبربر، فإنه وبخاصة منذ عام ١٩٢٠ كانت الحركة الوطنية المغربية تتطور وتنظم نفسها ، وكان رد الفعل الشعبى قويا ضد الظهير البربرى الذى كان يهدف إلى تغريب المغرب وتجزئته ، وكان الموقف تجاه اليهود المغاربة يستمد مقوماته من نفس المبدأ ، مبدأ الوحدة الوطنية . وفى أول ديسمبر ١٩٣٤ قامت لجنة العمل المغربى . وهى أول منظمة وطنية بتقديم مشروع اصلاحات يطالب بالتطبيق الحرفى لاتفاقية الحماية . وإلغاء الإدارة المباشرة والتوحيد الإدارى والقضائى وانشاء مجالس حضرية ، والمجلس الوطنى الذى يتكون من ممثلين مغاربة مسلمين ويهود . وقد أقر التنظيم السرى للحركة الوطنية أنه ليس فى المغرب دين قومى إلا الإسلام واليهودية ، وأن اللغة العربية وحدها لغة البلاد الرسمية وكان هذا الأسلوب السلمى الذى أتخذته لجنة العمل المغربى مسايرا لميزان القوى الذى كان يطبع المرحلة الأولى لكفاح التحرير الوطنى . وبالفعل فإن لجنة العمل المغربى التى تحولت فيما بعد إلى الحزب الوطنى الذى تولد عنه بدوره حزب الاستقلال ، وحزب الشورى والإستقلال تمخضت عن حركة دينية تنادى بالرجوع إلى التقاليد الإسلامية وقد امتدت هذه الحركة السلفية إلى الميدان السياسى بفضل بعض الشباب ذوى التكوين التقليدى (علال الفاسى أو التكوين العصرى (محمد حسن الوزانى)[١] .

أما المسار السياسى للمغاربة اليهود فى ذلك الوقت فلم يكن هو نفس المسار الذى نهجه المغاربة المسلمون نظرا لأسباب أيدولوجية وثقافية أبرزها

(١) د . ضريف محمد : الأحزاب السياسية المغربية ، دار أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ١٩٨٨ ، ص ١٥ .

ذلك الصراع داخلهم بين الرغبة فى المشاركة فى الحياة السياسية المغربية والرغبة فى الاندماج داخل الحضارة الفرنسية . وفى نفس الوقت كان الصراع العربى الصهيونى بفلسطين قد أقام حجر عثرة فى وجه التقارب بين الأكثرية المسلمة والأقلية اليهودية . فقد طالبت صحيفة (لاكسيون دويويل) من اليهود المغاربة بالحياد حيادا تاما أما صحيفة (اليسوار) فقد انتقدت الصهيونية ، ودعت المناضلين اليهود إلى المرونة والحيطة حول هذه المسألة فى علاقاتهم مع المسلمين . كما شارك اليهوديان ابن زاكين وجاك أهان من المستقلين كممثلين لليهود فى محادثات القوى الوطنية مع سلطات الحماية الفرنسية فى إكس ليبان من ٢٢-٢٧ أغسطس ١٩٩٥[1].

وعندما حصل المغرب عام ١٩٥٦ على استقلاله بعد فترة كفاح متواصلة ضد الحماية الفرنسية ، فقد حصل المغاربة اليهود مع كافة الشعب المغربى على صفة المواطن ، وأصبح الإطار القانونى موحد بالنسبة للجميع إلا فيما يتعلق بالأحوال الشخصية . وأكد الملك محمد الخامس على الحقوق والواجبات المتساوية بالنسبة لليهود المغاربة ، وصرح حزب الاستقلال فى مؤتمره المنعقد عام ١٩٥٥ أن اليهود (يجب أن يعتبروا جزءا لا يتجزأ من الأمة) وأكد حزب الشورى والاستقلال على نفس الأمر ، وأكد هذا الأمر أيضاً الحزب الشيوعى المغربى ، ودعا اليهود الطليعيين إلى العمل على نشر الوعى القومى داخل طوائفهم . فكانت الظروف القانونية والوضعية السياسية مواتية للاندماج الوطنى[2].

---

(١) المرجع السابق ص ص ٨٧ – ٨٨ وكذلك البير عياش الحركة النقابية فى المغرب ، دار الخطابى ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢ ص ٢٢٢ .

(٢) شارلى بيتون : اليهود المغربى يدعو للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، مجلة العلم السياسى المغربية ١٩٨٣/١/١٤ .

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هل كانت الظروف الذاتية لكل من الأقلية اليهودية والأكثرية المسلمة على مستوى الوعى من كل من الطرفين ؟

إن الظروف الجديدة لمغرب مابعد الإستقلال شملت أقلية تطورت على وتيرة ونهج يختلف عن الأكثرية المسلمة التى طورت شعورها القومى فى خضم الكفاح فى سبيل الإستقلال ، فالرواسب عميقة وترجع إلى الماضى البعيد (قلق ، خوف من التغيير) أو القريب (تثاقف وجاذبية فرنسية) أو تدخل فى إطار الحياة اليومية وأثر الصهيونية ، استمرار الهجرة) .

فالأكثرية المسلمة تشعر بارتباطها بالعالم العربى وهى تؤمن بفكرة الوحدة العربية والقومية العربية وترحب بكل المشروعات الوحدوية التى تقيمها السلطة المغربية مع البلدان العربية . والأقلية اليهودية كبيرة التعاطف مع اسرائيل وتبدى تحفظا تجاه العرب . ولم تكن الأقلية اليهودية فى معظمها ذات وعى سياسى فهى على سبيل المثال لم تر فى الناصرية مظهر حركة تحررية معادية للامبريالية والاقطاع ، بل لم تر فيها إلا الإتجاه المعادى للصهيونية ، وكثيرا ما أصبغت عليها صفة الدكتاتورية والرجعية .

ما هى مواقف الأكثرية والحكومية والحركة الوطنية المغربية هل عرفت كيفية مراعاة تلك الخصوصيات ؟ وفى نفس الوقت هل اتخذت إجراءات نحو تغيير اتجاه الأقلية السياسية ؟ ثم هل كانت الحركة الصهيونية العالمية تقف موقف المشاهدة تجاه اليهود المغاربة ؟ وماذا كان موقف الطليعة السياسية لليهود المغاربة ؟

حقيقة الأمر أن السنوات الأولى بعد استقلال المغرب قد شهدت نوعاً من الحماس بين الأكثرية والأقلية ، وكان هذا الحماس يسعى إلى الإندماج

الوطنى لصالح المغرب ، فقد شهد مغرب الاستقلال وجود وزير يهودى فى
الحكومتين الأوليتين هو ليون بن زاكين كما كان هناك عدد من اليهود فى
الدواوين الوزارية ، كما أن عدة شخصيات وأحبار يساهمون فى إطار
المجلس الوطنى الاستشارى وكثيرون هم القضاة والموظفون من جميع
المستويات بما فيها الشئون الخارجية ، وفتحت الشرطة والجيش أبوابها
اليهود المغاربة .

وأصبح مكتب الشريف الفوسفات ، الذى كان معقلا لمعاداة السامية من
طرف الأوروبيين ، أصبح يوظف العمال والمهندسين اليهود .

كما أن الأحزاب المغربية أصبحت تضم العديد من اليهود المغاربة وكذلك
فى مجال الصحافة السياسية ، وفى صفوف الاتحاد المغربى للشغل ،
والاتحاد الوطنى لطلاب المغرب .

كما تم الاندماج أيضاً داخل الأندية الرياضية ، واشترك الشباب
اليهودى مع الشباب المسلم فى مشروعات الخدمة العامة والعمل التطوعى
داخل المدن .

وفى عام ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثى على مصر ، نشر تصريح يهودى
يدين العدوان من قبيل مجلس الطائفة اليهودية بالدار البيضاء .

ولكن الحقيقة أن النظام المغربى لم يحاول أن ينظر إلى أهمية هذه
الوحدة الوطنية إلا من خلال التصريحات الرسمية والقوانين التى تساوى
بين المسلمين واليهود المغاربة ، دون محاولة التعرف على خصوصية تفكير
الأقلية اليهودية والسعى الجاد لإدماجها داخل المجتمع المغربى ، حقيقة أنه
لايمكن أن نغفل دور بعض الأحزاب الوطنية المغربية فى التأكيد والعمل على

التحام المسلمين واليهود المغاربة وإدماج تلك الأقلية داخل المجتمع المغربى ،
لكن النظام المغربى الرسمى لم يولى ذلك الأمر اهتماماً علمياً واكتفى
بالتصريحات ووضع القوانين التى تؤكد ذلك فقط ، دون سعى حقيقى
التقريب بين الأقلية والأكثرية وبصفة خاصة تسبب ضعف التأثير السياسى
اليهود وقلة أعدادهم بعد الهجرة لإسرائيل(*) . ومما يؤكد ذلك أنه فى عام
١٩٦٢ عندما حل (اتحاد المغرب) محل الرابطة اليهودية العالمية أدرج فى
برنامجه ساعتين للغة العربية فى التعليم يومياً ، لكن قصور النظام المغربى
فى اختيار المدرسين اللازمين لهذا الأمر أدى إلى عدم التعريب الحقيقى
لهذه المدارس اليهودية ، والذى لو تم لكانت الأجيال الجديدة من اليهود
المغاربة تتشكل تبعاً للثقافة والهوية العربية بغض النظر عن الدين .

ولعله يجدر أن نحاول تلمس ملامح نظرة اليهود المغاربة للأحزاب
السياسية فى المغرب .

نظرة اليهود المغاربة للأحزاب السياسية :

الظاهرة الحزبية فى المغرب ليست ظاهرة متأصلة ، فقد انبثقت فى فترة
أخذت فيها (الانتماء الوطنى) على حساب الانتماء الأقليمى (الجهوى)
لمواجهة الحماية الفرنسية لكن هذا النمو كان مرحليا ، فما أن حصل المغرب
على استقلاله السياسى عام ١٩٥٦ حتى بدأ التعصب والانتماء الاقليمى
يسترجع مكانه الأصلى على حساب الانتماء الوطنى القومى .

إن هذا الواقع هو الذى جعل الإنسان المغربى يتمثل الظاهرة الحزبية
مرتبطة بالمعيار (الجوى) الأقليمى .

(*) لقاء مع د . محمد رزوق استاذ التاريخ بكلية الآداب ، جامعة الحسن الثانى بمنزله بالدار البيضاء .

«فالحركة الشعبية» من قبل كل شىء حركة بربرية .

«حزب الاستقلال» هو حزب الفاسيين

(الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية) هو نتاج رفض العناصر السوسية للهيمنة الفاسية «الحزب الوطنى الديمقراطى» هو تأصيل لقبائل عبدة ودكالة .

«منظمة العمل الديمقراطى الشعبى» هو تأصيل للعناصر الرئيسية المسيسة وغير المسيسة فى الجنوب خاصة مراكش .

وهذا التمثيل لطبيعة الأحزاب السياسية المغربية هو الذى يفسر لامبالاة الإنسان المغربى تجاه الأحزاب السياسية ، فالأحزاب المغربية تظل أولا وأخيراً أحزاب النخبة أو الصفوة[1] .

وهذا الواقع للحياة الحزبية داخل المغرب ، يفسر لنا موقف اليهود المغاربة من المشاركة فى الحياة السياسية الحزبية والذى يتحدد فى التالى :

١ - أن اليهود المغاربة باعتبارهم أقلية دينية بداخلهم الشعور بأن هذه الاحزاب تسيطر عليها النخب الاسلامية الإقليمية ومن ثم لا مجال مؤثر وفعال لهم داخل هذه الاحزاب ، خاصة أحزاب تفتقد القواعد الجماهيرية ، وعلى ذلك فإن دور اليهود المغاربة داخلها سوف يكون دورا هامشيا .

٢ - أن طبيعة الأقليات أنها تحاول البحث دائما عن الاستقرار والآمان لها داخل المجتمعات الموجودة بها ، ومن ثم فاليهود المغاربة ينأون عن

(١) د . ضريف محمد : محاولة فى تشخيص الموروث السياسى بالمغرب ، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسى ، الدار البيضاء ، ١٩٨٨ ، عدد ٥ ص ٩١ .

الدخول فى هذه الأحزاب التى تعبر عن الروح (الجهوية) أو القبلية وحتى لا يحسبون على طرف ضد طرف آخر .

غير ذلك لم يمنع من انضمام بعض الشباب اليهودى إلى ممارسة الحياة الحزبية داخل بعض الأحزاب المغربية ، وعلى وجه الدقة داخل حزب التقدم والاشتراكية .

أما لماذا يفضل اليهود المغاربة الانضمام لحزب التقدم الاشتراكية ؟

يرجع ذلك لأسباب التالية :

١ - أن الحزب يطرح حلا للقضية الإثنية داخل المغرب ، وهو يرى أن الحل ليس حلا قائما على الفكر السلفى ، لكنه حل قائم على مبادىء الاشتراكية العلمية التى تحارب فى الوطن المغربى كل أشكال السيطرة التى يتمارسها مجموعة سلالية أو دينية أو إقليمية على حساب مجموعة أخرى .

٢ - يرى الحزب أن الثقافة الوطنية المغربية العربية (هى نتاج تفاعل حضارات قرطاجة ، الرومان ، الوندال ، بيزنطة - اليهود - تركيا - فرنسا) ومن ثم فإنه يؤكد على دور اليهودية المغربية فى الثقافة الوطنية[1] .

وقد استطاع اثنان من اليهود المغربة المنضمين لهذا الحزب أن يصبحوا نائبين فى مجلس النواب المغربى .

(١) د . ضريف محمد : محاولة فى تشخيص الموروث السياسى بالمغرب ، مرجع سابق ، ص ص ١٠٩ - ١١٠ .

النشاط الصهيونى فى وسط الأقلية اليهودية المغربية حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧ :

الحديث عن علاقة الصهيونية العالمية باليهود المغاربة ، يتطلب منا أن نتطرق إلى الدور الاستعمارى الفرنسى فى هذا الجانب .

فلم يقتصر الدور الفرنسى على خلق وإعداد الحركة الصهيونية بل امتد ليشمل جميع الشروط الكفيلة بتحقيق أغراضها المتطابقة مع استراتيجية الاستعمار الفرنسى فى المغرب ، حيث عمل على مساعدتها للوصول بمبادئها ومعتقداتها إلى عقول اليهود المغاربة التى كانت تقيم فى وسط المغرب الخاضع للسيطرة الفرنسية . وأدت الجهود الفرنسية إلى عزل اليهود المغاربة عن مجتمعهم الطبيعى ، كخطوة أولى قبل اقتلاعهم من وطنهم السفارديم فلسطين (اسرائيل)[1] .

لقد أبقت سلطات الحماية الفرنسية على جميع الامتيازات التى سبق لبعض اليهود المغاربة أن حصلوا عليها . وذلك بفضل تدخلات الدول الأوروبية الاستعمارية فى الشئون الداخلية للمغرب والتى كان من نتائجها خضوع هؤلاء للقضاء القنصلى الأجنبى والاعفاء من الضرائب حيث شكلت هذه الامتيازات بداية لعملية الاستقلال الإدارى للأقلية اليهودية المغربية ، خروجها عن سلطة الدول المغربية . وأهم ما يمكن ملاحظته بهذا الجانب هو مطالبة بعض اليهود المغاربة والذين كانوا فى غالبيتهم من ذوى أصول أوروبية بإمتداد قانون (كريميو) ليشمل اليهود المغاربة الراغبين فى الحصول على الجنسية الفرنسية[2] .

(١) د . ضريف محمد : الأحزاب السياسية المغربية ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

(٢) نيمة عبد الرحمن : يهود المغرب العربى فى اسرائيل ، شئون فلسطينية ، قبرص ، نوفمبر ١٩٨٠ ، عدد ١٢٠ ص ص ٦٥ – ٦٩ .

وامتدادا للنشاط الصهيونى فى منطقة المغرب العربى ، عرفت الأقلية اليهودية المغربية تأثيرا صهيونيا كان مصدره خلال مطلع القرن الحالى الفيدرالية الصهيونية لفرنسا التى استطاعت ومن خلال بعض فعاليات هذه الأقلية الذين يعودون إلى أصول أوربية إقامة بعض التجمعات الصهيونية التى تم ربطها بالمنظمة الصهيونية العالمية والتى حاولت ومنذ نشأتها تزويد اليهود المغاربة بمبادئنا ، وذلك بغرض فرض مفاهيمها الخاصة باليهودية من جهة – والحصول على الدعم المالى من هذه الطائفة من جهة أخرى[1] . ولقد صرح ذلك علنا الصهيونى (كوركوس) أحد أعضاء اللجنة الفرنسية – الفلسطينية التابعة للفيدرالية الصهيونية الفرنسية أثناء زيارته للمغرب عام ١٩٢٦ حيث قال :

(لانريد حتى محاولتكم للذهاب إلى فلسطين ، فلدينا ما يكفى من المرشحين للهجرة لدينا الكثير ، إننا لانبذل جهودا فى فتح أبواب فلسطين ، بل على العكس نبذل كل شىء من أجل اغلاقها ، إننا لانسمح بالدخول إلى أولئك الذين يتقدمون وهم يتوفرون على بضعة دولارات أو جنيهات استرلينية ومؤهلات متخصصة ... إن ما هو مطروح عليهم (أى يهود المغرب) هو تدعيم قضية تجديد اليهودية التى تمثلها وترمز لها الصهيونية ، وذلك عبر تعاطفهم الفعال إننا لانريد فقط الذهب الأمريكى بل أيضاً الذهب المغربى)[2] .

لقد كشف هذا التصريح حقيقة النوايا الصهيونية وطبيعة الدوافع التى صاحبت اتصالها باليهود المغاربة ، والتى جاءت بغرض الحصول على الدعم المالى منهم وإخضاعهم لمتطلبات احتياجاتها من العنصر البشرى متى أرادت وبالحجم الذى يناسبها ، حيث منحت حق الأولوية فى الهجرة نحو

(١) وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، مرجع سابق ص ص ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٠ .

(٢) صحيفة العلم السياسى المغربية : (عدد خاص عن يهود المغرب) ، مارس ١٩٨٤ ، ص ٢٨ .

فلسطين ليهود المغرب ، وعلى الأخص يهود ودول أوربا الشرقية ، وبال
اتسم النشاط الصهيوني بين اليهود المغاربة في بداية عهده بجمع التبرعات المالية لفائدة المنظمة الصهيونية العالمية ونشر مبادئها بين اليهود المغاربة فمنذ عام ١٩٠٢ كان يهود المغرب يشترون (الشكاليمات) وهي عبارة عن اشتراك سنوي لدعم الحركة الصهيونية العالمية ، كما تأسس في نفس العام أول جمعية صهيونية بمدينة الصويرة ثم جمعية (محبي صهيون) بمدينة صفرو(١)

لقد استطاعت الحركة الصهيونية العالمية في محاولة منها لتلبية احتياجات المستعمرات التي أقامتها في فلسطين وإحياء فكرة العمل العبري هناك تهجير حوالي مائة عائلة يهودية من مدينتي صفرو وفاس وذلك في الفترة بين عامي ١٩٢١ ، ١٩٢٢ . ولقد عادت غالبية هذه العائلات إلى المغرب بعد أن اتضح لها حقيقة الهدف الذي وقف من وراء عملية تهجيرها والذي كان يقضي بقيام أبنائها بالأعمال الدنيا والشاقة التي يرفض القيام بها المهاجرون الأوائل وهم في معظمهم من يهود الدول الأوربية(٢).

وكانت الفيدرالية الصهيونية بفرنسا هي المكلفة بتسيير النشاط الصهيوني في المغرب ، حيث سمحت لها سلطات الحماية الفرنسية عام ١٩٢٥ بإقامة فروع لها في المدن المغربية وفي عام ١٩٢٦ شرع وبصفة منتظمة في انتخاب مندوب عن الأقلية اليهودية المغربية بالمنظمة الصهيونية العالمية . وقد مثل يهود المغرب الذين اعتنقوا الصهيونية (توهرمز) والذي

(١) داود كوهن : الطوائف اليهودية بالمدن الشاطئية المغربية مابين ١٨٨٠-١٩٤٠ . مرجع سابق ، ص ١٢٨

(٢) صحيفة يديعوت احرنوت : مقال بقلم بينه بيزل : الهجرة العكسية ، مارس ٨٤ نقلا عن صحيفة العلم السياسي المغربي ، مرجع سابق .

عشر مندوبا في المؤتمر الصهيوني العالمي السادس عشر والثامن عشر والتاسع عشر ، وكذلك في المؤتمر العشرين . وفي عام ١٩٤٥ تم الترخيص من قبل سلطات الحماية الفرنسية للمنظمة الصهيونية للمغرب وذلك للعمل بصورة علنية ورسمية وقد جاء هذا التصريح عقب عودة أعضاء البعثة الصهيونية الممثلة للطائفة في مؤتمر بلتيمور الاستثنائي للمنظمة الصهيونية العالمية والذي انعقد في نوفمبر ١٩٤٤ حيث طالبت البعثة فور عودتها من سلطات الحماية منحها الترخيص في إقامة الفيدرالية الصهيونية للمغرب التي تكلف بالسهر على النشاط الصهيوني في وسط اليهود المغاربة(١) .

وفي يونيو ١٩٤٦ عقدت المنظمة أول مؤتمر جهوي لها في مدينة الدار البيضاء شارك فيه خمسون وفدا مثلوا مختلف فروعها المنتشرة في المدن المغربية . وأكدت مختلف الوفود على تعلقها بالمبادىء والأهداف الصهيونية المتعلقة بإقامة الوطن القومي اليهودي فوق أرض فلسطين .

وتصاعد النشاط الصهيوني بالمغرب بتأسيس عدد من فروع المنظمات الصهيونية الموالية والمتخصصة في نشر المبادىء الصهيونية بين مختلف فئات الأقلية اليهودية المغربية ، بهدف تلقيهن المبادىء الصهيونية ، وحثهن على تربية أولادهن تربية صهيونية . كما تم إنشاء فرع لمنظمة الشباب الصهيوني العالمية (الياها نوار) وذلك لنفس الهدف . وقد تكلفت هذه المنظمة بإرسال فتيان اليهود المغاربة إلى المدارس المهنية التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية والمنتشرة في بعض الدول الأوربية حيث تقوم بأعدادهم وتدريبهم بعد ذلك للذهاب إلى فلسطين(٢) .

(١) صحيفة العلم المغربية ، مرجع سابق .

(٢) روث بلادن : كيف أجبر اليهود المغاربة على الهجرة ؟ صحيفة العلم السياسي ، ص ٣ . ٤ . مرجع سابق ، ص ص ٣ . ٤ .

وتعد منظمة (كاديماح) أشد تلك المنظمات الصهيونية خطورة حيث عملت على تضليل أبناء اليهود المغاربة وتهجيرهم إلى فلسطين . ويمكن القول أن جهود جميع المنظمات الصهيونية التى عرفها المغرب منذ نشأت الحركة الصهيونية عملت فى تنفيذه وإخراجه إلى حيز الوجود منظمة (كاديماح) ، حيث أقامت لها مخيما قرب مدينة الجديدة ، كانت تجمع فيه العائلات اليهودية التى يتم نقلها فيما بعد إلى مخيم (أريناس) القريب من مدينة مرسيليا الفرنسية الذى كان يستقبل العائلات المهجرة ويشرف فى نفس الوقت على عملية نقلها إلى فلسطين . وقد حظر نشاط هذه المنظمة بإغلاق فروعها عقد الإعلان عن استقلال المغرب وإنهاء عهد الحماية .

إن النشاط الصهيونى وسط اليهود المغاربة لايعنى أن كل الأقلية اليهودية المغربية قد انضمت إليه . فهناك بعض اليهود المغاربة منذ مطلع هذا القرن وحتى الآن تحذر وتدين حركة الصهيونية العالمية . ففى عام ١٩١٩ وقف يحيى زاكورى رئيس الطائفة اليهودية بالدار البيضاء يحذر اليهود المغاربة والمقيم العام الفرنسى (المارشال ليوطى) من خطورة التحرك الصهيونى العالمى وسط اليهود المغاربة وفى رسالة منه يوم ٦ سبتمبر ١٩١٩ للمقيم العام الفرنسى بالرباط كتب يقول (إن للصهيونية يدا فى حركة الهجرة اليهودية المغربية ، فقد أثرت على بعض اليهود الذين كانوا مترددين ، وأصبحوا يتوقون إلى أن يكونوا أول المستفيدين من إنشاء الدولة الصهيونية الجديدة ، وإنى أرى أن الصهيونية تمثل خطرا كبيرا على اليهود المغاربة ، وتحاول التأثير على بعض العقول . أما فيما يخص مدينة الدار البيضاء فكان من اليسير أن أقضى على كل عمل صهيونى أنه كمن الأفضل إذا كانت الإقامة العامة تشاطرنى الرأى فسيكون من الأفضل الحرص فى تكتم على منع كل دعاية صهيونية بالمغرب[1] .

(١) داود كوهن : الطوائف اليهودية ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

وعندما قلت هجرة يهود العالم إلى إسرائيل فى الستينات بدأت المنظمة الصهيونية العالمية تفكر فى أهمية العمل على هجرة اليهود المغاربة إلى اسرائيل حيث يمكن أن يمدوها بأيد عاملة كثيرة ورخيصة ، واتيحت الفرصة مع زيارة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عام ١٩٦١ إلى المغرب وقامت بحملة دعائية دولية فى اتجاه المغرب وتعلن أن اليهود المغاربة يعانون من الاضطهاد . وبدأت الأوساط الصهيونية داخل المغرب والتى كانت مجندة من قبل المخابرات الإسرائيلية (الموساد) تضع خطة لاغتيال جمال عبد الناصر أثناء الزيارة وقد وضع هذه الخطة يهودى مغربى يدعى (أرسين) والذى عضوا لمجموعة (الإطار) التابعة للموساد[1] .

ومما زاد عنف النشاط الصهيونى بين وسط اليهود المغاربة غرق سفينة صيد كانت محملة باليهود المغاربة المهاجرون سرا إلى إسرائيل وقد غرق نتيجة هذا الحادث ثلاثة وأربعون يهوديا ، وانتهزت الصهيونية هذا الحادث وأطلقت حملة عدائية ضد المغرب الذى أدعت أنه يحتفظ باليهود كرهائن . ووزع عدد من اليهود المغاربة المتعاونين مع الصهيونية منشورا صهيونيا فى عدد من المدن المغربية يتهمون فيه النظام المغربى والمسلمين المغاربة بالتعصب والعنصرية . وقد تصدت جماعة يهودية مغرية من ٢٤ شخصا من مختلف الاتجاهات السياسية ضد هذا المخطط الصهيونى ، ونادت باستنكار وإدانة النشاط الصهيونى داخل المغرب ، وطالبت بوقف المنشورات الصهيونية التى يوزعها اليهود المجندون من الصهيونية ، مؤكدة أن اليهود المغاربة هم مواطنون مغاربة لا يستطيع أحد أن يحرمهم من هذه الطائفة . وقد عرف هذا الموقف انتشارا واسعا وتبناه مائتان وخمسون من اليهود المغاربة فى مختلف المهن ، وعملت الصحف والإذاعة المغربية على

(١) د . وجيه الحاج سالم وأخرون : مرجع سابق ، ص ٤٤١ .

نشوه وإذاعته[١] . وفى الفترة مابين عام ١٩٦٢ ، وعام ١٩٦٧ حيث كانت الحملة الصهيونية من أجل هجرة اليهود المغاربة على أشدها ، استطاعت أن تنتصر فى أهدافها ، فالجوازات اليهودية أصبحت جماعية تسلمها وزارة الداخلية المغربية ، والمنظمات الصهيونية برغم كونها غير قانونية ، فإنها كانت تتحرك فى حرية لتنظيم الرحلات فى طريق بواخر وطائرات بأكملها ، وكانت تتجه إلى الفئات الأقل استقرارا من الناحية الاقتصادية وإلى الشباب اليهودى الذين يلحق بهم أباؤهم فيما بعد .

وكانت الأكثرية المسلمة تنظر إلى هذه الهجرة بعين الشك والريبة ، وعبرت الصحافة السياسية المغربية عن استنكارها وخيم جو من الحذر ، وانعزل اليهود من جديد ، وأثارت قضية اعتناق الدين الاسلامى من طرف اليهود فى الفترة التى تولى فيها علال الفاسى وزارة الشئون الإسلامية حقد اليهود المغاربة ، حيث نشطت وزارة الفاسى فى إسلام عدد من اليهود المغاربة ، وخاصة الشباب ونشرت جريدة (صوت الطوائف) اليهودية عددا من المقالات ضد سياسة الفاسى[٢] .

غير أن النظام المغربى فى عام ١٩٦٣ ، يعود ليؤكد حقوق المواطنة المعترف بها لليهود المغاربة ففى انتخابات مجلس النواب المغربى عام ١٩٦٣ ضم أول برلمان مغربى نائباً يهودياً عن مدينة الصويرة[٣] .

وهنا يجدر بالإشارة إلى أن هناك فرقا بين أن تشعر الأقلية اليهودية بالمساواة مع الأكثرية المسلمة نتيجة أن النظام المغربى نظام يحكم وفق الشريعة الإسلامية التى تسوى بين أبناء البلد الواحد فى الحقوق والواجبات

(١) شمعون ليفى : الطائفة اليهودية فى إطار تاريخ المغرب ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .
(٢) شمعون ليفى : المرجع السابق ، ص ٧٦ .
(٣) د . ضريف محمد : الأحزاب السياسية المغربية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

دون النظر إلى معتقدهم الدينى ، وبين ماحدث فى المغرب فى هذه الفترة من تسلل الصهيونية ليس إلى اليهود المغاربة فحسب بل استطاعت أن تسلل إلى البعض من الصفوة المغربية الإسلامية والتى عملت على تحريكهم إلى صالحها سواء عن وعى من هذه الصفوة أو عن عدم وعى منها وأستطاعت الصهيونية فى هذه الفترة أن تلجأ إلى بعض التنظيمات والأشكال الجديدة التى يبدو فى مظهرها البعد عن النشاط الصهيونى ، لكنها فى حقيقة الأمر صهيونية مقنعة تذكر منها أندية الروتارى المنتشرة فى معظم مدن المغرب والتى تغلغل نشاطها داخل المغرب[١] إلى أن أصبح أحد زعماء الروتارى المغربى وهو داوود بن عمار الذى يتولى رئاسة مجلس الطوائف اليهودية صديقا شخصيا للقصر الملكى وأحد مستشاريه ، وقد منحه القصر وسام العرش عام ١٩٨٤ .

حرب يونيو ١٩٦٧ وتأثيرها على الواقع السياسى المغربى :

كان نتيجة نكسة ١٩٦٧ بعد حرب الأيام الستة بين إسرائيل ومصر ، أن خلفت صدمة حقيقية لدى الأكثرية المغربية المسلمة ، وفى الوقت نفسه هلل اليهود المغاربة لانتصار اسرائيل ، وإن حاولوا إخفاء مشاعرهم أمام المغاربة المسلمين خشية غضب الأكثرية المسلمة ، وخوفاً من أن يحدث فى المغرب مثل ما حدث فى تونس أو ليبيا من تحطيم لمحلاتهم التجارية واقتحام معابدهم . لكن حقيقة الأمر ، أنه لم يحدث داخل المغرب فى هذه الفترة أن نظمت مظاهرة معادية لليهود المغاربة ، ولم يهاجم أى معبد أو أى يهودى لكن بدأت تظهر غضبة الأكثرية المسلمة فى سلوك آخر فظهرت حركة

(١) مزيد من التفاصيل أنظر : د . أبو اسلام أحمد عبد الله : الماسونيه فى المنطقة ٢٤٥ ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة ، ١٩٨٥ .



مقاطعة للتجارة والمحامين والأطباء اليهود ، لكن هذا السلوك الغاضب لم يستمر طويلاً ففى شهر أغسطس ١٩٦٧ عادت الأمور إلى ماكانت عليه[١] .

وفى هذا الوقت بدأت تظهر فى صفوف النقابات المغربية دعوة إلى تصفية هذه النقابات من العناصر الامبريالية والصهيونية ، وإنصافا للحق كانت هذه الدعوة تميز بين اليهود والصهاينة لكن رد الحكومة المغربية على ذلك هو اعتقال قادة الحركة النقابية التى طالبت بذلك ، ومثل هذا الأمر يثير مجموعة من القضايا تحتاج إلى دراسة متعمقة وثائقية تحليلية . هل أقدمت الحكومة المغربية على ذلك خشية تفاقم أزمة تحدث بين اليهود والمسلمين ؟ وإذا كانت الدعوى ضد الصهاينة وليس اليهود وكانت لديها القدرة على التمييز بين الفريقين فهل يعنى ذلك أن أقدمت الحكومة المغربية على ذلك تحت ضغط من الصهيونية المغربية والعالمية ؟

وفى النصف الثانى من عام ١٩٦٧ اختار الكثير من اليهود الهجرة تلبيه لطلب إسرائيل المهاجرين بعد توسعها فى الأرض العربية المحتلة[٢] .

ولم تعد الأقلية اليهودية المغربية تقدر إلا بعشر عددها قبل ثلاثين سنة مضت وانه وإن كان يبدو للوهلة الأولى لأى باحث أنه عدد قليل ، ولكنه فى واقع الأمر عدد كثير إذا اعتبرنا أن اليهود المغاربة يمثلون أهم أقلية يهودية عربية صعدت أمام إغراءات الصهيونية ، وجاذبية الهجرة إلى فرنسا ، والخوف من تصرفات لا مسئولة من بعض الأكثرية المسلمة[٣] .

---

(١) مارك تسلر ولندال هاوكينز : الثقافة السياسية لليهود فى تونس والمغرب ، مرجع سابق ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٢) وليم فهمى : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(٣) جدع جلادى : اسرائيل نحو الأنفجار الداخلى ، دار البيادر ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٨٧ .

غير أن ماينبغى أن يذكر فى هذا المجال أن الهجرة اليهودية المغربية لم تتوجه كلها إلى إسرائيل ، إذ هاجر عدد كبير منهم إلى فرنسا وكندا والولايات المتحدة ، ولعل ذلك يفسر لنا السبب فى تأسيس جمعيات لليهود المغاربة فى هذه البلاد ، وعملت هذه الجمعيات على الاهتمام بالتراث اليهودى المغربى ، وحتى لايعمل المهجر على ضياع جذور هويتهم المغربية بل إن كثيرا من اليهود المغاربة دفعوا للهجرة إلى إسرائيل رغم أنوفهم نتيجة للضغط الصهيونى الداخلى والخارجى[١] .

واعتبار من عام ١٩٧٤ ومع بداية الانفراجة الديمقراطية فى المغرب شارك اليهود المغاربة فى النشاط السياسى المغربى وعندما أعلن الملك الحسن الثانى (المسيرة الخضراء) للتأكيد على أن الصحراء جزء من التراب المغربى ، سارع اليهود المغاربة إلى تسجيل أسمائهم كمتطوعين . وقام وفد عن مجلس الطوائف اليهودية المغربية بجولة فى الخارج لشرح وجهة نظر النظام الملكى فى ذلك ، كما بعثت أعداد كبيرة من اليهود المغاربة المهاجرة ببرقيات التضامن إلى القصر الملكى .

لكن هذا لايعنى أن كل اليهود المغاربة هم أصحاب ولاء القصر الملكى وللنظام المغربى ، فهناك أيضاً قلة من اليهود المغاربة وخاصة فى منظمة إلى الأمام (السرية)[٢] ، لهم مواقف معارضة من القصر والنظام المغاربى[٣] .

---

(١) المرجع السابق : ص ص ٧٩ - ١١٢ .

(٢) توجد بالمغرب عدد من المنظمات السرية اليسارية أهمها :
١ - منظمة إلى الأمام . ٢ - منظمة ٢٣ مارس . ٣ - حركة القاعدين .
أنظر تقرير منظمة العفو الدولية ١٩٨٨ .

(٣) لقاء للباحث مع عدد من السياسين المغاربة بالدار البيضاء قد طلبوا عدم ذكر أسمائهم .

ولكن لاحظ الباحث أن هناك نوعاً من التعتيم على ذلك يشارك فيه النظام الحاكم فى المغرب وكذلك اليهود المغاربة ، ربما خوفا من أن ذلك الأمر يقلل من ثقة السلطة المغربية فيهم .

وقد استطاع الباحث أن يعرف قصة أحد هؤلاء اليهود المغاربة المسجونين حالياً فى أحد سجون المغرب بأمر من السلطة المغربية ، والطريف أن الباحث لاحظ أن المسلمين المغاربة يتحدثون عنه بإعجاب وإعزاز شديد ، باعتباره مغربيا دون النظر إلى ديانته . هذا اليهودى المغربى يدعى (إبراهيم سرفانى)(1) .

أما عن دور إبراهيم سرفانى فى الحركة السياسية المغربية فهو أحد زعماء الجبهة المعارضة لضم الصحراء إلى المغرب وكان من المنادين بضرورة أن ينال سكان الصحراء حقهم فى تقرير مصيرهم . نادى إبراهيم سرفانى بذلك فى أثناء حرب الصحراء بين المغرب وأبناء الصحراء ، وقبل أن تعلن الأمم المتحدة والمغرب حق الاستفتاء للشعب الصحراوى . وقد دفع إبراهيم سرفانى حريته ثمنا لذلك . وقد قام عدد من المحامين المغاربة المسلمين للدفاع عنه ، كذلك قامت منظمة التحرير الفلسطينية بالمغرب بالاتصال ببعض المحامين للدفاع عنه وتحمل كافة نفقات الدفاع ، كما عملت على نشر قضيته وجلسات محاكمته فى جريدة (الاتحاد الاشتراكى المغربى) .

وقد إستفسر الباحث من بعض المثقفين المغاربة المسلمين عن موقف الشعب المغربى ومكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالمغرب فى الدفاع عن إبراهيم سرفاتى . فأجمع كل من سألهم أن سرفانى من أشد أعداء الصهيونية وهو دائما ينادى بأنه يهودى ولكنه ليس صهيونيا ، وأن

(1) نفس اللقاء السابق .

الصهيونية ضد اليهودية ويفضح أساليب ووسائل الصهيونية وإسرائيل فى الصحف المغربية . وعلل بعض هؤلاء أن الصهيونية وراء محاكمة وإدانة إبراهيم سرفاتى .

وفى ١٧ مارس ١٩٧٦ نشرت الحكومة المغربية تصريحاً كان له صدى كبيرا فى نفوس اليهود المغاربة الذين يعيشون خارج المغرب ، إذ قالت إنهم يمكنهم الرجوع إلى بلدهم فى أى وقت ، ويشمل ذلك كل يهودى مغربى لم يعد حاملا لجواز السفر المغربى .

وكان أحد أسباب ذلك مناشدة بعض اليهود المغاربة ، داخل إسرائيل ، ملك المغرب بالسماح لهم بالعودة إلى المغرب(1) .

وقد عادت أسر يهودية ، كما عاد البعض من الشباب اليهودى وبدأت أعداد اليهود المغاربة العائدين تتزايد حتى وصل إجمالى اليهود المغاربة داخل المغرب الآن حوالى نصف مليون نسمة .

مجلس الطائفة اليهودية والمؤتمر اليهودى المغربى ودورهما السياسى:

مجلس الطائفة :

يقوم مجلس الطائفة اليهودية بالرباط بتنسيق عمله مع باقى اليهود المتواجدين فى مناطق مختلفة من المغرب . ويعتبر سكرتيره العام هو الممثل الرسمى للأقلية اليهودية المغربية . ويقوم بعرض كل مطالب اليهود المغاربة على الحكومة المغربية ، ويسمح رسمياً بمقابلة السكرتير العام لمجلس الطائفة اليهودية بمقابلة الوزير الأول ، أو تحرير مذكرة بمطالب اليهود المغاربة وعرضها على السلطات المغربية .

(1) انظر الملحق : رسالة شارل بيتون إلى الملك الحسن الثانى .

كما يعتبر الحاخام الأكبر للدار البيضاء أهم شخصية يهودية تمثل الأقلية فى المجتمع المغربى ، كما تختار السلطة المغربية إحدى الشخصيات اليهودية الهامة ليمثل اليهود فى المجلس البلدى بالدار البيضاء ، وهو يقوم بالدفاع عن مصالح اليهود والاهتمام بمشاكلهم .

ومن الجدير بالذكر أن بن عمار تولى فى مايو ١٩٨٤ تنظيم مؤتمر الطوائف اليهودية المغربية الذى عقد فى الرباط واشترك فيه عدد ٣٨ إسرائيليا من بينهم عدد من أعضاء الكنيست الاسرائيلى [١] حتى أن الاتجاه السائد لدى رجل الشارع المسلم فى المغرب أن بن عمار هو الذى مهد لزيارة شيمون بيريس إلى المغرب ولقائه بالملك الحسن الثانى بمدينة ايفرن .

ولعل قيادة مجلس الطائفة اليهودية للمؤتمر اليهودى المغربى ، والعمل السياسى اليهودى ككل يجعله مسئولا أيضاً عن العلاقة بين هذا النظام والدولة الإسرائيلية من ناحية أخرى بحكم تغلغل العملاء الصهاينة فى هذا المجلس وذلك المؤتمر ، وهذا ما سيتضح فيما يلى من صفحات .

المؤتمر اليهودى المغربى :

الأقلية اليهودية المغربية أقلية نشطة ، وهى تقيم لها مؤتمرا سنوياً بالمغرب ينظمه مجلس الطائفة اليهودية ، غير أن من الصعب التعرف على قرارات هذه المؤتمرات ، ولا ينشر منها إلا مايرى مجلس الطائفة جواز نشره . ففى يوليو ١٩٨٨ نظم مجلس الطائفة مؤتمره السنوى بفندق هيلتون

(١) المؤتمر اليهودى العالمى منظمة دولية تضم ممثلين عن كل الأقليات اليهودية فى العالم للدفاع عن حقوق اليهود الدينية ، راجع عبد الوهاب المسيرى وسوسن حسن ، مرجع سابق ، ص ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

بمدينة الرباط وقد أصدر بعض التوصيات التى أعتمدتها الحكومة المغربية نذكرها فى التالى :

١ - إعادة هيكلة المؤسسات اليهودية وفقاً لنصوص جديدة تراعى الواقع الجديد .

٢ - العمل على إدماج اليهود المغاربة فى الحياة الوطنية المغربية .

٣ - التأكد على مشاركة اليهود المغاربة فى الحياة السياسية المغربية بغض النظر عن الاتجاهات المختلفة التى يمثلها هؤلاء اليهود .

٤ - العمل على تقديم تراث اليهودية المغربية كجزء من التراث الوطنى المغربى ، وفى هذا الاتجاه أوصى المشاركون بتعليم اللغة العربية .

٥ - الاهتمام بمشكلات الشباب اليهودى .

لكن السؤال الذى يحتاج إلى إجابة ، هل حقيقة أن هذه المؤتمرات التى تنظمها الأقلية اليهودية المغربية تهدف فقط إلى تلك الأهداف المعلنة فى التوصيات والتى تهدف إلى التواجد الفعال بينهم وبين الأكثرية المسلمة ؟ أو أن هناك أهدافا أخرى خفية تعمل على تحقيقها ؟ وبمعنى أكثر دقة هل هى مؤتمرات يهودية مغربية أم نقف وراءها الصهيونية العالمية ؟

حقيقة الأمر أن هذه المؤتمرات التى تنظمها الأقلية اليهودية المغربية ، قد تراوحت ردود الفعل تجاهها داخل الحكومة المغربية ذاتها ، بل وأيضاً بالنسبة للأكثرية المغربية المسلمة ولعل أبرز ردود الفعل هذه هو التنصل من تبعات هذا المؤتمر إلى المطالبة ببحث هذا الموضوع فى مؤتمر وزراء الخارجية العرب بل وفى مؤتمر القمة العربى .

وذلك للأسباب التاليـة :

١ - يسجل على الأقلية اليهودية المغربية عدم الاتصال الرسمى أو الشعبى مع أن منظمة التحرير الفلسطينية قد أكدت أكثر من مرة من خلال مكتبها بالرباط على هوية اليهود المغاربة كمواطنين عرب لهم الحق فى التواجد داخل الوطن العربى مثل بقية المغاربة .

٢ - تدعو الأقلية اليهودية عددا من اليهود غير المغاربة وخاصة يهودا من إسرائيل لحضور مؤتمرهم السنوى الذى يعقد داخل المغرب .

ونفسر دعوة هؤلاء اليهود من قبل الأقلية اليهودية المغربية بالأسباب التالية :

١ - أن وجود اليهود الذين يحضرون هذا المؤتمر السنوى من يهود المغرب وكذلك يهود إسرائيل يهدف به اليهود المغاربة إلى إطلاع أعضاء المؤتمر من غير يهود المغرب على نموذج التعايش الناجح بين اليهود والمسلمين المغاربة .

٢ - إطلاع أعضاء المؤتمر من اليهود غير المغاربة على حرص الحكومة المغربية على ترميم أماكن العبادة اليهودية رغم نزوح أغلبية اليهود المغاربة عن البلاد .. وذلك ليلمس هؤلاء اليهود الضيوف الفرق بين ما تتمتع به أضرحة ومزارات اليهود من احترام ، وما تتعرض له مقدسات المسلمين فى القدس من معاناه واعتداء على بقائها وعروبتها .

والباحث يرى أن تلك الأسباب التى يطرحها مجلس الطائفة اليهودية المغربية عن إشراك يهود من بلدان أخرى وخاصة من إسرائيل ما هى إلا إدعاءات لاتعبر عن الحقيقة .

فإذا كان الهدف كما يدعى مجلس الطائفة فما هو السبب فى دعوة بعض الشخصيات الصهيونية العالمية لهذه المؤتمرات ؟

إن مثل هذا الأمر فى حقيقته ما هو إلا دعوى لإظهار مثل هذه المؤتمرات بمظهر التطبيع الصهيونى ، خاصة عندما تصر بعض هذه الشخصيات الصهيونية على الخروج عن جدول أعمال المؤتمر ، وذلك لإضفاء الطابع السياسى عليه ، ومما يؤكد ذلك ما نادى به رئيس المؤتمر اليهودى العالمى الذى حضر هذا المؤتمر عام ١٩٨٨ فى مدينة الرباط - وهى العاصمة السياسية والمقر الرسمى لملك المغرب وللحكومة المغربية ولمجلس النواب المغربى - بأن القدس لم تشهد تسامحا دينيا مثل التسامح الذى عرفته تحت الاحتلال الاسرائيلى .

وعندما أصر على أن مشكلة الشرق الأوسط لا يمكن أن تحل إلا بالاعتراف بالحكم الذاتى للأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ ، أى لا حل إلا بحرمان الشعب الفلسطينى من حقه المشروع فى ترابه الوطنى[1] ، وهو يعلم أن هذا المشروع مرفوض من قبل الشعب الفلسطينى ومن قبل الأمة العربية التى تبنت مشروع فاس كحد أدنى تقبل به لحل المشكلة الفلسطينية .

كما تعمل هذه المؤتمرات على استقرار مشاعر المسلمين المغاربة وأبناء الأمة العربية من خلال تواجد أعضاء الكنيست الاسرائيلى فى هذه المؤتمرات ، والتى تهز مصداقية المغرب فى العالم العربى والإسلامى .

ويلعب بعض من الصفوة اليهودية المغربية دوراً رئيسياً فى إيجاد علاقات بين العرب وإسرائيل ، ومن البديهى أن هذه العلاقات لصالح

(١) أنظر ملحق الوثائق ، مؤتمر الطائفة اليهودية فى المغرب بين التعايش الديمقراطى والتطبيع الصهيونى، منشورات مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالمغرب ، بدون تاريخ .

إسرائيل وعلى حساب القضية الفلسطينية أكثر منها علاقات متساوية ، وقد حاول الباحث أثناء زيارته للمغرب أن يعرف بعضا من أسماء هذه الصفوة اليهودية المغربية التي تلعب هذا الدور فلم يتمكن من ذلك ، حيث أن مثل هذه الأمور تدار في سرية تامة وأن كان يتردد دائماً أن داود بن عمار مستشار الملك أحد هذه الصفوة اليهودية المغربية المحركة لهذه الأمور . ومما يرجع ذلك دور المغرب في التمهيد لمعاهدة كامب ديفيد .

يقول أريك سيلفر Eric sliver (أن مبادرة السادات لم تولد من فراغ فقد ساعد في مولدها رئيس شيوعي وملك عربي . أما الرئيس الشيوعي فهو رئيس رومانيا السابق نيقولاي شاوشيسكو .. أما الملك العربي فهو الملك الحسن الثاني ملك المغرب رئيس الدولة العربي الاكثر قبولا لفكرة إجراء حوار مع إسرائيل ، وزاره إسحاق رابين بصفته رئيساً للوزراء متنكرا باستخدام شعر مستعار ونظارة شباب وفي شهر سبتمبر ١٩٧٢ بعد جلسة تمهيدية مع ممثل كبير للموساد ، وجه الملك دعوة إلى موشى ديان لزيارة القصر الملكي في مراكش . وبناء على طلب وزير الخارجية[1] أرسل الملك الحسن رسالة للقاهرة تقترح عقد لقاء مصري إسرائيلي على مستوى عال . وفي غضون أربعة أيام من عودة ديان إلى القدس ، جاء الرد بأن المصريين على استعداد لذلك ، واقترحوا عقد إجتماع إما بين السادات وبيجين[2] أو بين حسن التهامي نائب رئيس الوزراء المصري في ذلك الحين وموشى ديان، وأستقر الرأى على إجراء المحادثات بين ديان والتهامي في الرباط يوم ١٦ سبتمبر .

---

(١) يقصد الكاتب موشى ديان وزير الخارجية إسرائيل في هذه الفترة .

(٢) أريك سطفر : بيجن سيرة ذاتية ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، كتب مترجمة ، العدد ٧٨٧ ، ص ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

ليس هناك إختلاف على أنه يوجد نوع من الحوار بين القصر المغربي وبين قادة إسرائيل ، وليس ذلك سرا فزيارة شمعون بيريز إلى المغرب ولقاؤه بالملك الحسن الثاني في يوليو ١٩٨٦ كانت زيارة معلنة . وقد أصدر القصر الملكي المغربي بيانا عن هذه الزيارة[1] كما ألقى الحسن الثاني خطابا اذاعة على الشعب المغربي حول لقائه بشمعون بيريز[2] وقد أثار هذا اللقاء عددا من ردود الفعل العربي ، فقد هلل له اليهود المغاربة ، وفي الوقت الذي أدانته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وبعض الأنظمة العربية المعادية لاسرائيل ، وبعيداً عن أي تقييم لهذه الزيارة ، فإن الملك الحسن الثاني كان شجاعاً عندما أعلن عن هذه الزيارة وعندما أذاع بيانه عنها ، وفي الوقت نفسه ظهرت بعض الكتابات اليهودية تقول إن هذه الزيارة لبيريز لم تكن الأولى ، فقد قام بزيارة سرية في مارس ١٩٨١ التقى فيها مع الحسن الثاني وأستغرقت يومين[3]

وقد لاحظ الباحث أن المواطن المغربي لايعرف شيئاً عن هذا اللقاء ، وقد ذكر أحد أعضاء هيئة التدريس بجامعة الحسن الثاني[4] للباحث أن ذلك اللقاء لو كان حدث فعلاً فإن الذي مهد له هم بعض اليهود المغاربة المقربين للقصر الملكي ، ويبدو أن العلاقات بين القصر وبين اليهود خارج المغرب علاقات ليست جديدة وأن معبر هذه العلاقات هم بعض الصفوة اليهودية

---

(١) راجع ملحق الوثائق .

(٢) راجع ملحق الوثائق .

(٣) مناى جولان : شمعون بيريز ، الفصل ٤١ ، ص ص ٤٣٢ - ٤٣٨ ، مركز البحوث والمعلومات - القاهرة - بدون تاريخ .

(٤) طلب عدم ذكر اسمه .

المغربية حتى أن اسحاق رابين كان في زيارة سرية إلى المغرب في أكتوبر ١٩٧٦ . ولم يعرف بها أحد من الشعب المغربي [١] .

إن مايهم الباحث أن يوضحه حول هذا اللقاء أنه جاء بعد يومين من افتتاح بيريز لصندوق التبرعات اليهودية الموحد في جنيف يوم ١٦ مارس ١٩٨١ ، والذي تشترك فيه الطائفة اليهودية المغربية ، ويعني ذلك أن عدداً من الصفوة اليهودية المغربية كانت تمهد لذلك اللقاء ، وخاصة وأن بيريز اعترف بأنه تلقى مكالمة قبل سفره إلى جنيف ببضعة أيام تبلغه بوجود ملك المغرب يطلب منه الحضور إلى المغرب . وقد حاول الباحث أثناء لقائه ببعض الشخصيات المغربية أن يصل إلى اسم هذا المندوب الملكي فلم يصل إلى حقيقة مؤكدة غير أن المرجح أنه (داوود بن عمار) مستشار الملك أو (مكسيم أزولاي) عضو المجلس الملكي الاستشاري لحقوق الانسان [٢] .

وقد حضر بيريز هذه الزيارة السرية ومعه وفد إسرائيلي لم يشارك في المباحثات حيث كانت المباحثات مقصورة على الملك الحسن الثاني وبيريز . فما هو عمل الوفد الاسرائيلي اذن ؟ ومن هم المرافقون الذين رافقوا هذا الوفد؟ من المرجح أن الوفد الاسرائيلي لم يبق ساكنا طوال مدة إقامته ، بل زار المعابد اليهودية المغربية والتقى ببعض اليهود المغاربة من الصفوة ، ومن أعضاء مجلس الطائفة . ثم ماذا كانت وراء هذه اللقاءات ؟

حقيقة الأمر أن الصفوة اليهودية المغربية وإن كانت تمارس دوراً في الحياة السياسية الحزبية والعامة داخل المجتمع المغربي ، فبعضها يمارس دورا آخر مع الحركة الصهيونية .

---

(١) لقاء مع بعض المثقفين المغاربة بمدينة الدار البيضاء ، والنادي البحري بمدينة المحمدية .

(٢) لقاء مع بعض المثقفين المغاربة بمدينة الدار البيضاء ، والنادي البحري بمدينة المحمدية .

أن هذا لايعني أن كل اليهود المغاربة يعملون لصالح الحركة الصهيونية العالمية، فمنهم من يدينها ويقف موقف العداء منها مثل إبراهيم سرفاتي وكذلك ألبير عياش الذي كان استاذا للتاريخ بجامعة محمد الخامس بالرباط، وتعرض لكثير من الضغوط من قبل السلطة المغربية ومجلس الطائفة اليهودية وذلك نتيجة لأفكاره الاشتراكية وتصديه للفكر الصهيوني ، وتأكيده على وحدة الشعب المغربي بكل جماعاته الاثنية[١] كما أن هناك بعضا من أفراد هذه الأقلية اليهودية يقفون دائما مع الموقف العربي ضد الموقف الاسرائيلي . فقد لوحظ خلال حرب ١٩٦٧ تبرع عدد من اليهود المغاربة بدمائهم لصالح جرحى الحرب .

---

(١) أنظر ألبير عياش المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية وكذلك كتابه الحركة النقابية بالمغرب .

٦

الفصل السادس

اليهود المغاربة فى اسرائيل

تقضى الضرورة المنهجية لدراسة اليهود المغاربة أنتروبولوجيا متابعة المهاجرين منهم إلى فلسطين المحتلة ودورهم فى المجتمع الاسرائيلى الذى ينشأ هناك بعد إعلان دولة اسرائيل .

وسوف نعرض بالدراسة لثلاث قضايا رئيسية هى أوضاع هؤلاء اليهود المغاربة فى اسرائيل من ناحية الهجرة والبنية الديمجرافية والواقع الاقتصادى والاجتماعى وموقفهم من ممارسة التمييز العنصرى ضد اليهود الشرقيين أو السفارديم ، ثم نعرض ثانياً – موقفهم من قضايا الهوية والانتماء ومحاولات صهرهم فى المجتمع الجديد ، ثم نعرض ثالثا لدورهم فى النظام السياسى الاسرائيلى ، لمحاولة البحث عن الاتجاه السياسى الذى غلب عليهم ، ومدى تمتعهم بالخصوصية السياسية ، ومدى تمثيلهم فى المؤسسات الرسمية للدولة .

أولا - أوضاع اليهود المغاربة فى اسرائيل :

أ - الهجرة والبنية الديمجرافية :

المجتمع الاسرائيلى مجتمع حديث النشأة والتطور ، فهو مجتمع هجرة تكون خلال فترة زمنية قصيرة بموجات متلاحقة من الهجرة اليهودية ، بدأت بدايتها فى الثمانيات من القرن الماضى ، وازداد معدلها فى الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن ، ثم بلغت الهجرة ذروتها بعد إقامة الكيان الصهيونى منذ ١٩٤٨ وحتى الآن .

وحتى تتمكن المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية من بناء مجتمع واحد منسجم ومتماسك من اليهود المهاجرين متعددى الأصول الإثنية والانتماءات الحضارية ، عمدت إلى عملية دمج قسرى باستخدام أساليب ووسائل

متعددة ، فى محاولة منها لاستيعاب جميع فئات اليهود مختلفى الأصول والانتماءات الحضارية فى نموذج مجتمع حضارى غربى الهوية والانتماء .

غير أن محاولات وسياسة الدمج والاستيعاب لم تحقق إلا نجاحاً محدوداً أمام التناقضات الحادة بين اليهود من أصل غربى (الأشكناز) والذى عاشوا فى مجتمعات أوروبية مسيحية واليهود من أصل شرقى وعربى والذين عاشوا فى مجتمعات إسلامية (السفارديم) وذلك بسبب الاختلاف والفروق وأنماط السلوك المتمايزة داخل كل من هاتين الجماعتين[1] .

إن من المعروف أن الأفكار الصهيونية قد انتشرت فى أوساط اليهودية الغربية وخاصة فى وسط وشرق أوربا ، كما أن اليهود الاشكناز كانوا السابقين فى انشاء الهيئات والمنظمات الصهيونية على أرض فلسطين والاستيلاء على الأرض والاستيطان عليها ، ثم إقامة الكيان الاسرائيلى عام ١٩٤٨[2] . هذا فى حين أن مساهمة اليهود السفارديم فى كل ذلك كان محدودا جداً . وهكذا حتى عام ١٩٤٨ ، كانت نسبة السفارديم لا تتجاوز ٩٪ من مجموع اليهود فى فلسطين . وإذا استثنى يهود فلسطين الأصليون نجد أن يهودا من اليمن والعراق مصر وبعض اليهود المغربة قد هاجروا إلى فلسطين فى عام ١٩٤٨ ، لكن الأسباب والدوافع لم تكن نتيجة أيديولوجية صهيونية بقدر ما كانت دينية – روحية ، أو اقتصادية تجارية على عكس ما كان عليه الأمر بالنسبة للمهاجرين الأشكناز[3] .

---

(1) Abdo, Ali,: Jews of Arab countries. P.L.O.P., Research center, Beirut, 1970,p. 170.

(2) Abdo, Ali: OP. Cit. P. 52

(3) جدع جلادى ، اسرائيل نحو الانفجار الداخلى ، مرجع سابق ص ٨ .

ولكن أوضاع ونوعية الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد ١٩٤٨ اتخذت اتجاها مختلفا ، حيث أصبح عنصر السفارديم هو العنصر الغالب ، وقد أدى هذا الانقلاب فى حركة واتجاهات الهجرة ومصادرها إلى انقلاب مماثل فى التوازن السكانى ، فبعد أن كان السفارديم لا يمثلون أكثر من ١٠٪ من مجمع السكان اليهود فى فلسطين عام ١٩٤٨ بلغت هذه النسبة ٤٢.٣٪ عام ١٩٦١ و٥٦٪ عام ١٩٧٢ وحوالى ٦٥٪ عام ١٩٨٥ . وبواقع الأرقام المجردة فقد ارتفع عدد اليهود السفارديم فى اسرائيل إلى أكثر من عشرة أضعاف خلال عقد ونصف من السنين من حوالى ٩٠ ألف نسمة عام ١٩٤٨ إلى حوالى مليون نسمة عام ١٩٦١ ثم وصل عام ١٩٨٥ إلى حوالى مليونين ونصف المليون نسمة(١) .

وتعترف اسرائيل بأن اليهود السفارديم يشكلون الأغلبية فى الدولة ، لكنها لا تنشر الأرقام الحقيقية لأسباب أمنية ، حيث أن نسبة السفارديم التى بلغت الآن حوالى ٧٠٪ من تعداد يهود اسرائيل قد تشجعهم على النضال من أجل حقوقهم ، ولذلك اتخذت الدوائر الأحصائية الحكومية سياسة التضليل وتزوير الاحصاءات فقسمت اليهود كما يلى :

١ - المولودون فى اسرائيل من أب مولود فى اسرائيل وبلغت نسبتهم عام ١٩٨٥ - ١٨.٥٪ من مجموع اليهود وهذه الفئة تشمل الأشكناز ويهود البلدان العربية معاً .

٢ - المولودون فى آسيا وأبناؤهم (المشرق العربى) وتبلغ نسبتهم ٢١.٣٪ .

٣ - المولودون فى أفريقيا وأبناؤهم (المغرب العربى ومصر) وتبلغ نسبتهم ٢٢٪ .

(١) أشرف راضى : الفجوة ، الصراع الطائفى فى المجتمع الصهيونى ، دار البيادر القاهرة ١٩٨٧ ، ص ٢٣ .

٤ - المولودون فى أوروبا وأمريكا وأبناؤهم وتشمل (الأشكناز ويهود البلقان والبيض من جنوب أفريقيا) وتبلغ ٣٨.٢٪(١) .

ان الزيادة الكبيرة لعدد اليهود السفارديم فى اسرائيل يمكن تفسيرها بالأسباب التالية :

١ - الهجرة الجماعية ليهود البلدان العربية بعد عام ١٩٤٨ .

٢ - أن نسبة المواليد لدى السفارديم أعلى منها لدى الأشكناز ، مما يعطى ديناميكية إيجابية لصالح ازدياد نسبة اليهود السفارديم فى المستقبل بالرغم من نضوب مصادر الهجرة الشرقية .

٣ - هجرة اليهود الأشكناز من اسرائيل إلى المغرب ولاسيما الولايات المتحدة ، وتقدر المصادر الاسرائيلية هذه الهجرة بحوالى نصف المليون على الأقل منذ عام ١٩٤٨(٢) .

وإذا حاولنا الوصول إلى مدى أبعد فى ايضاح صورة البنية الديمجرافية سنجد أن أكبر الفئات من اليهود السفارديم اليهود من أصل مغربى حيث تشير احصائيات عام ١٩٨٥ أن عددهم يصل إلى ٤٧٨.٣٠٠ نسمة يليهم يهود العراق بواقع ٢٦٧.٨٠٠ نسمة ثم يهود اليمن بواقع ١٦٥.٦٠٠ نسمة .

وإذا أضفنا اليهود من أصل تونسى وجزائرى الذين يصل عددهم إلى حوالى ١٢٤.٣٠٠ نسمة ويهود ليبيا حوالى ٧٧.٣٠٠ نسمة فإن يهود الشمال الافريقى يصل عددهم إلى حوالى ٧٠٠ ألف نسمة .

(١) جدع جلادى : المرجع السابق ، ص٨ .

(٢) اشرف راضى : الفجرة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤ - ٢٧ .

ويعتبر اليهود المغاربة أكبر الطوائف اليهودية فى اسرائيل وبالرغم من أن وجودهم لم يكن يذكر حتى عام ١٩٤٨ (حوالى ألف مهاجر فقط) إلا أن عددهم يتجاوز اليوم مليون نسمة ويشكل هؤلاء الجزائر وتونس وليبيا وحدة إثنية تكاد تكون متجانسة يتجاوز عددها ثلاث أرباع مليون نسمة ، يمثلون حوالى ربع مجموع السكان اليهود المقيمين فى إسرائيل(١) .

وتمت هجرة اليهود المغاربة إلى اسرائيل فى موجتين ، أولهما فى النصف الثانى من الخمسينيات ، فى حين كانت الهجرة الثانية فى الثلاث سنوات الأولى من الستينات .

وعن أسباب دوافع هذه الهجرة تختلط الدوافع الدينية والاقتصادية بجهود الحركة الصهيونية ومنظمتها السرية بالمغرب(٢) مضافا إليها عامل الخوف والقلق والتشكك من المستقبل فى ظل الاستقلال الوطنى للمغرب والذى بثته الدعاية الصهيونية بينهم . وقد أدت هذه العوامل إلى هجرة ما يقارب ٢٥٠٠٠٠ من يهود المغرب إلى الخارج ، وصل ما نسبته ٦٠٪ منهم إلى الكيان الاسرائيلى فى حين فضل الباقون الاستقرار فى أقطار العالم الغربى(٣) .

ب - الواقع الاقتصادى الاجتماعى :

كانت الإقامة الأولى لمهاجرى المغرب فى معسكرات انتقالية عرفت باسم

(١) فى مقابلة أجرتها صحيفة يديعوت أحرونوت مع أحد زعماء حركة (عويد) ذات الطابع المغربى فى ١٩٨٠/١٢/١٢ وأشار إلى أن ٢٥٪ من يهود اسرائيل هم من أصل شمال أفريقيا .

(٢) من المعروف أن المنظمة الصهيونية العالمية كان لها فروع سرية نشطة فى البلدان العربية التى كان يقيم بها مواطنون يهود ، وكانت تعمل على جذبهم نحو الأيدولوجية الصهيونية وتهجيرهم إلى اسرائيل .

(٣) محمد العربى المسارى : ماذا عن اليهود المغاربة فى اسرائيل ؟ العلم السياسى ، مارس ١٩٨٤ .

المعابر (معبروت) وتعنى معبرا مؤقتا ينتقل المهاجر بعده إلى مسكن وعمل دائمين ضمن عملية استيعاب ودمج عناصر المجتمع الاسرائيلى بمختلف انتماءاتها . لكن هذه المعابر التى كانت مؤقتة فعلا بالنسبة لليهود الأشكناز كانت سكنا شبه دائم استمر أعواما طويلة بالنسبة ليهود المغرب كما هو الشأن بالنسبة للغالبية العظمى من اليهود السفارديم(١) وبعد هذه الأعوام الطويلة التى عاشها اليهود المغاربة داخل هذه المعابر انتقلوا للسكن فى مساكن صغيرة المساحة غير واضحة شديدة الازدحام عرفت كأحياء خاصة بهم .

ومن هذه الأحياء التى عرفت بساكنيها من اليهود المغاربة ، حى المصرارة فى القدس ، وحى وادى الصليب فى حيفا بالإضافة إلى مدن التطوير أو مدن مشارف الصحراء مثل عقلان المجدل فى بئر السبع(٢) .

وإذا كانت تجربة المعابر هى التجربة المريرة الأولى للمهاجرين فى الوطن الجديد فهى بالنسبة لقادة اسرائيل الأشكناز تعد تجسيما لنظرية عنصرية استعلائية تجاه كل ما هو شرقى ، وقد تركت هذه التجربة اثارا وذكريات مريرة فى نفوس اليهود المغاربة ، حيث وجدوا أنفسهم قاعدة الهرم الاجتماعى الذى تربعت عليه النخبة الأشكنازية ، وذلك بعد أن كان اليهود المغاربة فى وطنهم المغرب يمثلون جزءا من الطبقة البورجوازية فى المغرب ، بمختلف فئاتها ، تحولوا فى اسرائيل إلى أدنى مستوى من الطبقة العاملة بحيث لايوجد أدنى منهم فى السلم الطبقى إلا اليد العاملة العربية فى اسرائيل .

(١) محمد العربى المسارى : ماذا عن اليهود المغاربة فى اسرائيل ؟ العلم السياسى ، مارس ١٩٨٤ .

(٢) مجلة الأرض : مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية ، دمشق ١٩٨٥/١٢/٢١ ، ص ٢٧ .

إن حي المصرارة فى القدس أحد الأحياء الكبيرة المعروفة بساكنيها من اليهود المغاربة ، عرفت فى الوقت نفسه كأحد أكثر الأحياء فقرا وبؤساً فى الكيان الاسرائيلى وأطلق عليه أسماء عديدة تشير إلى مدن الفقر والبؤس الذى يعانيه القاطنون فيها منها (مملكة الفقراء) و (حثالة البؤس الاجتماعى) . ومن هذا الحى نشأت حركة (الفهود السود) التى هى طليعة حركة تحرير البلدان العربية من الظلم الصهيونى ، والتى تصدر قيادتها شارلى بيتون[1] المغربى الأصل.

أما عن الأوضاع الاجتماعية لليهود المغاربة فى هذا الحى فهى :

- ٣٨٪ من السكان يعيشون فى أحوال سكنية مزدحمة ، أى أكثر من ثلاثة أشخاص فى غرفة واحدة .
- ٥٨ ٪ يعيشون أكثر من ٢ فى كل غرفة .
- ٥٨ ٪ من المساكن تعانى من الرطوبة .
- ٥٣ ٪ من المساكن لا تملك الشروط الصحية اللازمة .

من ضمن صف مدرسى يشمل ٢٥ طالباً قبل ثلاثة طلاب فقط فى مدرسة صناعية ولم يقبل الباقى للدراسة فى مدرسة ثانوية .

- ١٩ ٪ من الشباب (سن ١٦-١٧) لايعملون ولا يدرسون .
- ٢٥ ٪ من الشباب يرفض الخدمة العسكرية .
- ٣٩ ٪ من الرجال (سن ٢٢ – ٣٠) عاطلون عن العمل .

---

(١) شارل بيتون : أسس عام ١٩٨٥ حركة سماها نضال ٨٥ (Struggle 85) من أجل الحرب ضد الظلم الاجتماعى والفقر بين أوساط اليهود السفارديم والوقوف ضد منظمة (كاهان) اليمينية لمزيد من التفاصيل أنظر مجموعة من الكتاب اليهود : اسرائيل الثانية : ترجمة فؤاد جديد ، منشورات فلسطين المحتلة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ .

- ٦٥ ٪ من الأطفال لهم أب أمى أو والدة أمية .
- ٢٥ ٪ من الأطفال هم أبناء أميين .
- ٥٠ ٪ من الكبار لا يملكون ثقافة ابتدائية[1] .

وبصفة عامة فقد حرم المغاربة اليهود من التعليم بحكم غلاء الأقساط والمصروفات في المرحلتين الثانوية والجامعية ، والتمييز فى الإمكانيات المادية بين مدارس الأشكناز ومدارس السفارديم سواء على صعيد المدرسين وكفاءتهم أو فى مجال وسائل الإيضاح والخدمة التعليمية . فقد جاء فى إحصاء أجرى فى اسرائيل أن نسبة الطلاب اليهود من أصل شرقى فى الجامعات لاتزيد عن ٣٧ فى الألف . بل أن السود فى ديمونة كانوا لا يقبلون فى المدارس ويتعلمون فى البيت ولا يمنحون شهادة ميلاد لعدم الاعتراف بيهوديتهم ، لتعارض ذلك مع الإدعاء بالنقاء العرقى اليهودى[2] .

أن الوضع الاقتصادى لليهود المغاربة ، لاينفصل عن النظرة العنصرية التى تنظر بها السلطة الحاكمة فى اسرائيل لليهود السفارديم عموما وللمغاربة منهم بشكل خاص فيهود المغرب ينظر إليهم نظرة مليئة بالشك والخطورة فيصفهم بن غوريون بقوله* :

(أن اليهود المغاربة ليس لهم حضارة ، إنهم متأثرون بالعرب ، ونحن لا نريد هنا حضارة مغربية) وقال عنهم فى لجنة الدستور بالكنيست

---

(١) جدع جلادى : اسرائيل نحو الانفجار الداخلى ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

(٢) عكيفا الدار : ظاهرة التطرف السياسى بين اليهود الشرقيين فى اسرائيل ، مجلة الأرض ، دمشق ١٩٨٣ ، عدد ١٢ ، ص ١٣ .

* كان أول رئيس ووزير للدفاع فى اسرائيل ، وزعيم حزب – ماباى ، وزعيم الهسندروت .

الاسرائيلى (إن اليهود المغاربة وحوش بشرية) كما وصفهم عام ١٩٥٩ بأنهم (طائفة بدائية تتعاطف مع الخارج على القانون واللص والقواد والقاتل)[١] .

وتقول جولد امائير رئيسة الوزراء ووزيرة العمل الاسرائيلى السابقة ومن زعماء حزب العمل : (نحن فى اسرائيل فى حاجة إلى مهاجرين ذوى مستوى رفيع .. إن لدينا مهاجرين من مراكش وليبيا وايران ومصر ومن بلدان أخرى ترجع مستوياتهم الاجتماعية إلى القرن السادس عشر) .

أما عن الإعلام وبخاصة الصحافة الاسرائيلية فنجد مقالا بتاريخ ٤٩/٤/٢٢ فى جريدة هارتيس (لأربية غلبيلوم) يهاجم فيه يهود المغرب العربى وخاصة اليهود المغاربة ويقول عن هجرتهم لإسرائيل : (إنها هجرة عنصر لم نعرف مثله فى البلاد حتى الآن ، ويبدو أن هناك فوارق بين القادمين من ليبيا والمغرب والجزائر يقولون مثلا أن الليبيين والتونسيين أفضل وأن الجزائريين والمغاربة أسوأ . لكن المشكلة واحدة . وبصورة عامة أمامنا شعب بلغت بدائيته الذروة ، وتصل ثقافته إلى حد الجهل التام والأخطر من ذلك أنه يفتقر إلى القدرة على استيعاب أى شىء روحانى ، وبصورة عامة فان مستواهم لا يفوق المستوى العام للسكان العرب والزنوج والبرابرة .. وهم يفتقرون إلى جذور فى اليهودية وفى مقابل ذلك خاضعون تماما للعبة البدائية والمتوحشة ... إن هذا العنصر المعادى للمجتمع لايؤمن جانبه ... لقد وعدنى هؤلاء أكثر من مرة قائلين (عندما تنتهى الحرب ضد العرب فسوف نشن حربا على الأشكناز) وفى أحد المعسكرات وضعوا خطة تمرد تتضمن الاستيلاء على أسلحة الحراس ، وقتل جميع موظفى الوكالة

(١) صحيفة العلم السياسى المغربية : ١٩٧٨/١٢/٢٠ + جدع جلادى ، ص ص ٣٣١ - ٣٣٣ .

اليهودية فى المعسكر ... أنهم يفتقدون إلى المهن ... وكلهم يقولون أنهم كانوا تجارا فى أفريقيا . والحقيقة أنهم كانوا باعة جائلين ... وكلهم يريدون العيش فى المدينة .. ماذا نفعل بهم ؟ ماذا ستكون دولة اسرائيل ومستواها فى وجود هؤلاء؟....) .

لقد كان الفقر والبطالة والبؤس والنظرة الاستعلائية من الأشكناز هى التى جعلت اليهود المغاربة يشعرون بأنهم خدعوا بالهجرة إلى اسرائيل ، وقد كانت زيادة احساسهم بالظلم الاجتماعى هو الذى أدى بهم مظاهر الاحتجاج التى بلغت درجة العنف فى الكثير من الحالات ، وأن اليهود المغاربة كانوا الأكثر وعياً للواقع الاقتصادى - الاجتماعى لليهود السفارديم ومن ثم كانوا المبادرين إلى بلورة مظاهر الاحتجاج الاجتماع والتبلور السياسى وتعزيز الانتماء الإثنى - الحضارى[١] ، ومقاومة النظرة الاستعلانية الأشكنازية وشكلوا مع بقية السفارديم لجنة الطائفة السفارادية بالقدس . كما كونوا مجلة اليهود العرب فى إسرائيل[٢] ، كما فكروا فى الهجرة العكسية إلى المغرب[٣] .

ثانيا - اليهود المغاربة وقضايا الهوية والانصهار فى المجتمع الجديد :

إن النموذج الحضارى الذى اختير ليندمج فيه جميع اليهود كان النموذج الغربى ، وبمعنى آخر فإن عملية الصهر والدمج لعناصر المجتمع المتناقضة لم تخرج عن كونها عملية تعريب قسرى يقوم به المجتمع اليهودى

(١) شموئيل تريافو : اسرائيل الثانية ، المشكلة السفاردية ، مقدمة فى اسرائيل الثانية والمشكلة السفاردية ، مجموعة من الكتاب اليهود ، ترجمة فؤاد جديد ، منشورات فلسطين المحتلة ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٤٢٢ .

(٣) أنظر الملحق : رسالة شارل بيتون عضو الكنيست إلى الحسن الثانى .



الأشكنازى للعناصر السفاردية .

ويوجز المحامى اليهودى المغربى الأصل (ابراهام بوروغو) العملية التدميرية لأسس اليهودية الشرقية فيقول فى البدء مررنا نحن اليهود الشرقيون بعملية تحويل إلى يهود غربيين وذلك أن الدولة كانت ومازالت تحت السيطرة لطبقة الأشكناز ... وفى البداية كانوا يجهدون لجعل اليهودى العربى يخجل من أصله ويخجل من عاداته ، ويخجل من الحديث باللغة العربية ، باعتبارها لغة العدو ، ويخجل من الاستماع لاغنية عربية أو موسيقى عربية ، وخلقوا لدينا ما يسمى بعقدة الولاء للدولة[١] .

ان تشبيه اليهود السفارديم بالعرب احتقار يكاد يكون على لسان كل يهودى أشكنازى ، وهى بالإضافة إلى أنها تذكير دائم لهم بأنهم ليسوا من سلالة اليهود الرواد الذين صنعوا اسرائيل والتى تدعى الصهيونية بأنهم خلقوا الحضارة والمدينة والديمقراطية معهم ، بل هم جزء من مجتمع الاستبداد الشرقى المتخلف . ويقول أحد المثقفين من أصل مغربى : (أن أقذع قذف يطلقونه علينا هو تذكيرنا بأننا لسنا عربا ، بحيث أخذ ينتابنا شعور بعقدة الدونية بالنسبة للأشكناز) . ويدلل على ذلك بأنه فى إحدى مظاهرات الفهود السود ، وصفه أحدهم بقوله (يا عربى) فما كان منه إلا أن انهال عليه ضربا ولكن مع مرور الزمن أخذ يسأل نفسه ، أو لست عربيا بالفعل ؟ ليصل إلى إجابة سريعة بسيطة ، نعم إننى يهودى عربى . ويشير هذا المثقف إلى حقيقة أن الاضطهاد الجماعى الذى عاناه اليهود المغاربة كان الأكثر حساسية وقسوة[٢] .

(١) صحيفة القبس الكويتية ١٩٧٨/١٠/٢٦ .

(٢) جدع جلادى : اسرائيل الانفجار من الداخل ، مرجع سابق ، ص ص ١٦٠ - ١٦٤ .

أ - رفض اليهود المغاربة الانصهار فى الثقافة الغربية :

بدأ تمرد اليهود المغاربة على الممارسات التى يفرضها عليهم اليهود الأشكناز - والتى تتمثل فى التمييز بينهم ، ومحاولات الصهر والدمج فى الثقافة الغربية - فضلاً عن ظروف البطالة والفقر الذى تحياه الأسر اليهودية المغربية .

ويقول الكاتب الاسرائيلى (شلو موسفيرسكى) فى كتابه (ليسوا متخلفين بل أرغموا على التخلف) أنه أجرى حوارا مع سكان قرية شمونة والتى يسكنها يهود مغاربة نذكر منه بعض ماجاء على لسان هؤلاء السكان .

١ - (زوج أختى قدم إلى اسرائيل عام ١٩٤٨ ، ولكنه هاجر منها بسبب التمييز .. ابنتى تطلب منى تغيير اسم العائلة المغربى لأنه يحول دون تقدمها ، وتريد أن نسمى أنفسنا باسم روسى) .

٢ - (كل الطباخين وسائقى السيارات وعمال التنظيف بالجيش من المغاربة لماذا ؟ أما بشأن النضال السياسى فليس لى القوة والوقت لذلك . كل يوم أذهب إلى عملى وأعمل بمعدل ١٤-١٥ ساعة وهذا يشمل الساعات الإضافية .. الرواتب لايكفى إلا ١٥ يوما فى الشهر ... باقى الأيام أعيش على القروض .. رتبوا حياتى بطريقة تعوقنى عن ممارسة العمل السياسى) .

٣ - (حطموا النظام العائلى بعد أن كان للأب نفوذ فى العائلة .. ثم ألصقوا بنا تعابير مهينة مثل (مغربى أبو السكين) أى أننا فى نظرهم مجرمين وقتلة)[١] .

(١) ميلدا صايغ : التمييز ضد اليهود الشرقيين فى اسرائيل ، دراسات فلسطينية ، بيروت ، عدد ٨٥ ، ص ص ١٧ - ٢٢ .

كل هذه الظروف الصعبة التى عاش فيها اليهود المغاربة جعلتهم يفكرون فى عمل ايجابى يواجهون به سلوك وتصرفات الأشكناز تجاههم ، وتعود أولى هذه المجالات الايجابية إلى عام ١٩٥٩ ، حين أقدم مهاجر مغربى وصاحب مطعم فى حى وادى الصليب على تأسيس اتحاد مهاجرى شمال أفريقيا[١] وكان هدف هذا الاتحاد هو الاحتجاج على ما يعانوه اليهود المغاربة ثم ظهرت بعد ذلك حركة الفهود السود فى أوائل السبعينات فى حى المصرارة فى القدس ، قبل أن تنتشر لتعم مختلف تجمعات اليهود المغاربة والسفارديم بشكل عام . وكانت زعامة الحركة من يهود المغرب الذين دخلوا السجون الاسرائيلية . وقد نمت حركة الفهود السود التى أخذت تناضل من أجل حقوقها وأخذ زعماؤها يعتزون بأصلهم العربى وحضارتهم الإسلامية ، الأمر الذى أدخل الرعب فى قلوب المؤسسة الأشكنازية الحاكمة . وقد رفض شباب حركة الفهود السود الخدمة العسكرية الإجبارية ، ولم تستطع المؤسسة العسكرية أن تفرض عليهم هذه الخدمة[٢] .

وبعد ذلك تكونت حركة (بياحد) من اليهود المغاربة ضد محاولات المؤسسة الحاكمة الأشكنازية التى تهدف إلى تغريب وتذويب اليهود المغاربة وطمس هويتهم الخاصة .

وقد جعلت حركة بياحد أهم هدف لها هو انقاذ التراث التاريخى ليهود المغرب العربى ، وقد أعادت الاعتبار لعديد من العادات والشعائر الدينية الخاصة باليهود المغاربة ، كالاحتفال بعيد الميمونة منذ عام ١٩٨٣ ، كما

(١) قام اليهود المغاربة باحراق المحلات التجارية ، هاتفين عاش السلطان ، أنظر .
Patai, Raphael : Israel between East and West. The Jewish publication of Society of America, Philadelphia 1953 pp 294-296.

(٢) الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨٩ + مجلة كل العرب ١٩٨٥/١٢/١١ .

عملت على تنمية روح الاعتزاز بالنفس ، وذلك بهدف تغيير الصورة السيئة والمطبوعة فى الأذهان حول اليهود المغاربة ، وذلك عن طريق إبراز النواحى الإيجابية فى حياتهم وتراثهم التاريخى - الحضارى .

وقد قابلت السلطات الاسرائيلية هذه الحركة بالتشجيع أول الأمر ، نظرا لانها ضمت قيادات وأثرياء يهود البلدان العربية وكان يمكن استخدامها . لكن لما لم تتمكن من ذلك واجهتها بالعداء لسببين أولهما أن الحركة تصر على رفع مستوى الوعى الاجتماعى واستقلالية العمل ، وثانيهما لأن الحركة اتهمت بالعمل السياسى ، ولذلك قطعت المساعدات المالية الحكومية عنها .

وقد وقعت حركة بياحد فى خطأ كبير عندما انضمت إلى حزب (مابام) لمدة عامين ، فى أواخر الستينات وانتهى هذا الارتباط بفشل كامل ، ويرجع السبب فى ذلك أن منظمة بياحد كانت تضم اليهود المغاربة وحزب المابام حزب صهيونى أشكنازى ، ومن ثم رفض منح أدوار قيادية لرجال بياحد .

وتزعم الصحيفة الاسرائيلية (شيلى بيحيموفيتش) : (ان حركة بياحد فشلت فى أهدافها ، لأنها حركة بورجوازية تتألف من ذوى الشهادات العالية أو الأثرياء المغاربة)[١] فعمدوا إلى طلب التصريح القانونى بها ، فأتى القرار من رئيسة مجلس الوزراء جولدا مائير بالرفض وبدون تعليل . وفى مساء اليوم نفسه ١٩٧١/٣/١ قام رجال الشرطة بحملة اعتقالات واسعة ضد المغاربة من حركة الفهود السود كإجراء لمنع المظاهرة . لكن المظاهرة قامت رغم ذلك يوم ١٩٧١/٣/٣ وسجلت نجاحا باهرا .

وبعد ذلك أخذ اليهود المغاربة يطورون حركتهم الاجتماعية فاهتموا ووحدوا حركتهم مع منظمة الفهود السود ، وتحولت صرخات الاستغاثة

(١) باروخ مثيرى : أسمر فخور وموظف حكومى ، ملحق صحيفة معاريف ، تل أبيب ، ١٩٨٤/٣/٢ .



والاحتجاج الصادرة من حى المصرارة إلى اصطدامات دموية بين اليهود المغاربة والفهود من جانب والشرطة الاسرائيلية من جانب آخر ، إلى حد إلقاء قنابل المولوتوف ، الأمر الذى جعل رئيسة وزراء اسرائيل تقول (قنابل ألقاها اليهود ضد اليهود فى دولة يهودية) .

واستمرت ظاهرة التمرد والاحتجاج على ممارسات السلطة الاسرائيلية من قبل اليهود المغاربة ، والذين اندمجوا فى منظمة الفهود السود . ولعل أبرز هذه المظاهرات التى حدثت فى القدس فى ٧١/٨/٢٣ واشترك فيها ثمانية آلاف من المتظاهرين .

لكن الملاحظ أن حركة الفهود السود والتى كانت تضم عددا كبيراً من اليهود المغاربة لم تتمكن من أن تصل إلى كونها قوة سياسية مؤثرة بين القوى والأحزاب السياسية فى إسرائيل .

ويرجع ذلك للأسباب التالية :

١ – وسائل العنف والاعتقالات التى استخدمتها الحكومة ضد الفهود السود أبعدت الكثير من الناس عنهم ومنهم اليهود المغاربة خوفا من الإرهاب الحكومى .

٢ – الرشوة الحكومية التى منحت لقسم من مؤيدى الفهود السود فى صورة نقود أو عمل .

٣ – انعدام القاعدة الاقتصادية الداعية للفهود .

٤ – قلة ثقافة زعماء الفهود وبعدهم عن النقابات العمالية واعتمادهم على الشعارات الفضفاضة[1] .

---

(١) جدع جلادى : مرجع سابق ، ص ٢٥٥ .

٥ – انضمام الفهود إلى الجبهة الديمقراطية حطم استقلال الفهود ، وأبعد عنهم كل من لايؤيد الفكر الماركسى والحزب الشيوعى ، ومن ثم ابتعد عنها أغلبية اليهود المغاربة[1] .

وخلاصة القول أن الشعور العفوى لليهود المغاربة قد سعى دائماً على التأكيد على الجذور والثقافة المغربية ورفض محاولات التغريب والتذويب فى الثقافة الأشكنازية .

ب - آراء علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا (الأشكناز) فى فشل عملية التغريب :

اختلفت آراء علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا من الأشكناز فى فشل عملية التغريب ، وكانت لهم مدارسهم فى هذا الصدد وذلك على النحو التالى :

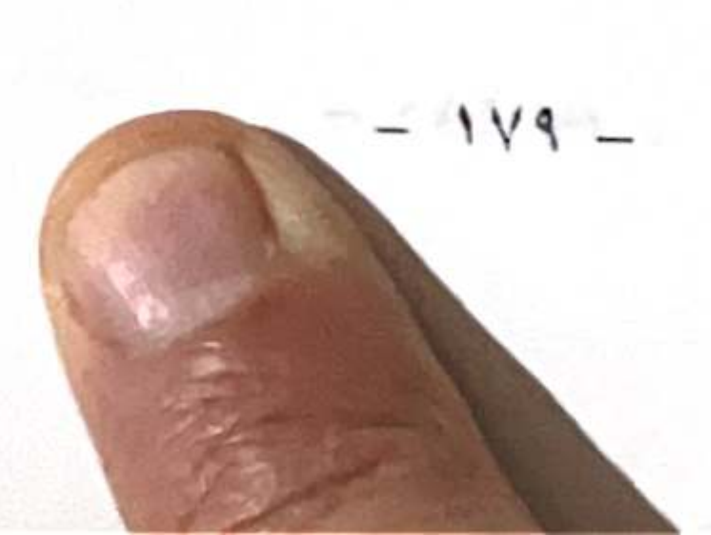
١- مدرسة التحديث :

مدرسة يرأسها ش . ن ايزنشات وتلاميذه فى الجامعة العبرية ، وهى تقسم الانسانية إلى قسمين حديث تقدمى ، وهو العالم الغربى ، وتقليدى متخلف ، وهو العالم الثالث ويقول أصحاب هذه المدرسة أن سبب الفجوة بين اليهود الأشكناز ويهود المغرب بصفة خاصة ليس هو التمييز العنصرى فى العمل والسكن ... الخ ، بل هو تخلف يهود البلدان العربية ، ويرون أنه من أجل سد هذه الفجوة ، يجب أن يتخلى يهود البلدان العربية عن حضارتهم العربية الإسلامية ، وأن يقتبسوا الحضارة الأشكنازية[2] .

---

(١) عبد الحفيظ محارب : العبرانيون السود ، مجلة شئون فلسطينية ، ١٩٨١ ، عدد ١٣ ، ص ص ١٤٤ – ١٥١ .

(٢) جدع جلادى : مرجع سابق ، ص ٢١٧ .



٢ - مدرسة التعدد الطائفى الإثنى :

وهى مدرسة أمريكية ، يرأسها يوحنان بيرس وسامى سموحة ، تقول هذه النظرية أن معظم الأمم تحتوى على أكثر من جماعة أو طائفة واحدة ، وتشترك جميعها فى بعض مجالات الحياة معاً ، كالاقتصاد والسياسة ، وتعيش كل جماعة أو طائفة منفردة فى المجال العائلى والدينى والحضارى . ويرى سموحة أن الفرق بين الأشكناز والسفارديم فى اسرائيل يتلاشى ، وأن هناك تقدما ما نحو الاندماج ، ثم يضيف أن إيقاف الأموال من الخارج لإسرائيل وإنهاء حالة الحرب قد يسببان أزمة طائفية بين الأشكناز والسفارديم[١] .

٣ - مدرسة التبعية :

تقول هذه النظرية أن المجتمعات الإنسانية مرتبطة ، الواحد بالآخر فى إطار عالمى رأسمالى ، وأن هذا التركيب يؤثر على نوعية العلاقات فيما بينها ، وعلى العلاقات داخل كل منها . وبهذه الكيفية تنقسم الدول إلى دول صناعية غنية ودول متخلفة فقيرة ، والآن غنى الدول الغربية يرتكز على فقر الدول الفقيرة ، أى على استغلال العالم الثالث ، فإن بلدان العالم الثالث أصبحت مصدرا للمواد الخام الرخيصة ، وسوقا لبضائع الدول الصناعية الرأسمالية الاستعمارية . وهذا هو تقسيم العمل بين الحاكم والمحكوم وبموجب هذا النظام تنقسم الثروة بصورة غير متساوية ، ولذلك تتعذر المساواة بين هاتين المجموعتين من الدول ، أو سد الفجوة القائمة بينهما ، وتنطبق هذه النظرية على العلاقات بين الجماعات والطوائف المختلفة فى كل مجتمع ، ففى كل مجتمع توجد طائفة متحكمة اقتصاديا وسياسيا فى باقى

(١) المرجع السابق : ص ٢٧٢ .

الطوائف ، ويؤدى هذا الوضع إلى تكتل المحكومين ونضالهم من أجل الانفصال والتحرر . وفى اسرائيل يسعى يهود البلدان العربية إلى تكوين هوية خاصة بهم للتخلص من الاستعمار والأشكنازى .

٤ - مدرسة : دفاتر البحث والنقد :

وقد نشأت هذه المدرسة حول شلومو سيرسكى الاستاذ بجامعة حيفا . وقد أخذت هذه المدرسة تنشر الدفاتر عن أحوال الفلسطينيين ويهود البلدان العربية منذ ١٩٤٨ ومن هنا كانت تسميتها . ويرى شلوموسيرسكى أن تحول الصراع الطبقى الطائفى إلى صراع حول المركز الاجتماعى هو ما يفسر هذا (الارتداد الشرقى إلى الذات) ذلك أن الوضع الفريد لصراع طبقى – طائفى يجعل كل شىء فى اسرائيل يذكر الشرقى بأنه شرقى ، لأن أينما اتجه امامه وصفا اجتماعيا خاصا بالشرقيين ، والمغاربة منهم بشكل خاص ، مثل العدد الكبير من الأبناء والثقافة المتدينة والهجرة إلى بلد غير متطور . وهكذا فهو شرقى لأنه تعود أن يجد شرقيين يعادلونه فى المكانة وأشكنازيين فى منازل ومكانة أعلى إنه شرقى لأنه من خلال اتصالاته بالمؤسسات الحكومية المختلفة يشعر بالتنكر والغربة ، لأنه لايجد منهم الدلائل والأشكال المعروفة لديه من بيئته[١] .

إن هذه العوامل التى تناولها علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الأشكناز فى اسرائيل لاشك لها تأثيرها فى فشل سياسة تغريب يهود البلدان العربية والمغاربة بوجه خاص ، لكن تبقى حقيقة لم يتناولها هؤلاء العلماء وتتمثل هذه الحقيقة فى عمق الروابط التاريخية والثقافية مع مجتمعات الأصل وثراء التراث الثقافى والفكرى ليهود المغرب ، ويهود العراق الذى يمتد عميقا فى

(١) المرجع السابق : ص ٢٧١ ، ص ٢٧٤ .

التاريخ ، ومن المعروف أنه حتى نهاية القرن التاسع عشر فإن مراكز الاشراف الحضارى والثقافى لليهود كانت اليهودية الأندلسية . وهذه الحقيقة تفسر كثيرا عقدة النقص التى يشعر بها الغربيون تجاه الشرقيين حيث يفتقدون إلى عناصر الإثراء الثقافى اليهودى بصورة خاصة ، والذين انقطعوا لقرون عديدة خلال عزلتهم داخل أسوار الجيتو فى الوقت الذى كان فيه اليهود فى العالم العربى والإسلامى وخاصة فى المغرب والأندلس والعراق يتفاعلون مع المجتمعات التى يعيشون فيها ويؤثرون فيها ويتأثرون بها ، مما جعل الفكر اليهودى والثقافة اليهودية هنا أكثر عقلانية ، وأكثر انفتاحا ولعل أوضح مثال يساق فى هذا المجال الفيلسوف الحاخام العقلانى (موسى بن ميمون) أعظم فلاسفة ورجال الدين اليهود خلال العشرة قرون الأخيرة . والذى كتب مؤلفاته باللغة العربية إلى جانب اللغة العبرية – الأندلسية[1] .

ولعلنا بعد هذا كله نتساءل ما هو موقف اليهود المغاربة من كل تلك الممارسات السياسية الضاغطة والأوضاع الاقتصادية المتردية ، والأوضاع الاجتماعية غير الملائمة ، والتى يكتنفها ممارسة التمييز العنصرى . ولعل النتيجة الرئيسية لذلك أنهم اتخذوا موقفين متضادين ، إضافة إلى الموقف السابق الاشارة إليه والمتمثل فى مقاومة هذه الأوضاع السابقة كلها مثلما فعل الفهود السود . فأما هذان الموقفان فهما :

الأول : التنصل من كل ما هو مغربى والإنخراط فى سلك العمل السياسى والثقافى الأشكينازى حتى يتبوأ أعلى المراكز السياسية والإدارية فى الدولة .

(١) حاييم زعفرانى : اليهودية فى المغرب العربى ، دراسة نشرت فى (كتاب اسرائيل الثانية) ، ترجمة فؤاد جديد : منشورات فلسطين المحتلة ، بيروت ١٩٨١ ، ص ص ٣٢ – ٤٢ .

الثانى : التفكير فى الهجرة العكسية من اسرائيل إلى المغرب . ولعل ذلك يجعلنا مدعوين لدراسة موقف اليهود المغاربة السياسى من النظام الاسرائيلى وسيرد ضمن ذلك تفصيل هذين الموقفين المتضادين .

ثالثا - اليهود المغاربة والنظام السياسى الإسرائيلى :

افتقد اليهود المغاربة عند هجرتهم إلى إسرائيل عناصر الصفوة القيادية فى مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية ويرجع ذلك إلى أن الصفوة اليهودية المغربية فى المجال السياسى والاقتصادى والثقافى لم تهاجر إلى اسرائيل ، حيث كانت خياراتهم متعددة ففضلوا الهجرة إلى غيرها من دول العالم المغربى .

هكذا افتقد اليهود المغاربة فى اسرائيل العناصر القيادية ذات الثقل السياسى ، مما جعل منهم مجالا خصبا لتنافس الأحزاب الاسرائيلية . وكان لحزب (الماباى) ثم وريثة (حزب العمل) السبق فى استقطاب أصوات اليهود المغاربة ، نظراً لسيطرته على مؤسسات السلطة ، وأجهزة الوكالة اليهودية ومؤسسات الهجرة والاستيعاب لفترة طويلة منذ الاستقلال .

لكن الوضع لم يستمر على هذا المجال حيث ازدادت أوضاع اليهود المغاربة سوءاً مع مرور الوقت ، كما أخذوا تدريجيا يتعرفون على الواقع الاسرائيلى ووضعية الاستغلال الاقتصادى والتمييز الاجتماعى الذى عانوا منه .

وكما سبق الإشارة فإن اليهود المغاربة كانوا الأكثر معاناة وبؤسا بين جميع اليهود السفارديم ، وبالتالى كانوا الأسبق من غيرهم فى تزعم حركات الاحتجاج والتمرد . ولعل أول تلك الحركات انتفاضة (وادى



الصليب) أحد أحياء حيفا المكتظة بالسكان من اليهود المغاربة . وقد أحدثت هذه الانتفاضة أصداء واسعة فى إسرائيل إذ ظلت لمدة متواصلة من ١٩٥٩/٧/٩ إلى ١٩٥٩/٧/١٣ . وقد بدأت أحداث هذه الانتفاضة عندما هاجم رجال الشرطة الاسرائيلية أحد المقاهى التى يتردد عليها اليهود المغاربة ، فقتلوا واحدا منهم ، ومع انتشار الخبر ، اندلعت المظاهرات فى الحى ، ثم ما لبثت أن امتدت بسرعة إلى طبريا وبئر سبع ومجدل ، حيث كانت الشرطة والمحلات التجارية والسيارات العائدة لليهود الأشكيناز هى هدفهم المباشر[١] .

لقد عملت السلطة الاسرائيلية فى احتواء الأحداث ، وشكلت لجنة تحقيق توصلت فى تقرير وضعته وقدمته للكنيست إلى أن : (ممارسة التفرقة والتمييز ضد قطاعات كبيرة من الطائفة اليهودية من شمال أفريقيا ، وخاصة أولئك القادمين من المغرب ....كانت من أهم العوامل فى نشوب الأحداث)[٢] .

وكان قد سبق انتفاضة وادى الصليب بفترة قصيرة تشكيل إطار تنظيمى خاص باليهود المغاربة (اتحاد مهاجرى شمال أفريقيا) ويرجح وجود علاقة بين هذا الشكل التنظيمى وانفجار الأحداث على هذا النطاق الواسع .

وإذا كانت السلطات الاسرائيلية استطاعت السيطرة بصعوبة على أحداث وادى الصليب ، فهى فى نفس الوقت لم تسع لإصلاح أوضاع اليهود المغاربة بالرغم من الوعود والادعاءات الرسمية ، الأمر الذى أدى إلى حدوث

(١) جدع جلادى : مرجع سابق ، ص ٣١٤ وما بعدها .

(٢) هيلدا صايغ : مرجع سابق ، ص ١٥٢ ، ١٥٥ .

حركة تمرد ذات مضمون سياسى عام ١٩٧١ ، وذلك عندما أراد بعض اليهود المغاربة[١] من حى المصرارة بالقدس التظاهر سلميا أمام دار البلدية احتجاجا على التميز والبؤس إلى يعانى منه السكان فى هذا الحى ، وأرادوا فى هذا الوقت أن يختبروا الممارسة الديمقراطية الاسرائيلية . وقد اندفعت قطاعات منهم لمقاومة الممارسات الحكومية ضدهم بتأييد تكتل ليكود اليمين :

تحول اليهود المغاربة نحو تيار اليمين السياسى :

إن فشل حركة الفهود السود والتى كانت تضم معظم اليهود المغاربة فى التحول إلى حزب سياسى يسارى تعبيرا عن القوى الإجتماعية التى تمثلها هذه الحركة . ارتبط بظاهرة ملفتة للنظر تمثلت فى اندفاع اليهود المغاربة والسفارديم بصورة عامة نحو الأحزاب اليمينية منذ بداية السبعينات وظهر ذلك واضحا وبالخصوص فى انتخابات عام ١٩٧٧ ، حيث وصل تكتل (الليكود) الذى يمثل اليمين المتطرف إلى السلطة بفضل أصوات اليهود السفارديم والمغاربة منهم على وجه الخصوص ، الذين فضلوا دعمه وتأييده، دون أن يعيروا اهتمام لحركتهم الفهود السود .

ولقد فسرت وسائل الإعلام الاسرائيلية والصفوة السياسية والثقافية الأشكنازية هذا التحول ، بأن اليهود السفارديم وخاصة المغاربة ينزعون نحو التطرف ضد العرب ، وضد كل ما هو عربى ، فبدأ المجتمع الاسرائيلى يكف عن تعييرهم بأنه عرب ، وبدأ يوظف خبراتهم وملكاتهم كعرب الثقافة لخدمة الدولة من خلال عمليات خاصة فى البلاد العربية .

(١) من أعضاء منظمة الفهود السود التى تضم معظم اليهود المغاربة بجانب السفارديم .



كما أن واقع التصويت الانتخابى عام ١٩٨٤ ، يشير إلى تصويت شبه اجتماعى لليمين فى مدن التطوير المعروفة بسكانها من اليهود المغاربة حصل الليكود وهتميا وتامى (حزب أبو حصيرة)[١] على ٩٠٪ من مجموع أصوات الناخبين . وفى الأحياء التى يسكنها اليهود المغاربة فى المدن الكبرى مثل المصرارة فى القدس ووادى صليب فى حيفا انخفضت هذه النسبة قليلاً فتراوح التصويت لأحزاب اليمن ما بين ٧٠٪ و ٨٠٪ وتشير المؤشرات العامة لاتجاه التصويت بين اليهود المغاربة أن تجمع المعراخ لم يحصل إلا على ١٨٪ فقط من مجموع أصوات اليهود المغاربة فى كل اسرائيل ، فى حين حصل الليكود وحده على ٧٦٪ وذهبت ١٥٪ للأحزاب الأخرى الأكثر تطرفا وعنصرية حتى من الليكود نفسه مثل (تامى - هتميا - كاهانا) فى حين لم تحصل الأحزاب اليسارية على أى صوت من أصوات اليهود المغاربة[٢] مما يؤكد عدم الثقة اليهودية المغاربة فيها ومرارة تجربتهم معها ولكن ظاهرة التصويت لصالح اليمين الاسرائيلى لا يعنى بالضرورة قناعة أيديولوجية بالمواقف والنهج السياسى المتطرف ضد العرب والقضية الفلسطينية ، بقدر ما هو احتجاج يعبر به اليهود المغاربة عن شدة المعاناة والاضطهاد والتميز الذى تعرضوا له فى ظل حكم وسيطرة أحزاب المعراخ على السلطة طيلة السنوات التى سبقت صعود الليكود إلى السلطة عام ١٩٧٧ . والدليل على ذلك الرأى أن اليهود المغاربة كانوا أول من أيدوا مناحم بيجين عندما وقع اتفاقية كامب ديفيد مع الرئيس السادات ، على عكس اليهود الأشكناز الذين

(١) هارون أبو حصيرة : مغربى وقد ألف حزبا خاصا وحاز على ٣ مقاعد فى الكنيست عام ١٩٨١ ثم حصل على مقعد واحد فقط عام ١٩٨٤ . وكان أبو حصيرة شديد التعصب ضد العرب ، ونموذجا صادقا للتحول لليمين السياسى للحصول على مكاسب من الدولة وإثبات أن اليهود المغاربة ليسوا أقل حماسا للدولة من الأشكناز .

(٢) مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية ، دمشق ١٩٨٤/٩/٧ عدد ٢٤ ، ص ٢ .

ترددوا فى إبداء تأييدهم ، ونظموا حركات رفض واحتجاج واعتصام فى المستوطنات اليهودية فى سيناء بهدف الحيلولة دون الانسحاب منها .

كما أن للضغوط الاجتماعية النفسية التى يعيشها اليهود المغاربة أثرا فى زيادة حدة التطرف المنسوب إليهم ، فهم يتعرضون للتمييز وعدم المساواة والعنصرية بسبب كونهم يهودا عربا ، يشبهون العرب أعداء اسرائيل ، كما أن استمرار حالة الصراع بين العرب واسرائيل يبرر من قبل السلطات الاسرائيلية تغليب قضايا الأمن والدفاع على القضايا الاجتماعية، واليهود المغاربة مهتمون قبل غيرهم بإيجاد حلول لها . ومن ثم يكون التعبير عن تلك الضغوط الاجتماعية النفسية المكبوتة فى غير محلها تطرفا وعدوانية ضد العرب باعتبارهم أحد الأسباب الرئيسية فى معاناتهم داخل اسرائيل[١] ... ومن أجل كل هذه الأسباب الزائفة والتى تروج لها المؤسسة الحاكمة الأشكنازية نجد تفسيرا لتحول اليهود المغاربة تجاه الأحزاب اليمينية[٢] .

الخصوصية السياسية :

نجح اليهود المغاربة بتحولهم إلى اليمين المتطرف ، فى نيل وضعية سياسية متقدمة ، وصار لهم نواب فى الكنيست . ومثل ذلك بالنسبة لهم

(١) أنظر د . حامد ربيع : من يحكم تل أبيب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ص ١٣٧-١٤٢ و ص ص ٢٨٧ - ٢٩٥ .

(٢) أنظر لمزيد من التفاصيل حول النزعة اليمينية لدى اليهود المغاربة فى اسرائيل .
Rubby Wakter: Israel's new right. progessive, Mideast press report, 1905. vol, VI, N40. P.P. 120 - 121 .

قدرا من الخصوصية فى إطار الحياة السياسية الاسرائيلية وتشير عملية التصويت والتأييد الجماعى لصالح أحزاب اليمين إلى التأثير والثقل السياسى لليهود السفارديم وعلى وجه الخصوص اليهود المغاربة ، ويمكن اعتبار ذلك جزءا من عملية التبلور السياسى التى وضعت حركة الفهود السود خطته التنظيمية الأولى .

لقد شهدت انتخابات عام ١٩٨١ مرحلة جريدة من مراحل التبلور السياسى بين اليهود المغاربة بظهور حركة (تقاليد اسرائيل) (تامى) بزعامة الحاخام المغربى هارون أبو حصيرة ومشاركتها فى الانتخابات كقائمة مستقلة بعد انشقاق أبو حصيرة عن حزب المندال بعد أن قيل أن الحزب لفق تهم الرشوة والفساد له على خلفية عنصرية ، وبذلك لم تتمكن هذه القائمة من تطوير ثقلها السياسى فى انتخابات ١٩٨٤ ، بل لم تستطع الحفاظ على مقاعدها الثلاثة التى حصلت عليها فى انتخابات ١٩٨١ ، حيث فقدت اثنتين منها مما أفقدها الأهمية النسبية التى تمتعت بها فى الحياة السياسية الاسرائيلية قبل الانتخابات[1] .

وفى نفس الوقت الذي تراجعت فيه حركة تامى، برزت إلى الوجود الاسرائيلى حركة دينية متطرفة ، كان العنصر اليهودى المغربى هو العنصر الغالب فيها ، وذلك نتيجة انشقاق طائفى فى حزب (أجودات بأسرائيل) الدينى ، وبعد انتخابات عام ١٩٨٤ شكل المنشقون قائمة انتخابية حملت اسم (قائمة حراس الثورة الشرقيين – شاس) وتمكنت هذه القائة من ايصال أربعة من أعضائها إلى الكنيست الاسرائيلى[2] .

---

(١) جريدة هارتس الأسرائيلية ، تل أبيب ، ١٩٨٤/٧/٣١ .

(٢) المرجع السابق .

التمثيل السياسى فى المؤسسات الاسرائيلية الرسمية :

لم يكن لليهود تمثيل فى الأحزاب السياسية حتى عام ١٩٥٩ عام انتفاضة وادى صليب ، كذلك لم يكن لهم أدنى تمثيل فى المؤسسات السياسية الاسرائيلية .

وبعد أحداث وادى صليب ، أقدمت الأحزاب الرئيسية وخاصة أحزاب الحكم ، ماباى ، والحزب الدينى مفدال والحزب الليبيرالى على ضم أعداد كبيرة من اليهود السفارديم وخاصة اليهود المغاربة . وتأكد هذا الاتجاه منذ انتخابات الكنيست عام ١٩٦١ حيث تم إدخال بعض اليهود المغاربة فى القوائم الانتخابية لهذه الأحزاب . وكان من أهداف هذه الخطوة بالإضافة إلى عملية الاحتواء هو اكتساب أصوات اليهود خاصة بعد الزيادة الكبيرة فى أعدادهم ، والتى تؤثر على العملية الانتخابية .

ومع ذلك فإن محاولة استقطاب اليهود المغاربة فى عضوية هذه الأحزاب، وخاصة فى لجانها القيادية ، بدأ ضعيفا ومحدودا . وبدأ أن الأحزاب الإسرائيلية الرئيسية ذات القيادة الأشكنازية ، كانت تريد الحصول على تأييد ودعم اليهود السفارديم فى حملاتها الانتخابية ، ودون أن تسمح بأن يؤدى ذلك إلى تمثيل مواز لذلك فى عضويتها ، ولجانها القيادية ، وبطبيعة الحال انعكس هذا الأمر على الوضع التمثيلى لليهود السفارديم بصفة عامة فى الكنيست والحكومة الإسرائيلية[1] .

وقد أشار الباحثان الاسرائيليان (عمانوئيل تموتمان، ويعقوب لاندو) أنه فى الفترة من ١٩٤٩ – ١٩٧٤ لم يكن من بين أعضاء الكنيست وعددهم

---

(١) هانى عبد الله : الأحزاب السياسة فى اسرائيل ، دراسات فلسطينية، بيروت ، ١٩٨١ ، عدد ٥٩ ، ص ص ١٩١ – ١٩٢ .



٣٧٤ غير ٣٧ يهوديا من السفارديم ، منهم ثمانية من أصل مغربى ، فى حين أنه لم يدخل الوزارة الإسرائيلية خلال هذه الفترة غير أربعة وزراء من السفارديم لم يكن منهم واحدا من أصل مغربى(١) .

وفى عام ١٩٧٧ ووصول تكتل الليكود إلى السلطة حدث تغيير بالنسبة لتمثيل اليهود المغاربة . ففى الوقت الذى وصل فيه نسبة تمثيل اليهود السفارديم إلى ٢٢ عضوا كان من بينهم سبعة من اليهود المغاربة .

وفى انتخابات الكنيست العاشرة عام ١٩٨١ ارتفع عدد الأعضاء من السفارديم إلى ٢٧ عضوا منهم عشرة من اليهود المغاربة وفى انتخابات الكنيست عام ١٩٨٤ قفز عدد الأعضاء السفارديم إلى ٣٢ عضوا من بينهم ١٤ عضوا من اليهود المغاربة(٢) .

وعن تمثيل اليهود المغاربة فى الحكومة الإسرائيلية فإن أول يهودى مغربى يدخل الوزارة الاسرائيلية كان فى حكومة مناحم بيجين الأول . الذى يبدو أنه أراد مكافأة اليهود المغاربة على دعمهم له فى الانتخابات التى أوصلته إلى الحكم ، فأدخل اثنين من أصل مغربى فى حكومته الأولى وهما فى نفس الوقت الوزيرين الوحيدين من السفارديم الأول ديفيد ليفى وزير الإسكان والثانى الحاخام هارون أبو حصيرة وزير الأديان ثم اقتصر بعد ذلك فى حكومة شامير وحكومة رابين ثم حكومة شامير على تمثيل اليهود المغاربة بوزير واحد فقط هو ديفيد ليفى . وظل حتى انتخابات ١٩٩٢ وأكتفى بتمثيل اليهود المغاربة بوزير واحد فقط(٣) .

---

(١) مجلة شئون فلسطينية : سبتمبر . ابريل ١٩٨٤ . قبرص ، عدد ١٣٨ ، ص ١٠٣ .

(٢) جريدة هارتس الاسرائيلية ، تل أبيب ، ١٩٨٤/٩/٢ .

(٣) مجلة الأرض ، دمشق ، ديسمبر ١٩٨٥ ، عدد ٧ ، ص ٢٤ .

الهجرة العكسية :

إن بعض اليهود المغاربة الذين عانوا من التمييز الأشكنازى ولم ينجحوا فى التأقلم والاندماج فى المجتمع الاسرائيلى ، أو جنى ثمار التصويت لصالح التيارات السياسية اليمينية كان لهم موقف أخر ذلك أنهم قارنوا بين وضعهم فى المغرب ووضعهم فى اسرائيل ، ورأوا أن المقارنة لصالح المغرب. ومن ثم عقدوا العزم على العودة إلى المغرب .

وقد بدأ التفكير الجدى لهؤلاء اليهود المغاربة فى العودة مرة أخرى للمغرب عندما أعلن الملك الحسن الثانى فى مارس ١٩٧٦ أنه يسمح لعودة هؤلاء اليهود إلى وطنهم المغرب مرة ثانية ، وحيث أن اليهود المغاربة يمثلون أهم كتلة من يهود شمال أفريقيا ، فضلاً على أنهم يمثلون ثقلا كبيرا فى وسط يهود البلدان العربية وقد اعتبرت منظمة فتح أن اليهود الشرقيين بما يمثلونه من ثقل ديمجرافى يجعلون عملية السلام فى المستقبل من شأن اليهود الشرقيين المضطهدين والعرب الفلسطينين(١) .

وأثارت المبادرة الملكية فى حينها اهتماما ملحوظا لدى المعنيين والمهتمين فقد وجهت عدة شخصيات فلسطينية برقيات إلى الديوان الملكى تعلن فيها أن هذا القرار يشكل خطوة تساهم فى حل القضية الفلسطينية ، وفى اسرائيل نشرت اراء تذمر اليهود المغاربة من العيش فى اسرائيل وميل بعضهم إلى الهجرة وذلك لأن اليهود المغاربة يمثلون مايزيد على ٣٥٠ ألف نسمة ، وأن هذه الهجرة المضادة تمثل خطورة على الكيان الصهيونى الذى تقوم سياسته على تعمير فلسطين بيهود العالم(٢) .

---

(١) بيان حول دور الطائفة اليهودية المغربية فى عملية السلام بالمنطقة ، منظمة فتح ، ١٩٧٨/١٢/٢٠ ، صحيفة العلم السياسى المغربية ، عدد خاص عن يهود المغرب ، مارس ١٩٨٤ .

(٢) صحيفة هارتس الاسرائيلية : ١٩٧٦/٦/٩ .

وذكرت صحيفة هارتس الاسرائيلية أن مائتى يهودى من أصل مغربى يغادرون اسرائيل بصفة دائمة كل شهر ، وتحدثت الصحيفة عن اجتماع جرى فى ٢٤ مارس من نفس العالم بين ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية وقادة الأقلية اليهودية بالمغرب بتشجيع من مدير الديوان الملكى فى ذلك الوقت[١] .

وأشارت الصحيفة إلى الصعوبات النفسية التى تحيط بهذه المبادرة نتيجة المشاعر المتناقضة التى يشعر بها اليهود المغاربة بين ولائهم للمغرب وتعاطفهم مع اسرائيل وهذا جعل من الصعب الاجتماع مع ممثلى منظمة يقوم ميثاقها على إزالة اسرائيل . ولكن الاجتماع تم بين مبعوث لمنظمة فتح بصحبة رئيس مكتب المنظمة فى المغرب وبين قادة الأقلية اليهودية المغربية ، ولكن تصميم الفلسطينين على انجاح المبادرة كان كبيرا والهدف هو أن يعيش المهاجرون باطمئنان فى أوطانهم الأصلية حتى يمكن تشجيع اليهود المهاجرون إلى فلسطين فى العودة لأوطانهم[٢] .

وتضاربت الأقوال بعد ذلك ، فنجد رئيس الفيدرالية الدولية لليهود المغاربة (شاؤول بنسيمون) ينفى عودة أى يهودى مغربى من اسرائيل إلى المغرب . غير أنه فى نفس الوقت يعلن (أشير حاسين) رئيس اليهود المغاربة أن عدة عشرات من العائلات اليهودية المغربية قد هاجرت إلى فرنسا فى حين عادت عشرون عائلة يهودية إلى المغرب وفى شهر مايو ١٩٧٦ عادت أثنا عشر عائلة يهودية إلى المغرب ، كما زار ستمائة يهودى آخر المغرب باعتباره مسقط رأسهم[٣] .

(١) المرجـع السـابق .

(٢) صحيفة العلم السياسى المغربية ، مرجع سابق .

(٣) صحيفة الوطن الكويتية : ١٩٨٣/٧/٢٥ .

وفى سبتمبر ١٩٧٩ قررت مائة عائلة يهودية مغربية العودة إلى بلادها ووجه هؤلاء برقية إلى السفير المغربى بباريس يطلبون فيها من الملك الحسن الثانى أن يسهل عودتهم . وقالوا فى رسالتهم أنه منذ حضورهم لاسرائيل منذ عشرون عاماً وهم يسكنون مساكن خشبية ثم أهملوا تماما . وأثار هؤلاء وكان يسكنون فى حى (حبسى كوهن) قرب مدينة حولون ضجة بسبب تحركهم الذى يهدف انتزاع حقهم فى العودة .

وفى الفترة من ٨ إلى ٢١ ديسمبر ١٩٧٨ نظمت بباريس ندوة عالمية لليهود المغاربة نظمتها جمعية (هوية وحوار) التى يرأسها اليهودى المغربى أندرى أولاى . وقد تميزت هذه الندوة بالتقاء العديد من الباحثين فى التاريخ والعلوم والفنون ورجال السياسة والصحافة والمهن الحرة للتباحث فى التراث الثقافى لليهود المغاربة ومساهمتهم فى اثراء الثقافة الوطنية لبلدهم المغرب الذى عاشوا فيه عبر القرون . وألقيت عروض مكثفة سلطت الضوء على مختلف جوانب هذا الموضوع . وقد رحبت الأحزاب السياسية المغربية بهذا الإجتماع ، وخاصة حزب الإستقلال الذى وجه إلى الحاضرين تحية ألقاها وفده المتواجد فى هذه الندوة واستقبلت كلمة الحزب بمزيد من الاهتمام ، وألتقى فى تلك الندوة يهود مغاربة من مختلف أقطار العالم من الأمريكيين وكندا وغرب أوربا ومن اسرائيل نفسها .

ونظمت فى عدة مناسبات بعد ذلك زيارات لوفود من اليهود المغاربة المهاجرين إلى الخارج للأماكن ذات التراث الدينى مثل موسم الاحتفال بعيد اسحق قرب الذى يقام بمناسبة ذكرى الرابى عمران بن ديوان الذى يعتبر قبره مقدساً .

وقد كتب أحد محررى صحيفة هارتس الاسرائيلية[١] عن هجرة اليهود المغاربة العكسية إلى المغرب . أن أحد اليهود المغاربة الذى قرر هو وعائلته العودة إلى المغرب قال له : (أنتم أيها الأشكناز لماذا تقيمون الدنيا وتقعدونها عندما نعود نحن إلى المغرب؟ عندما يعود اليهود إلى ألمانيا التى قتل فيها ستة ملايين يهودى تسكنون جميعاً ، إذن لماذا تخلقون ضجة عندما نعود إلى المغرب ؟ حيث لم يكن فيها كارثة لليهود على امتداد التاريخ ، بل العكس فقد لاقى اليهود الاحترام بها طيلة الوقت) .

وإذا كان النظام المغربى قد قام ابتداء من عام ١٩٥٦ بغلق مكتب الوكالة اليهودية التى نظمت الهجرة الجماعية لليهود المغاربة ، ولم تمنح جوازات السفر إلا لمن يثبت أنه لا يريد الهجرة إلى اسرائيل ، فاننا نجد فى نفس الوقت أن الصهيونية العالمية تعمل على تسلل اليهود المغاربة إلى اسرائيل وتسهل تهريب أموالهم إليها[٣]، كما تحاول الصهيونية اغراء اليهود المغاربة بشتى السبل لتدفعهم إلى الهجرة من وطنهم .

وإذا كانت هجرة اليهود من المغرب مشكلة معقدة إذ أن حكومة المغرب تمنع الهجرة الرسمية إلى اسرائيل ، ولكن تسللهم منها يصاحبه تهريب ثرواتهم التى يحق للحكومة المغربية أن تمنع تسرب رأس المال الوطنى إلى الخارج .

كما أن تسلل اليهود المغاربة إلى اسرائيل قد عمل على تدعيمها عددياً واقتصادياً .

---

(١) روث بلاون : يهود لا صهاينة ، صحيفة العلم السياسى المغربية ، مارس ١٩٨٤ .


(٢) صحيفة هارتس الاسرائيلية ١٩٧٦/٦/٦ .

(٣) جامعة الدول العربية : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٥٩ .

ومن ثم فإن الحكومة المغربية التى أصدرت قرارها بالسماح لليهود المغاربة الذين هاجروا إلى إسرائيل بالعودة مرة ثانية إلى المغرب ، عليها الاستمرار فى هذا النهج من أجل وضع حد للمؤامرة الصهيونية عن طريق تبصير مواطنيها من اليهود بمغبة الهجرة إلى اسرائيل ، مدعمة بخبرات الذين هربوا من اسرائيل وبخاصة من اليهود المغاربة .

كما أن من المفيد فى هذا الصدد التوضيح أن الهجرة إلى اسرائيل تعمل على إضعاف الأقلية اليهودية فى المغرب اقتصاديا وعدديا ، وتحد من نشاطها ومكانتها فى الشعب المغربى ، بينما يكون العكس صحيحاً بعودتهم إلى وطنهم المغرب مرة أخرى .




الخاتمة

كشفت هذه الدراسة بعض الحقائق التى يهم المؤلف ان يشير اليها لتوضيح الاطار الاجتماعى ، والتاريخى التى عاشت فيه الأقلية اليهودية المغربية .

أولا : لاحظنا من خلال الدراسة أن نسبة عدد اليهود كانت ضئيلة طوال الفترة التاريخية التى تواجدوا فيها بداخل المغرب حتى وصلت إلى أدنى معدل لها بعد حرب ١٩٦٧ .

كذلك فإن التوزيع الديمجرافى لليهود المغاربة فى كافة المدن المغربية قد كشفت عن حقيقة أن المجتمع المغربى لم يعزل اليهود فى جيتو سكانى فقد تواجد اليهود فى كافة المدن المغربية ولم يكن هناك قيد على حركتهم ، وعلى الرغم من أن اليهود كانوا يتجمعون فى المدن الكبرى فى أغلب الاحوال شأنهم فى ذلك شأن أى أقلية أخرى . فإن الثابت أن اعداد كبيرة أخرى منهم كانت تسكن فى مناطق أخرى مع الأكثرية المسلمة .

ثانيا : إتضح من دراسة الأقلية اليهودية المغربية أن تنظماتهم الداخلية قامت على أساس دينى ، ولم تكن قائمة على أساس سياسى فقد كان الرئيس الحاخام الذى تعينه السلطة المغربية مسئولا عن احوال اليهود الدينية والشرعية . ولم يكن هذا نوعاً من الحكم الذاتى لليهود كما تروج الكتابات الصهيونية .

ثالثا : عمل اليهود المغاربة فى كل الحرف والمهن التى عرفها المجتمع المغربى، ومن ناحية أخرى لم يحتكر اليهود العمل فى حرفة أو مهنة بعينها ، كذلك لم يحرم عليهم مهنة أو حرفة .

رابعا : لم يكن لليهود المغاربة كيان ثقافى منفصل عن المجتمع المغربى بل كانوا جزءا عضويا منه ، رغم خصوصيتهم الثقافية مثل أى أقلية ،

والدليل على ذلك لايوجد إنتاج أدبى خاص بهم بحيث يستحق إسم (الأدب الصهيونى) أو (الشعر اليهودى) أو (الموسيقى اليهودية) وإنما كان جزءا من النتاج الأدبى والثقافى للمجتمع المغربى وإذا وجد لليهود المغاربة بعض خصائصهم الثقافية التى تميزهم ، فإنها ثقافة فرعية ذات أصول دينية تصب فى المجرى العام للنسق الثقافى للمجتمع كله .

خامسا : يعتبر الوجود الأجتماعى لليهود المغاربة برهانا على أن اليهود لم يعيشوا فى (جيتوسكنى) أو (جيتو ثقافى) . فقد أتضح انهم عاشوا وما زالوا يعيشون فى نفس الأحياء التى عاش ويعيش فيها المسلمون من العرب والبربر ، بل أنهم يشاركوهم أحيانا فى سكنى البيوت نفسها . كذلك فإن السلوك الاجتماعى لليهود المغاربة لم يميزهم عن بقية أبناء المجتمع المغربى فى الطعام والملابس وغيرها . هذا فضل عن زواج عدد من شباب المغرب من يهوديات .

سادسا : ساهمت الصهيونية السياسية فى تشجيع هجرة اليهود المغاربة بطريقتين هما :

١ - جعلتهم يرون ضرورة هجرتهم إلى صهيون «وفقا للتعاليم الدينية» . ومن ثم كانت الهجرة اليهودية قبل عام ١٩٥٦ ذات طابع دينى أكثر وضوحا من أى طابع أيديولوجى كما لوحظ أن هجرة العديد من اليهود المغاربة ابتداء من عام ١٩٦٠ إلى اسرائيل كانت نتيجة لعدم إستطاعتهم الإندماج فى الحياة الأوروبية وخاصة الفرنسية بعد مغادرتهم للمغرب .

٢ - تعقد العلاقات العربية - اليهودية التى ترتبت على إنشاء الكيان الصهيونى لاسرائيل وخلق المشكلة الفلسطينية ، بحيث بدأت الأكثرية

المسلمة فى الكثير من الأقطار العربية ينظرون إلى مواطنيهم اليهود بنوع من الشك والريبة ، وأنهم يرتبطون بالعدو بروابط النسب والدم والدين ، الأمر الذى جعل اليهود المغاربة يشعرون بعدم الاستقرار داخل المغرب .

وقد أدت هذه العوامل إلى إيجاد مناخ ساعد على هجرة العديد من اليهود المغاربة مما أدى إلى خلخلة البنية الاجتماعية للأقلية اليهودية، وبحيث أصبح من الصعب الحياة فى محيط يهودى والحصول على حياة يهودية جماعية مكتملة .

ويبقى سؤال إذن لماذا بقى بعض اليهود المغاربة داخل المجتمع المغربى ؟ وللإجابة على هذا السؤال نورد النقاط التالية :

١ - تعرف اليهود المغاربة بطبيعة الأحوال المعيشية السيئة التى يعانى منها اليهود المغاربة الذين هاجروا إلى اسرائيل ، ومن ثم اتضح لهم كذب الإدعاء الصهيونى بالعودة إلى أرض الميعاد .

٢ - كان أغلب الذين لم يهاجروا فضلوا البقاء فى بلدهم الاصلى على المخاطرة بتعلم لغة جديدة والتعامل مع ثقافة اجنبية ، خاصة وأن ثقافتهم وجذورهم مغربية .

٣ - كان عامل السن دافعاً لهؤلاء اليهود للاستقرار فى المغرب حيث أن عددا كبيراً من هؤلاء الذين بقوا فى المغرب قد تقدمت بهم السن ويتمتعون بوضعية إجتماعية متميزة ، لذا فقد فضلوا البقاء فى المغرب الذى يعرفون لغته وثقافة مناخه الإجتماعى .

٤ - كان للدوافع الاقتصادية دوراً فى بقاء الكثير من اليهود المغاربة ، وخاصة بالنسبة للفئات الوسطى التى تتمتع بوضعية إقتصادية وإجتماعية داخل المغرب فلها ثروة ووضع إجتماعى من الصعب

المخاطرة بهما مقابل وضعية غير مضمونة العواقب ، ونفس الوضعية عرفتها الكثير من الأسر المغربية التى يعمل أفرادها موظفين فى الدول المغربية ويتمتعون بأسلوب معيشى مريح قد يفقدونه بهجرتهم إلى خارج المغرب ، خاصة وأن أغلب هؤلاء لا يتوفر لديه شهادات عليا أو كفاءات إدارية متميزة تمكنه من أن يشغل الوظائف الادارية والتجارية التى شغلها داخل المغرب .

٥ - تأكيد النظام المغربى على أن اليهود المغاربة مواطنون مثلهم مثل المسلمون المغاربة لهم مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات .

٦ - أن المؤسسات اليهودية تعمل بإستمرار وبحرية ، وتتمتع بتمويل مستمر ، الشىء الذى يجعلها تعمل بإستمرار ، فضلاً على أن فى مختلف المدن المغربية التى يتجمع بها اليهود مدارس إبتدائية وثانوية، وتحصل على إعانة ومساعدات مالية من قبل وزارة التعليم المغربى ولها نظام خاص بها حيث يتعلم تلاميذها تعاليم التوراة .

ويرى الباحث أن الفكر العربى مطالب بالتعرف على مشكلات الأقليات داخل الوطن العربى وأن يتعامل معها ولا يتغافلها وصولا إلى زيادة تماسك نسيج الوطن العربى . وأن هذا التعامل مع الأقليات داخل الوطن العربى بشقيه الأفريقى والأسيوى يتطلب دراسات علمية تسعى إلى إيجاد حلول لها وخاصة مع الأقليات التى تمثل بؤر صراع مع الأنظمة السياسية فى المستقبل ، أما تغافل مشكلات هذه الأقليات فهو تصور ساذج يؤدى إلى تراكم هذه المشكلات .

ومن ثم فإذا كان الفكر العربى مطالبا بالتعرف على مشكلات الأقليات داخل هذا الوطن العربى ، فهو مطالبا اليوم بالتعرف بنفس الدرجة من الأهمية ، إن لم يكن أكثر على إعادة التفكير فى أسلوب إدارته للصراع



العربى الاسرائيلى . فالنظرة غير الواعية من البعض أحياناً فى إدارة هذا الصراع وضعت كل يهود العالم وخاصة يهود البلدان العربية فى سلة الصهيونية ، ثم أصبحت لا تفرق فى ذلك بين اليهودية كديانة ، والصهيونية كأيدولوجية سياسية عنصرية . وهذه النظرة قد ساعدت الصهيونية على إستقطاب يهود البلدان العربية بأثارتها حملات الدعاية ضد الموقف العربى من اليهود ، لقد استطاعت الصهيونية أن تثير لعبة المتناقضات بين العرب فتعمل على إثارة التناقض بين السنة والشيعة ، وبين المسلمين والمسيحيين ... إلخ ... فى الوقت الذى يتضح لنا من هذه الدراسة أن هناك تناقضات مذهبية دينية وأيضاً بين اليهود ، وأيضا تناقضات بين يهود الشرق ويهود الغرب ، وعلى الفكر العربى أن يستثمر مثل هذه الأمور فى إدارته لعملية الصراع العربى الاسرائيلى .

وإذا كانت بعض الكتابات العربية عندما تتناول الحديث عن اليهودية بما فيها يهود البلدان العربية ، تأخذ الصيغة السياسية المباشرة أو غير المباشرة التى تعامل كل اليهود معاملة العدو وكمعطيات مفروغ منها ، دون أن تحاول النفاذ إلى حقيقة كيانهم وتركيباتهم ، فمثل هذا التعميم الضيق يجعل اليهود فى أذهاننا صورة باهتة بالغة السطحية ، ومن ثم تجعلنا لا نملك الفهم الصحيح لإدارة الصراع العربى الصهيونى .

لقد أصبح الآن داخل الكيان الاسرائيلى كثير من يهود البلدان العربية ، وخاصة اليهود المغاربة الذين يشعرون بأنهم مواطنون من الفئة الثانية داخل المجتمع الاسرائيلى ، والذين يفضل عليهم اليهود الأشكناز وعلى السياسة العربية والأمن العربى ان يفكرا فى وضع إستراتيجية تجعل من هؤلاء اليهود عناصر رفض للصهيونية السياسية من جانب وتجعلهم مؤيدين لقضية الحق العربى الفلسطينى من جانب آخر .

ملاحق

١ - شهادات واقعية .

٢ - وثائق .

شهادات واقعية

ملحق رقم (١)

لقاء مع السيد / محمد بن فتال

الديانة : مسلم

الجنسية : مغربى

المؤهل : دبلوم اعداد الاطارات الشبابية + دبلوم عال فى المسرح

العمر : ٣٧ عام

العمل : وزارة الشبيبة والرياضة – الدار البيضاء .

تاريخ المقابلة : ٢٠/٩/١٩٩٠ الدار البيضاء .

يقول السيد محمد بن فتال (لقد عايشت اليهود منذ طفولتى) .

ويرجع وجود اليهود بالمغرب إلى مرحلتين . الأولى هم اليهود الذين عاشوا مع البربر منذ القدم ، وكذلك اليهود الذين وفدوا من الشرق الأوسط، والمرحلة الثانية اليهود الذين كانوا يعيشون بالاندلس ، ولجأوا إلى المغرب بعد خروج العرب من إسبانيا . وهؤلاء استوطنوا شمال المغرب فى مدن طنجة وتطوان والعرائش ، كما إستوطنوا بعض المدن القديمة كمدن فاس ، والصويرة ، واستوطنوا أيضاً بعض المدن الحديثة الدار البيضاء ، والبعض منهم استقر فى المدن الجبلية والريف المغربى .

وهؤلاء جميعها يتشيعون بالتقاليد المغربية ، رغم أنهم على ملتهم اليهودية .

ويهود المغرب يختلفون عن يهود البلدان العربية الأخرى ، فهم حتى عام ١٩٦٦ كان لهم مجتمعهم الخاص بهم حيث كانوا يسكنون الملاح ، وكان الملاح يختار دائما بالقرب من القصر الملكى ، أو فى أحد الأحياء العتيقة ، وكان لهم محلات خاصة بهم كالقصابة . وكان الملاح الخاص بهم يعتبر بمثابة قلعة صغيرة محاطة بسور وتقفل ليلاً بباب .

كان اليهود يمارسون نشاطهم الاقتصادى مع سائر المغاربة خارج الملاح ، فهم يعملون بالزراعة والتجارة ، والحرف الدقيقة كالصياغة وإصلاح الأحذية ، كما كانوا تجارا متجولين داخل القرى ، وكان هؤلاء متخصصين فى شراء وبيع الاشياء القديمة ، وهؤلاء هم فقراء اليهود .

والطبقة الوسط من اليهود يعملون فى الطب والمحاماه والتجارة .

أما الطبقة البرجوازية منهم ، فهم يمتلكون المصانع ، ومكاتب وشركات الاستيراد والتجارة الخارجية .

واستمر هذا الوضع حتى بداية الستينات ، أى حتى عام ١٩٦٧ حيث إنتهى التواجد اليهودى داخل الملاح ، ويرجع ذلك إلى المظاهرات التى قام بها المغاربة ضد اليهود نتيجة إنعزالهم داخل الملاح والذى كان ينظر المغاربة لما يحدث داخله نظرة شك وريبة .

والمغاربة يفرقون دائماً بين اللوبى الصهيونى ، وبين اليهودى المغربى الذى يعتبر مواطنا مغربيا . واليهود المغاربة يدينون بالولاء الكامل للملك الحسن الثانى .

وعلى مستوى الأعراس والاحتفالات اليهودية فهى تأخذ الطابع المغربى الذى تميز به احتفالات وافراح المغاربة ، مع اختلاف فقط فى طريقة الذبح .

اليهود المغربى انسان ذكى ، وهو دائما يبحث عن المال ، ولكن بوسائل



قانونية ، وأكد أن المجتمع المغربى لم يفرق يوماً بين المواطنين المغاربة بسبب إختلاف الدين .

أما المرأة اليهودية ، فعلى مستوى تزينها تستعمل وسائل التزين المغربية كالكحل والمسواك والمطلية (طلاء أحمر يوضع على الشفاة) ، كما ترتدى الأزياء المغربية كالتقشيطة وتضع على رأسها المنديل ، والرجل اليهود يرتدى الجلباب المغربى مع فارق بسيط أنه يضع طاقية على رأسه .

وعلى مستوى الغناء برز بعض اليهود الذين برعوا فى الغناء باللغة الدارجة المغربية .

والمغاربة اليهود يتميزون بالتعاون والتكتل فيما بينهم وهم يساعدون فقرائهم وربما يأخذون معونات أيضاً من اليهود فى الخارج .

والمرأة اليهودية لها شأنها داخل المنزل ، وهى تدير وتقود الأسرة بأسلوب هادىء ورزين .

أذكر أننى زرت منذ فترة قريبة أسرة يهودية ، ربة المنزل عجوز تتمسك بالتقاليد المغربية فى الزى والعادات وأبنائها وبناتها يرتدون الملابس الحديثة. وسألت المرأة عن رأيها فى الجيل الجديد من الشباب ، وقد أجابتنى بأن الأم اليهودية تعترض على زى أبنائها ، وأضافت أن الأبناء والبنات اليهود لايهتمون الآن بالعادات ولا بالتقاليد وهذا أمر مؤسف من وجهة نظرها .

لقد كانت المرأة اليهودية فى المغرب ، مثل المرأة المسلمة ترتدى الحجاب ، حتى نادى الملك الراحل محمد الخامس بتحرير المرأة فخرجت المرأة اليهودية إلى العمل مثل المرأة المسلمة ، وقد عملت فى بعض الحرف كالسكرتارية والحياكة .

سكان الجبال من اليهود عرفوا اللغة الأمازيغية ، كما أن الأمازيغى قد تعلم اللغة العربية الدارجة ، هذا واضح فى الجنوب إذا زرت مدينة زاغورة .

وهناك شىء يلفت النظر ، فاليهود المغاربة فى الخمسينات والستينات كانوا يشجعون زيادة النسل ، لكن الآن يمارس اليهود تنظيم النسل لأن الأب اليهودى لايريد لأبنه أن يكون حرفياً لكنه يريده طبيباً أو محامياً أو صاحب شركة .

ويلاحظ أيضاً أن أسماء اليهود المغاربة فيها كثير من الأسماء العربية، ولم يعد الآن من يتمسك بالأسماء اليهودية فنجد بين الفتيات أسماء (سامية، سوزان ... الخ) من الأسماء المشتركة مع الفتيات المسلمات .

وتوجد علاقة بين اليهوديات ، وبعض الشباب المسلم وربما من أجل تجميع المعلومات لصالح الصهيونية خاصة وأن بعض اليهوديات يمارسن الدعارة .

أما الفكر الشعبى اليهودى ، فهم يحلمون بأرض الميعاد ويوجد الكثير من الشباب المغربى له موقف مناهض للصهيونية .

ومن الأشخاص البارزون الآن فى المغرب من اليهود ، داوود بن عمار وهو من الشخصيات المؤثرة فى مستوى السياسة المغربية . وكذلك مكسيم أوزلاى وهو عضو المجلس الملكى الاستشارى لحقوق الإنسان .

وكذلك نجد بعض اليهود يعملون كمستشارين فى البلديات ، كما يوجد نائب فى البرلمان يمثل الصويرة هو يوحنا أدوارد .

وعلى المستوى المهنى يوجد أطباء بارزون ومحامون نذكر منهم المحام« جورج عياش فى الدار البيضاء .

أن يهود المغرب الآن يرفضون الهجرة إلى أسرائيل ، وعلى حد قولهم لن تكون قنطرة ليهود المغرب ، وهم يؤيدون كل ما يقوم به النظام المغربى من اجراءات فى هذا الشأن .



ملحق رقم (٢)

لقاء مع السيد / محمدى محمد بن عبد السلام

الديانة : مسلم

الجنسية : مغربى (أمازيغى)

المؤهل : البكالوريا

العمر : ٤٧ عام

تاريخ المقابلة : ١٩٩١/٩/١٤ (مراكش) .

يقول السيد محمدى محمد بن عبد السلام (قضيت سبعة عشر عاماً فى العمل بمدينة الصويرة ، وهى مدينة يتركز فيها كثير من اليهود المغاربة . وقد كان اليهود فى الستينات فى مدينة الصويرة يبلغ عددهم ٤٠ ألفا ويعيشون مع المسلمين ، فى سلم وأخاء ومحبة ، هذا نتيجة السكنى المجاورة جنبا إلى جنب .

كانت المرأة المسلمة عندما تخرج للعمل تترك أبنائها لرعاية جارتها اليهودية التى لا تعمل خارج المنزل .

الأسر اليهودية فى الصويرة كان معظمها يمارس تجارة الجلود ، والحبوب ، والصناعات التقليدية ، وكانوا يصدرون تجارتهم إلى الخارج من ميناء الصويرة .

وقد برع اليهود المغاربة فى أعمال صياغة الذهب والفضة .

وكنا نلاحظ ملاحظة تحتاج للتحليل والدراسة وهى رغم أن مدينة

الصويرة مدينة ذات ميناء تجارى ، لم تجد يهوديا يعمل فى الملاحة ، ربما لأنهم لايحبون المغامرة ، أو لأن لهم طقوسا خاصة فى المأكل والذبائح .

كان الملاح القديم فى الصويرة يسكنه فقراء اليهود ، أما الملاح الجديد فيسكنه الأغنياء اليهود ، والطبقة الوسطى منهم كانت تسكن مساكن مشتركة مع المسلمين .

وقد حضرت هجرة اليهود من الصويرة إلى الخارج ، فكان الوداع حارا من المسلمين بالصويرة التى هؤلاء اليهود المغاربة الذين يرحلون عنها .

وما زال بالمدينة احتفال دينى سنوى لأحد أولياء اليهود يسمى (سيدى بيوضى) ويحضر هذا الاحتفال يهود المغرب ، ويهود الدول الأخرى ، ويشارك فى هذا الاحتفال أيضاً المسلمون المغاربة ، ويستغرق الإحتفال ثلاثة أيام .

معظم المسلمون من الذين يحضرون هذا الاحتفال لممارسة التجارة ، والمسلمون المغاربة يحترمون هذا الاحتفال ويساعدون اليهود لكى يكون الاحتفال مهيباً .

والمسلم فى الصويرة كان يتزوج من المرأة اليهودية ، وكان الأبناء مسلمون لكن حقيقة الأمر أن مثل هذه الزيجات كانت تنتج أبناء ليس لهم من الإسلام إلا الأسم فقط .

وفى عام ١٩٦٧ بعد هزيمة ٥ يونيو ، كان اليهود فى الصويرة يتوجهون إلى معابدهم للصلاة ، وكانوا يكتمون مشاعرهم حتى لا يغضب المغاربة المسلمون .



أما بالنسبة لعام ١٩٧٣ وبعد انتصار العرب فى اكتوبر على اسرائيل لم يحاول اليهود فى الصويرة أن يناقشوا هذا الأمر ، رغم أنهم كانوا يخفون حزنهم من هذا الإنتصار .

ويوجد هنا فى مدينة مراكش معبد لليهود ، والحاخام اليهودى يسير فى الشوارع المدينة مرتديا زيه الدينى ، وهو مطمئن لايخشى شيئاً ، وهو من أصل اليهود القدماء حتى أنك تجد لون بشرته داكنة .

وعدد كبير من يهود مراكش يسكنون المدينة الجديدة ، ومعظمهم يعمل فى أعمال ترتبط بالسياحة ، فهم يمتلكون شركات لكراء السيارات ، وبعض المحال التى تبيع الصناعات التقليدية للسائحين .



نص البيان المشترك المغربي - الاسرائيلي

استقبل صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى بالقصر الملكى بايفران فى ٢٢ و ٢٣ من يوليو [تموز] ١٩٨٦ السيد شمعون بيرس الوزير الأول لاسرائيل .

وخلال محادثاتهما التى اتسمت بالصراحة وتناولت أساساً دراسة مشروع فاس ، بحث العاهل المغربى والوزير الأول الاسرائيلى ، بحثاً عميقاً، الحالة فى الشرق الأوسط والشروط الشكلية والجوهرية التى من شأنها أن تساهم مساهمة فعالة فى أحلال السلام بهذه المنطقة .

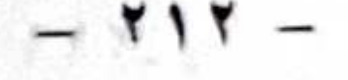
وقد بسط صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى وشرح ما يتسم به من سداد كل عنصر من عناصر مشروع فاس الذى يمتاز بميزتين نظراً إلى كونه ، من جهة يعتبر الوثيقة الوحيدة التى يراها جلالته صالحة موضوعياً لتكون قاعدة لسلام عادل ودائم ، وإلى أنه ، من جهة أخرى يحظى باجماع العرب عليه ، دون غيره من مشاريع ومخططات السلام .

وقد بسط السيد شمعون بيرس ملاحظاته على مشروع فاس وقدم اقتراحات تتعلق بالشروط التى يراها ضرورية لتحقيق السلم .

وبما أن اللقاء كان له طابع استطلاعى فقط ، ولم يكن يرمى مباشرة إلى مفاوضات ، فأن صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى والوزير الأول السيد شمعون بيرس سيطلعان ، الأول المسؤولين العرب والثانى حكومته ، على وجهات النظر التى تم بسطها خلال المحادثات

ايفران (المغرب) ١٩٨٧/٧/٢٢

[نقلاً عن العلم المغرب ١٩٨٦/٧/٢٥]



خطاب الملك الحسن الثاني
حول لقائه بشمعون بيرس

الحمد لله والصلاة والسلام علي مولانا رسول الله وآله وصحبه .

شعبي العزيز :

كما هو في علمك ، إجتمعنا أخيراً ، مدة يومين ، بالوزير الأول في الحكومة الأسرائيلية، في إيفران ، وبمجرد ما عرف هذا الخبر ، الا وحملت الينا وكلات الأنباء ، من العالم بأسره ، الأصداء وردود الفعل التي منها من يحبذ ويبارك ومنها من يندد وينتقد .

وقبل أن نشرع في أي حديث ، لابد شعبي العزيز ، أن تعلم أنني لا أهتم بمن أنتقد وندد ولا بمن بارك واستحسن ، إنما أهتم ،قبل كل شئ ، برضاك أنت ، وبانتقادك ، وبصراحة ضميري ، فاذا كنت مرتاح الضمير ، وكنت أحس من حولي ، كما أحسست به دائماً ، ان شعبي قد فهمني ، وانه يبارك لي تحركي ، أنذاك تمكنت من أن أقيم التقييم الصحيح ، ردود الفعل العالمية ، لأنه ، كما تعلم ضميري هو ضميرك وراحتي هي ارتياحك اذن لتتمكن من أن تقول هذا شئ حسن او هذا شئ غير مستحسن فلنبدأ علي بركة الله هذه القصة التاريخية التي لها ما لها من الأهمية حالاً واستقبالاً .

لا أريد شعبي العزيز أن ارجع بك الي الماضي البعيد سأترك هذا لآخر خطابي .

أما خطابي هذا فسينقسم الي قسمين : القسم الأول ، لماذا وقع اللقاء ؟ والقسم الثاني لماذا وقع الآن ؟ وأخيراً بعض النظريات والأفكار التي خالجتني منذ أسابيع وشهور والتي مازالت تخالجني اليوم .

هناك حدثان هامان في تاريخ العرب منذ النكسة الكبري التي آلت بنا سنة ١٩٦٧ ، تلك المأساة التي ذهبت من أجلها سيناء والجولان وغزة والضفة الغربية ويا لها من فادحة ، القدس الشريف . فمنذ ذلك الحين والعرب يئنون ويبكون وينتحبون الي أن أراد الله سبحانة وتعالي لهم في شهر رمضان وفي سنة ١٩٧٣ ان اظهروا للعالم باسره ولعدوهم في الميدان انهم قادرون علي الضرب والرد بالمثل والكفاح والاستبسال والشهادة .

ولا اريد ان اذكر هنا ، من استشهد أو من مات ، فمن استشهد ومات فعليه رحمه الله تعالي وعليه ، وكذلك وبركات خلقه وسلام ملائكته

المهم انه بعد هذا الحدث المهم وقع في حياة العرب حادثان :الأول في الرباط والثاني في فاس . الأول في الرباط سنة ١٩٧٤ عندما اجتمع مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية واجتمعوا

امرهم علي أن الممثل الوحيد والشرعي للفلسطينيين هو منظمة التحرير الفلسطينية وهذا القرار المهم هو انه من ذلك الحين لم تبق القضية الفلسطينية تائهة بين الاخذ والرد وبين الخوف والطمع، ولم يعد الشعب الفلسطيني يبحث عمن يمثله أو من يخاطب عنه أو من يعبر عن أماله وامانيه ومطالبه ، بل أصبح الشعب الفلسطيني منذ ذلك اليوم ، يتمتع بقيادة محترمة معترف بها من طرف أكثر دول العالم ، واصبحت عضواً ملاحظاً في هيئة الأمم المتحدة وعضواً كامل العضوية في الجامعة العربية وعضواً كامل العضوية في منظمة المؤتمر الأسلامي وعضواً كامل العضوية في حركة دول عدم الأنحياز .

ولي الشرف بكل تواضع ان أقول لك شعبي العزيز وهذا ممازال موجوداً في محاضر الجلسات مسجلاً صوتياً وكتابه انه كان لخادمك وملكك الدور الأول في ايجاد منظمة التحرير الفلسطينية كمحاور ومسؤل وحيد وشرعي يمكنه ان يتكلم باسم الفلسطينيين .

الحدث الثاني وقع في فاس ، علي شطرين ولا اريد ان اضيع وقتك فمؤتمر قمة فاس ينقسم شطرين فسنة ١٩٨١ كنا نظراً لقلة او لأنعدام تواجد المسؤلين المعنيين بالامر في اعلي مستوي بفاس اقنعنا اخواننا وأشقائنا رؤساء الدول العربية بان يؤخر ذلك المؤتمر الي السنة الموالية حتي النصاب تماماً لا من حيث العدد ولا من حيث التمثيل .

واراد الله سبحانة وتعالي ان يجتمع العرب كل العرب علي أعلي مستوي أو علي الاقل علي المستوي الذي يلزم دستوراً كل دولة التزمت أو ستلتزم بمقررات فاس .

ومقررات فاس نتج عنها ولاول مرة مخطط عربي محبوك ومسبوك ومضبوط وقابل للتنفيذ ليس فيه ديماغوجية وليس فيه شعر وليس فيه حماسه وليس فيه اطناب سياسي ولاول مره اجمع العرب علي خطة تمكننا من الشروع من تطبيقها في الشهور التي تلت ذلك المؤتمر .

ومن جملة القرارات التي اسفر عنها المؤتمر هناك القرار الأخير الذي يقول بان مؤتمر الدول العربية يوكل الي كل من المغرب والجزائر وتونس وسوريا والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية والملكة العربية السعودية (وسميناها اللجنة السباعية) التحرك لاقناع الدول العظمي بصلاحية مخطط فاس وبالمكانات التي يفتحها أمام التحليلات السياسية التي ترمي الي ايجاد نهاية المأساة العربية - الأسرائيلية .

وكان أنذاك لخادمك هذا فضل رئاسة هذه اللجنة .

وفعلاً سافرت اللجنة الي واشنطن برئاستي وبعد ذلك تحركت بر ئاسة شقيقي جلالة الملك حسين الي لندن وباريس وموسكو وبكين .

هذه الفقرة من مقررات قمة فاس تقول لنا ما هي الدول التي تطلب منا أو تقريباً تأمرنا أن نزورها ، او ان نتصل بها للإيضاح والأستيضاح .

ولكن ، كما تعلم شعبي العزيز من الناحية القانونية ، كل شئ حلال الا ما حرم صراحة فلم يذكر في مقررات فاس ان الأتصال باسرائيل في اطار مقررات فاس لا خارجها حرام .

فالمؤتمر أوصانا بالاتصال كلجنة ولكن لم يمنعنا بأي حال من الأحوال بأن نتصل في اطار مقترحات فاس بأي دولة اردنا ان نتصل بها .

ولا اخفي عليك شعبي العزيز ان تلك اللجنه قامت بأعمال مهمة وإيجابية ، الا أن بعض العراقيل - ولست هنا لا قول ممن جاءت تلك العراقيل - منعتنا لا فحسب من الأستمرار في اعمالنا ، بل أيضاً من وضع تقرير مكتوب نعرضه علي ملوك ورؤساء الدول العربية ، بحيث وهذا ما يبعث علي الأسي والأسف ، لحد الآن ، وأقول لكم هذا وأنارئيس اللجنة فإن ظروفاً ومناورات جعلت تلك اللجنة لم تكتب ولم تضع تقريراً لتعرضه علي مؤتمر القمة العربي ليعرف ما هو البلد الذي كان متجاوباً معنا والبلد الذي لم يكن متجاوباً معنا . ومنذ ذلك اليوم شعبي العزيز ، وأنا غير مرتاح الضمير ولو أن المغرب علي بعد ستة آلاف كيلو متر من دول المواجهة ومن ميدان الحرب ، فالمغرب هو قبل كل شئ جزء لا يتجزأ من وطنه العربي ومن اسرته العربية فكلما كان يئن مخيم من المخيمات في لبنان الا وكنا نبكي في المغرب ، وكلما زاد الهجوم علي سيادة لبنان بشر الا وكنا نثور .

وكنت أقول هل سنبقي مكتوفي الأيدي ؟ أليست لنا مهمة ومسؤلية في اطار مقررات فاس للخروج من هذه الدوامة ؟ واذا كنت تعرفني - وأظن أنك تعرفني شعبي العزيز مثلما اعرفك ستكون قد شعرت اني منذ أربع سنوات أو ثلاث سنوات ، وانا ألح ، فقد قلت أول مرة أنه اذا أراد أحد المسؤلين الأسرائيليين أن يأتي للقائي فأن السياحة والسفر للنزهة علي كل حال ممنوعان عليه في المغرب كما أن السفر للنزهة ممنوع علي في اسرائيل .

وفي المرة الثانية سألني بعض الصحافيين فأجبته بانني مستعد لاستقبال الوزير الأول الأسرائيلي اذا كان حاملاً لحقيبة فيها برنامج معقول ومطابق لمقررات قمة فاس .

وقد كانت المرة الثالثة قبل المؤتمر الطارئ للدول العربية في الدار البيضاء ، عندما طرح علي سؤال عما اذا كنت مستعداً للقاء الوزير الأول الأسرائيلي وكان جوابي : قبل اللقاء أفضل أن يرسل رسالة بواسطة الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة .

وآخر رمز وإشارة مني اليك كانا خلال الندوة الصحفية التي عقدتها في مراكش وفي الأستجواب الذي اجراه معي ، من بعد ، السيد جان دانييل عن مجلة « نوفيل اوبزرفتور »



الفرنسية ، حينما قلت انني استغرب ، انه لحد الآن لم يلتق قائد عربي مع مسؤل اسرائيلي ، لأننا لا نحارب شبحاً ولا نحارب عدواً وهمياً بل نحارب عدواً موجوداً علي أرضنا ونحارب عدواً يزيد دائماً في غطرسته ، كأنه نسي أنه يعيش علي أرض محتله ، وانه يبني ويشيد علي أرض ، كما لو إنه ورثها من أبائه وأجداده .

فقلت ألم يأن لقائد عربي أن يلتقي بقائد اسرائيلي حتي يعرف موقفه مباشرة لا بواسطة الوسطاء ، كيفما كان احترامي وتقديري الوسطاء ، سواء اكانوا رؤساء دولة امريكية أو أوروبية أو أمريكية لاتينية أو من الأتحاد السوفيتي ، فليس هناك أحسن من الحوار المباشر .

كنت أظن إنه ، بعد هذا التصريح ، سيكون هناك بعض ردود الفعل من بعض الدول العربية علي الأقل فما سمعت ، وما قرأت ، منذ ذلك اليوم الي يومنا هذا ، أي إنتقاد أو أي رد فعل ، وأعتبرت منذ أربع سنوات ، وأنا أقول هذا الشئ وأبين لك هذه الارهاصات وهذه العلامات ، إنك فهمت ، وعرفت إنك قد فهمت لإنك شعب حاذق ، لقد كنت أظن بإن عدداً من الناس ، من بعد المرات الأولي والثانية والثالثة ، سيفهمون علي الأقل ، في المرة الرابعة فهم إما لم يفهموا ، وإما فهموا وقالوا فلنتربص به ، المهم هو إن السيد شمعون بيرس طلب مني أن نلتقي ، فكان جوابي: لا يمكننا أن نلتقي ، الا علي قاعدة المشروعية لها ، وهذه المشروعية لها شطران : شطر عام وشطر خاص .

الشطر العام هو إنه لا يمكن ان أتذكر معك الا في إطار مخطط فاس ، والشطر الخاص هو إنني أعتقد بإن لي الصلاحية ، دون أن أكون مفوضاً من لدن أحد ، أن أتناقش معك في الموضوع ، لأنني ما زلت رئيس دورة مؤتمر القمة العربي .

فكان جوابه : سأتذاكر معك في إطار مخطط فاس ، ولكن هذا لا يمنعني من أن آتي باقتراحات . قلت : طيب ، ما دمت ساخاطبه في إطار مقررات فاس ، وما دمت أعتقد بإن لي الصلاحية ، ولا سيما إنني بعيد ، وسنتذاكر في هذه النقطة من بعد ، فأنذاك قال لي : أحبذ أن نتقابل في أمريكا عند زيارتك لها .

كان جوابي هو أن المقابلة يجب أن تكون مقابلة مغربية ، ولا أريد أن تكون من وحي فلان أو فلان ، ولا أريد أن تكون تحت مظلة قارة دون قارة ولا قوة عظمي دون قوة عظمي ، بل يجب أن يكون هذا اللقاء لقاء حراً ، يتميز بممارسة السيادة كاملة حرة في تصرفها .

ونظراً لأهمية هذا وذاك ، فضلت العدول عن السفر إلي أمريكا ، علماً مني محادثات مثل هذه ، وإن كانت استطلاعية فقط ، هي أهم بكثير ، بالنسبة لمصير الأمة العربية ، من سفري لأمريكا وإن كان للمغرب مصالح خاصة ، إذ إنه علي ملك المغرب إن يدافع عن مصالح بلاده ، حتي أن ضميري كان يشير علي بالذهاب للدفاع ، أولاً عن مصالح بلادي .

ولكني كنت أقول لنفسي : اذا ذهبت وبعدها التقيت به ، سيقولون إنني ذهبت لاتلقي الأوامر قبل التقائي به في المغرب هذا احسن ، فأنا متعب ومرهق ويلزمني أن أخذ بضعة أيام من الراحة وحتي أكون وأبقي مستقلاً في رأيي متحملا ص لمسؤليتي مائة في المائة أمام التاريخ اليوم ، وأمام التاريخ القريب ، والتاريخ البعيد ، متحملاً لمسؤلية ما وقع شخصياً لم أبلغ أي رئيس دولة عربية بهذا الخبر ، وتعلم شعبي العزيز إنني قلت لك ان والدي رحمة الله ، كان يقول لي أن النقطة الأساسية في تربيتك السياسية هي الا تكذب علي شعبك ، لأن شعبك شعب ذكي يفطن كذبتك ولن يستمر في تقديره لك اذا كذبت عليه .

أقول لك ، شعبي العزيز إنني لم أطلع علي نيتي وارادتي إيه دولة عربية ، بل لم أطلع دولة أوربية أو أفريقية أو أسيوية أو أمريكية أو أمريكية لاتينية .

بل الأكثر من هذا فلدي برقية من الرئيس ريغان يقول لي فيها « لقد بلغني - وهنا علمت بإن الخبر قد تسرب من الجانب الأخر - إنك ستلتقي بالوزير الأول فلان الفلاني ، وإنني أرجوك أن تكون بهذا اللقاء عندي حتي يمكنني أن أدعم هذا اللقاء بكل الدعم الأمريكي » .

فجوابي هو ما علمتم وهو إنني لم أذهب الي أمريكا . لماذا ؟ لأنني إذاا ربحت فالربح سيعود الي الجميع ، وإذا أخطأت فأريد أن أخطئ وحدي وإتحمل عبء وثقل ومسؤلية خطأي . إذن شعبي العزيز التقيت بشمعون بيرس وتذاكرنا في إطار مخططات فاس التقيت به ، لإنه ليس هناك ما يمنعني من لقائه وإنه ليس هناك قرار من قرارات الجمعية العربية من يوم تأسيسها الي يومنا هذا يمنع مسؤلاً عربياً من الالتقاء بمسؤول اسرائيلي . إني لم التق به في الخفاء كما فعل البعض ، لأن الذين ينتقدون علي صنفين ، فهناك من التقي به سراً وأسمح لي أن أقول لك أن هناك من يسيل لعابه لإستقبال شمعون بيرس ولم يرد بيرس أن يذهب عنده ويخاف أن يأتي عنده علانية .

إن شمعون بيرس قضي يومين يتجول في المغرب ، لا شرطي يحرسه ، لأن عنده من يحرسه ، الا وهو العقل المغربي ورزانه المغاربة ومسؤليتهم وتربيتهم علي مدي أربعة عشر قرنا .

وإن ما نعتز به ، هو إنك كنت تعرف ، علي مدي يومين إن شمعون بيرس موجود هنا وما تحرك متحرك علماً منك برن الأمور بخواتمها وإنك تنتظر ما سيخرج به هذا الأجتماع ، أنا أقول لك . ومن خلالك لجميع الذين أرادوا أن يسطوا علينا بغطرستهم .

ستقولون لماذا لم تلتق به منذ ثلاثة أشهر أو أربعة ؟ ولماذا لم تؤخر ذلك لخمسة أشهرأو ستة؟



السبب واضح لأن هناك ظروفا عربية وإسرائيلية وستقول : ما دخل الظروف الأسرائيلية ؟ شعبي العزيز ، لنعد قليلا الي الوراء ، عندما كنا في المنفي وكان الشهداء يستقون والوطنيون يسجنون . الم نكن مشغولي البال ، صباح مساء بالحكومة التي ستتولي زمام الأمور ؟ ألم نكن نحسب حتي الأصوات التي ستجعل أدغار فور ينتصر أو لانييل يبقي في الحكم أو غي موليه ينهزم أو غيره ينتصر ؟ كنا نحسب كذلك بالنقير والتطمير ، بل ربما كنا نحن أعرف من الفرنسيين بأسماء نوابهم .

شعبي العزيز ، هذه هي دروس المحنة والأستعمار ليس مثل البعض الذين جاء بهم القضاء وليس القدر ولا دراية لهم بمجريات الأمور بحيث كان علي أن أدخل في الأعتبار المناخ الأسرائيلي ففي إعتقادي أن هذا المناخ سيتغير رأسا علي عقب بعد أربعة أشهر ، شمعون بيرس ، كما تعلم ، سيسلم الحكم لحزب الليكود ، وهو الحزب اليميني المتطرف ، قلت أن علي المرء أن يري وضيعته ووضيعة خصمه هذا من الناحية الأسرائيلية لهذا أخترت الآن ، ولكن السبب الآخر الذي هو ذو خطورة هو أنه منذ سنتين تقريبا لم نعد ، شعبي العزيز ، نسمع أي شئ عن القضية الفلسطينية كل إهتماماتنا وطاقاتنا منصبة علي الخصومات العربية - العربية والحرب العراقية - الإيرانية . قلت لنفسي كيف بلغت بنا - ونحن كل العرب مسؤولون عن ذلك - قله الوعي والمسؤولية أن يخلق لنا البعض مشاكل جانبية تتمثل في خصومات العراق مع سوريا والعراق مع ليبيا وسوريا مع الأردن ، وخصومات منظمة التحرير الفلسطينية مع سوريا وليبيا ، وحاليا مع الأردن ثم العرب والمسلمين يموتون وبعض الدول العربية تساند الإيرانيين ناسية الدفاع المشترك الذي يفرضه ميثاق الجامعة العربية ؟ فهل والحالة هذه بلغت بنا الغباوة الي أن تنطلي علينا الحيلة ونضيع فرصنا وأوقاتنا في معارك جانبية وننسي المشكل الأساسي وقلت لنفسي ربما لوقمت من أجله ، وربما سيذيبون في هذا الأجتماع المشاكل القائمة بين بعضهم البعض وسيوحدون من جديد قواهم للتصدي . لماذا ؟ لأن الأرض المحتلة لا تهمني بقدر ما يهمني الأنسان المحتل اليس حرام علينا أن نظل نتساب ونتخاصم فيما بيننا وننسي الرجل العجوز في الأرض المحتلة والرجل الكهل ، الذي لم يكن عمره يتجاوز السنة أو السنتين ، وهذه أربعون سنة نزل عليهم الكابوس ، والأطفال الذين ازدادوا وفتحوا أعينهم علي الأستعباد والقهر والغلبة ؟ فالأرض لا تمسخ ، فهي تبقي كما كانت لا تتغير ولكن البشر يتغير .

فعندما نسترجع الأرض والبشر فأي بشر سنسترجع ؟ فأي شكل عربي أو مسلم أو حتي مسيحي ، لأن تلك الأرض أرض تساكن لأنهم كلهم عرب ، العرب كانوا أولا وقبل كل شئ جنس فلما جاءت اليهودية أعتنقوها ، ولما جاءت المسيحية أعتنقوها ، ولما جاء الأسلام بعد ذلك أعتنقوه ولكن بقي من العرب من هو يهودي ونصراني . العربي ليس من اللازم أن يكون مسلما . كيف

سنسترجع العرب هناك علي إختلاف دياناتهم عندما نسترجع الأرض ؟ علي أيه حال سيكونون هذا هو الدافع ، أولا فرصة الظروف الداخلية لإسرائيل ، وثانيا يا أيها العرب كفاكم تحذيرا وانشغالا عن مشكلكم الحقيقي ، فأنتم لم تشغلوا فقط عن مشاكلكم وإنما هناك منكم من خان ، لإنه حارب أخاه العربي ضد عدو غير عربي ، فلم ننشغل عن المشكل الأساسي فحسب ، بل وقعت الخيانة !

إذن شعبي العزيز أظن إنني غطيت الجانبين الأول ولاثاني ، من خطابي وبقي الجانب الثالث وهو أنك تنتظر معرفة ماذا جري بيني وبين الوزير الأول الأسرائيلي ؟

قبل كل شئ يجب علينا شعبي العزيز وأنت تعرف هذا ولكن الآخرين لا يعرفونه ومن اللازم أن نؤكد لهم أن فاقد الشئ لا يعطية .

فأنا أجتمعت ببيرس ولكن أنا حتي ولو وقعت معه إتفاقية ما يرد بمقتضاها غزة أو الجولان أو الضفة الغربية أو القدس فهذا لا يلزمه ولا يلزمني ففاقد الشيء لا يعطيه ثم إنني لن أتباحث معه الا في إطار مخطط فاس . ياليت الذين حاكمونا وحكموا علينا إنتظروا هذا الخطاب حتي يتخذوا موقفا ،لكن النزق والخفة والشهوات والأغراض ، كل هذا لعب دوره وحاكما من حاكمنا ، وحكم علينا من حكم علينا وأقول لهم ما أنتم بالحكم ترضي حكومته ، فليحكموا كما أرادوا فشخصيا سقف بيتي حديد ركن بيتي حجر قلت للسيد شمعون بيرس : ما هو موقفك من منظمة التحرير الفلسطينية ؟ قال لي : أنا لا أعترف بها . أجبنه : كيف ذلك وماذا ستعمل اذن ؟ ومع من ستتحاور ؟ اذا كنت ترغب في إنهاء المشكل الفلسطيني ؟ قال : أنا الذي سأسالك عمن سأتحاور معه ؟ لأننا نجدهم في سوريا والأردن وتونس . قلت له : هل لك ما تقوله أنا في موضوع الأراضي المحتله ؟ يجب عليك أن تجلو عنها كلها . قال : لا لن أجلو عنها . فقلت له : وداعا ، فأنا لم التق بك من أجل التفاوض معك حول الأراضي المحتلة ومتي سترد هذا الجزء أو ذاك وفي أي وقت ، أنا أريد أن أقول لك يجب عليك أن تنسحب من الأراضي المحتلة وهذه مقررات فاس ، يجب أن تخاطب منظمة التحرير الفلسطينية لأنها أمر ضروري وبما إنك لم تقبل لي هاتين الأسبقيتين ، فإننا لم نخسر شيئا وأقول لك مع السلامة ، فأنت ستطلع حكومتك وأنا كمسؤل عربي عندما يحين الأوان وإذا أراد أشقائي ذلك سأبلغهم بأجوبتك وبالعناصر التي تتضمنها ومادمت لا تريد الأنسحاب من الأراضي المحتلة فذلك يعني إنه لا داعي للحديث عن القدس أو عن مسلسل السلام .

فلم يبقي لي إذن ما أقوله له ، ما دام يرفض منظمة التحرير الفلسطينية كمخاطب وحيد وشرعي ، ويرفض الأعلان عن الجلاء عن جميع الأراضي المحتلة ، فقلت له : بما أن الأمر كذلك فمع السلامة ، وليعيد كل الي حال سبيله ، وسأرد الخبر علي من يهمه الأمر في المقام الأول ،

أي دول المواجهة وعلي جميع الأشقاء العرب ليعلموا بعد الجواب هذا ما يترتب علي ذلك وما يجب إتخاذه من تدابير ومخططات .

قلت لك شعبي العزيز في مستهل خطابي ، ان لقائي به لم يكن للتفاوض أو للحل والعقد بل للأستطلاع وأعتقد شخصيا بأنه من الجبن الا يخاطب الأنسان عدوه وخصمه فنحن تربينا علي الشجاعة شعبي العزيز يقولون في الصحف أن عمل الحسن الثاني عمل شجاع الخ معلوم اذا قلت هذا السيف امضي من العصي أما عملي في حد ذاته فليس عملاً شجاعاً فهو نتيجة التربية الوطنية التي تلقيناها جميعاً والتي جبلنا عليها أساتذتنا في السياسة سواء منهم سيدنا المغفور له محمد الخامس أو زعماء أحزابنا السياسية أو التجربة القاسية التي مررنا بها . تعلمنا إنه في بعض الأحيان نخرج المظاهرات في الشوارع وفي بعض الأحيان للمناقشة والتفاوض .

ولهذا شعبي العزيز خذ درساً من هذا ليس من الجبن وليس من العار والخذلان أن يتوجه الأنسان ، من حين لآخر الي خصمه وعدوه لمعرفه موقفه ونواياه فالجبن ووالخذلان والتقاعس والخيانة هي أن يلقي المرء السلاح ، فأنا منذ أصبحت ملكاً الي يومنا هذا منذ خمس وعشرين سنه ، فتحت عيني علي وصع اللا حرب واللاسلم والآن شعبي العزيز سأحكي لك شيئاً عندما كنا في مؤتمر ١٩٦٥ بالدار البيضاء ويمكن أن تعود الي هذا في محضر الجلسات وكان حاضراً في هذا المؤتمر عبد الناصر وعارف والملك سعود ، رحمهم الله جميعاً والسلال من اليمن وأظن الصادق المقدم عن تونس ، اذا لم تخني الذاكرة والمهم إنني أظن أن من يؤكد لكم هذا أكثر هو أمين الحافظ الذي رئيساً للجمهورية السورية ، وهو بعثي كذلك ، وهو الأن لاجئ في لبنان وكان كذلك الحسن الرضا ، الذي مازال علي قيد الحياة والذي كان ينوب عن الملك ادريس رحمه الله وكان من الجزائر علي ما أعتقد بوتفليقة أو الرئيس بومدين ، وأظنه الرئيس بومدين لأن ذلك وقع بعد أحداث ١٩ (حزيران) يونيو ١٩٦٥ ، لا أتذكر بالضبط ، المهم في سياق الحديث طلب مني ان ادلي برأيي وقد أحدث هذا الرأي ضجة لا تتصور . اذ انني قلت لهم أمامكم اختياران ، أما أن تحاربوا إسرائيل ولو بالعصي لان عددكم ثمانون مليون نسمة وعددهم ليس سوي مليونين ونصف آنذاك قالوا لا نستطيع قلت لهم : اسلكوا طريقاً آخر فاعترفوا بهم وادخلوهم الجامعة العربية وذوبوهم وسط ثمانين مليون نسمة . فوقعت علي ضجة ، فماذا كان يمنعنا من الأعتراف بهم آنذاك ؟ والحالة هذه إنه لم يكن لديهم سوي رقعة صغيرة من الأرض . فقد كانوا سيتقبلون ذلك بكل سرور لكن هذا لم يحدث ولم يكن هناك سوي كلام وخطابات الشقيري : لنرم بهم الي البحر حتي طردونا من أرضنا وتركونا تائهين وما زلت أجد بعد هذا كله، من يتطاول علينا وينعتنا بما نعتنا به ، وكما قلت لك شعبي العزيز هذا من باب التفاهة والخفة واللامسؤولية فنحن كيفما كان الحال ، نعتزم إرسال رسالة لجميع ملوك ورؤساء الدول العربية نفسر لهم فيها بواعث

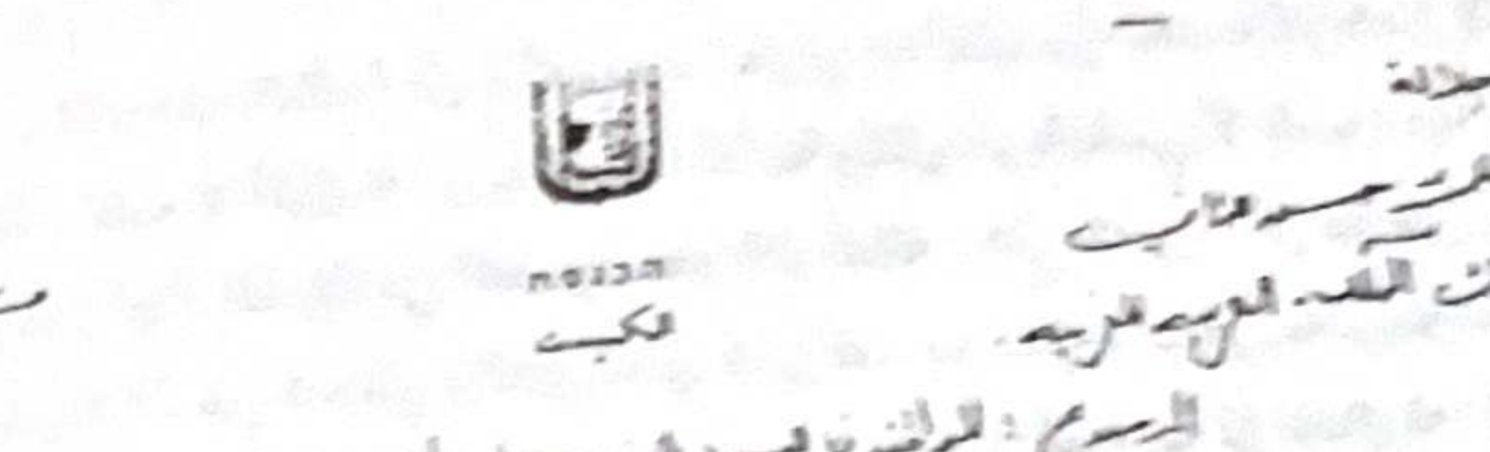
ودوافع لقائنا بشمعون بيرس وسنطلعهم فيها علي العناصر التي أتي بها الينا والرد السلبي علي النقطتين الأساسيتين في مخطط فاس . وهما الجلاء عن الأراضي المحتلة والأعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية .

وهنا أريد قبل ختام هذه الكلمة أن أوكد مرة أخري - أحب من أحب وكره من كره - أن المغرب بلد ذو سيادة ، عليه لا أقول له أن يمارسها كاملة وبكل حرية حتي لا يلمس فيه الآخرون الضعف . والحد الوحيد لهذه الحرية في التصرف هو التزاماته . إني لا أريد أن يفرض علي أحد مع من التقي ومع من لا التقي فحتي والدي الذي كان يسهر علي تربيتي بحرص شديد لما تجاوزت سناً معينة ترك لي حرية معاشرة من أريد ، ولا أرضي للمغرب أن يقال له التق بهذا ولا تلتق بذلك فأنا التزمت التزاماً داخل الجامعة العربية وليس هناك أي قرار يمنعني من أن اتصل بمن اردت ، وهذا شئ مهم جداً ينبغي معرفته وإحترامة من جهة أخري ، قد يقولون أن فلاناً عمل ما عمله السادات . أقول إنه لا مجال هنا للمقارنة ، اذ لا قياس مع وجود الفارق .

فالسادات رحمة الله كانت أرضة محتله وحررها ، فهل أخطأ أم أصاب ؟ إنه وقع إتفاقية واستعاد جزءاً من الأرض وأنا أحمد الله ليس لدي أرض أحررها ، ولو كانت لدي لما أنتظرت حتي اليوم لأحررها .

لقد وقعت النكسة في ١٩٦٧ ومضي عليها عشرون سنة تقريباً فمن هذا الي الذي سيترك أرضة محتله لمدة عشرين سنة وهذا شئ لا يوجد الا في الشرق وأقول هذا لأهل الشرق إنكم خاملون والمغاربة شجعان ، فلا أحد منهم يترك أرضه محتله لمدة عشرين عاماً وإذا كنتم تريدون تعلم الوطنية والرجولة ، فعليكم أن تطلبوها عندنا أما أن يعطينا الشرقيون دروساً في الوطنية ، فلا أسمح بذلك وما يهمني شعبي العزيز ، هو إنتقادك العملي أو إرضاك عنه ، أما أنا فضميري مرتاح وإذا أرتاح ضميرك ، فضميري يكون أكثر أرتياحاً وكل هذا ما قصدت به الا شيئين يقول النبي - ص) من أجتهد فأصاب فله اجران ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد ، فأرجو من الله سبحانة وتعالي أن يعيني اجرين وحتي ذا لم يكن ذلك فأجر واحد من الله يكفينني وأنا قانع به وسأختم كلمتي هذه بقوله سبحانة وتعالي « وقل أعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون». صدق الله العظيم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

{ نقلاً من العلم ، المغرب . ١٥ / ٧ / ١٩٨٦ }



الموضوع : المواطنون اليهود العرب هاجروا الى إسرائيل

المصدر

صحيفة العلم ... ١٩٨٤

صورة ضوئية من رسالة شارل بيتون عضو الكنيست الإسرائيلي

إلى الملك الحسن الثاني بشأن عودة اليهود المغاربة إلى إسرائيل .

مكتب

منظمة التحرير الفلسطينية

بالملكة المغربية

مؤتمر الطائفة اليهودية في المغرب

بين التعايش الديمقراطي والتطبيع الصهيوني

كثر الحديث في الأيام الأخيرة عن مؤتمر الطائفة اليهودية الذي عقد أيام ١٣ ، ١٤ مايو في فندق هيلتون في الرباط ، وتراوحت ردود فعله بين التنصل من تبعات هذا المؤتمر الي المطالبة ببحث هذا الموضوع في مؤتمر وزراء الخارجية العرب بل ومؤتمر القمة العربي ، وإذا كان مكتب منظمة التحرير الفلسطينية سباقاً الي إصدار تصريح يُرخص فيه اللقاء مع أي من أعضاء المؤتمر أو ضيوفه ، ويسجل علي الطائفة المغربية اليهودية عدم الأتصال الرسمي أو الشعبي مع الفلسطينين ، رغم وعي هؤلاء علي حقيقة هوية اليهود المغاربة كمواطنين عرب ، ورغم دعوة منظمة التحرير الفلسطينية لإعتبار الطائفة اليهودية العربية طائفة عربية ، لها الحق في التعايش الديمقراطي في وطننا ، مثلها مثل بقية الطوائف الأخري ، رغم المواقف المتباينة التي صدرت عن جهات مسئولة وأخري غير مسئولة فلسطينية وعربية ، ورغم عدم إستحساننا للخوض في هذا الموضوع بأعصاب ساخنة ، فإننا نعتقد إن الموضوع قد تعرض الي قدر غير قليل من الخلط والأبهام الذي يحتاج الي التوضيح والجلاء :

١ – الموقف من الطائفة اليهودية العربية ودعوة الثورة الفلسطينية لجميع الحكومات العربية الي مساواتها بجميع الطوائف الأخري في الحقوق والواجبات ، ذلك أنها من قرائتها لتاريخ القضية الفلسطينية وتاريخ المسألة اليهودية ، وتاريخ الحركة الصهيونية ، والأستيطان الصهيوني في فلسطين وجد أن المشروع الصهيوني لم يكن في نشأته إلا مشروعاً إستعمارياً تبنته جميع الدول الأستعمارية إبتداء من حملة نابليون علي فلسطين وحتي التحالف الأستراتيجي بين أمريكا وإسرائيل في وقتنا الراهن وإن علاقة اليهود بهذا المشروع في بداياته كانت علاقة عداء لا تقل عن معاداتنا له في ذلك الوقت ، بل إن الرواد الصهاينة الأوائل لم يكونوا بأي حال من الأحوال من اليهود بل أن الصهاينة الأوائل من اليهود لم يكونوا من المتدينين علي الأطلاق مثل هرتزل وآخرين . وعندما استطاعت القوي الأستعمارية أن تجد لها أبواقاً وأدوات من اليهود الغربيين (الأشكنازيم) لم تفكر إطلاقا باليهود العرب ، لأنهم لم يخضعوا للتحولات الأقتصادية

والأجتماعية التي عمت بلدان أوروبا والتي أفرزت المذابح والأضطهادات التي بقي يهودنا العرب بمنأي عنها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخري لأن اليهود العرب يشكلون جزءا من الأمة العربية ويضربون بجذورهم الحضارية والثقافية والأقتصادية في أعمق أعماق تاريخها وتراثها وحضارتها وتقاليدها ، لكل ذلك فقد جري التفكير بتهجير اليهود العرب في وقت متأخر أي قبل إنشاء الكيان الصهيوني بقليل وبالضبط في المؤتمر الصهيوني المسمي بمؤتمر بلتيمور والذي عقد في فندق نيويورك عام ١٩٤٢ ، الا أن ذلك لا يعني أن الحركة الصهيونية (وبسبب الأوضاع الأستعمارية التي كانت سائدة في العالم العربي) لم تتغلغل في أوساط الطائفة اليهودية العربية قبل ذلك بكثير ، حيث كان تأثيرها محدوداً في غير الميادين الثقافية والدينية والأجتماعية . ومع ذلك فإن إنشاء مدارس الاليانص العالمية وإجبار اليهود بتعاون السلطات الأستعمارية الحاكمة علي دخول هذه المدارس التي تعلم العبرية واللغات الأجنبية دون اللغة العربية ، قد جعل في الطائفة اليهودية العربية طائفة مقطوعة الجذور بماضيها الحضاري والثقافي والذي سجل في غالبيته العظمي باللغة العربية إبتداء من حضارة اليمن قبل الإسلام والتي لعب فيها اليهود دوراً هاماً ، الي حضارة الأندلس التي شارك فيها اليهود بنصيب لا يسوغ للبحث الموضوعي وبطبيعة الحال لم تكن الصهيونية ذات المنشأ الغربي والأستعمارية لم تصل لتنجح في التآمر علي جزء من أمتنا العربية لتقتلعهم من مواطنهم وتحارب بهم زمنهم العربي ، لولا هذا التحضير الطويل من الإستلاب والتحصيل التاريخي للمسح القومي لليهود العرب الذين يشكلون الأن أكثر من ثقلاً من سكان الكيان الصهيوني بإستثناء الفلسطينيين ، هل تعرف الأجيال العربية وعلي الأخص اليهودية منها أن السموءل رمز الوفاء والشهامة العربية كان يهوديا وأن اليهود لعبوا دوراً أساسياً في الترجمة في بداية العربية أيام الرشيد والمأمون ؟ هل يعرف اليهودي المغربي الذي يمتد تاريخه في المغرب إلي ألفي عام أو يزيد شيئاً عن تاريخه في هذه الفترة الزاخرة ؟ هل يعرف المواطن المصري مثلاً أن اليهود المصريين (وليس الوافدين علي مصر من أوروبا) قد شكلوا بينهم الرابطة ، بينما صرحت للمنظمات الصهيونية بمتابعة نشاطها في مصر ؟ هل يعرف اليهودي العراقي أن الحركة الصهيونية كانت وراء ما تعرض له مقهي الدار البيضاء في بغداد ؟ وما تعرض له الكنيس من تفجيرات سنة ١٩٥١ ؟ وإن الحركة الصهيونية كانت علي إتفاق مع نوري السعيد لنزع الجنسية عنهم وإقتلاعهم من وطنهم وإرسالهم الي مطار اللد مباشرة من الحبانية ؟ هل يعرف الفلسطيني أن الحاخام روث بلاو حاخام طائفة نانوري كارتا يقول أنه في أيام شبابه أي أوائل القرن العشرين لم يكن هناك أي عداء بين المسلمين والمسيحيين واليهود في القدس ؟ وإنه لم يسمع في أيام شبابه أن عربياً قتل يهودياً في القدس ؟ هل يعرف اليهود عامة أن الفلسطينيين عبر التاريخ كانوا يقبلون أي وافد للعيش بجوار الأماكن المقدسة في القدس ؟ لي أن جاءت الهجرة الصهيونية بهدف سياسي عدواني وليس بهدف ديني ، وأنه تعايش



في القدس اليهودي والمسيحي والمسلم والأفغاني والمغربي والنيجيري ، جنباً الي جنب كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات ؟ وإن الحقد لم يعرف طريقة الي ربوع القدس مع الغزوات السياسية العدوانية ؟

نعم لقد شارك اليهود العرب في الحركات السياسية العربية المناهضة للأستعمار ، كما وجد منهم من خان تاريخة وأمته وقبل حماية القنصليات الأجنبية وراهن علي الوجود الأستعماري في وطننا مثلهم مثل أيه طائفة ، ولكن مما لا شك فيه إنه وجد من اليهود من قاوم الحركة الصهيونية في بلده بكل ما يحمله ذلك من أعباء ومتاعب ، ولا داعي لنسوق الشواهد هنا فالشواهد كثيرة ومعاصرة وحية في الأذهان .

لقد وقع الكثير منا بحسن أو بسوء نيه في المقولات الصهيونية الداعية الي أعتبار اليهود أمة واحدة واليهود قومية متميزة عندما ندعو الي الحذر من اليهود أو مقاطعتهم في تعاملنا اليومي ، أو من القوانين التي تنقص من حريتهم كمواطنين متساويين في الحقوق والواجبات أو تقيد حركتهم فكانت النتيجة إننا ساعدنا الصهيونية علي تهجير الشطر الأعظم منهم الي الكيان الصهيوني . ومع ذلك فهم الأن في فرنسا أو في كندا أو في أستراليا يعيشون حياة المنفي والأغتراب بكل ما تحمل الكلمة من معني الحنين الي الوطن والتشبث بقيمه وأخلاقه .

وإذا كنا قبل نكبه عام ١٩٤٨ نعاني في جميع أقطارنا العربية من الحكم الأستعماري بشكل مباشر أو غير مباشر مما مكن الأستعمار العالمي وأداته الصهيونية العالمية من مسخ هوية مواطنينا اليهود ، وتغيبيه وعيهم القومي ، وتزييف تاريخهم وحقنهم بالمقولات الصهيونية المعادية امتهم ولمستقبل أجيالهم ، فهل يعقل الأن وبعد أن تحررت كل أقطارنا العربية بإستثناء فلسطين أن نترك التاريخ ميداناً فسيحاً للحركة الصهيونية تزيف فيه ما تشاء وتنتقي منه ما تشاء لتنسج لمواطنينا اليهود العرب تاريخاً مزيفاً لا يمت لتاريخنا ولا لقيمنا وتقاليدنا في التعايش الديمقراطي بأية صلة كانت ، وأين مسؤلية وزارات الثقافة ومراكز الدراسات والأبحاث وكليات العلوم الأنسانية ؟ أين هي مسؤولية المثقفين الواعين في كشف هذه المقولات الصهيونية المعششة في الأدمغة في جانبي خط النار بين أبناء الأمة الواحدة اليهودية دين سماوي محترم من الجميع يهوداً وغير يهود ، والصهيونية مذهب سياسي معاد لوجودنا وحريتنا ومستقبل أجيالنا ، فهل بالأمكان العمل علي إنتشال يهودنا من أتون الصهيونية أداة الأمبريالية في حرب أمتنا ومعاداة قيمنا ومصالحنا ومصير أجيالنا .

ومن هنا فإن شعار « الدولة الفلسطينية الديمقراطية » كهدف إستيراتيجي للثورة الفلسطينية وكمشروع لحل أمثل لمشكلة الصراع في الشرق الأوسط قد أخذ في إعتباره كل هذه الحقائق لا بالمنظور التاريخ فقط ولمن بالمنظور المستقبلي كذلك ، كما أدركت الثورة الفلسطينية

بجميع فصائلها إن هذا لابد أن يكون علي قاعدة التعايش الديمقراطي بين أبناء الأمة الواحدة والشعب الواحد ، وهي أبعد ما تون عن النزوع الفاشي أو الطائفي الذي يطبع الحياة في الكيان الصهيوني .

أن التمييز الأقتصادي والأجتماعي والسياسي الذي يعرفه اليهود الغربيون (الاشكناز) أصحاب المشروع الصهيوني وسادته ، علي اليهود الشرقيين (السفرديين) أدوات تحقيق المشروع لصالح الأمبريالية العالمية تفرض علي جيل المثقفين من يهودنا أن يبحثوا في المقولات الأساسية للحركة الصهيونية ، وإن يناقشوا المسلمات التي أعطيت لهم جاهزة من مفكري الغرب. فرغم أن نسبتهم الأن في داخل الكيان الصهيوني كشرقيين عرباً وغير عرب تقارب ٦٥ الا إنهم لا يتمثلون في الكنيست المنحل بأكثر من ٣٠ نائباً من ١٢٠ وفي قيادة الهستدرون ليسوا سوي ٩ من ٣٣ ومن مدراء الشركات العمومية ٣ / ١٣٩ ، ومن المجلس الوزاري ليسوا ممثلين سوي بأربعة وزراء من ١٧ وزيراً . ونسبة ٨٥ ٪ من المجرمين في الكيان الصهيوني من الشرقيين ٩٢٪ من المساجين من ١٤ – ١٧ من اليهود العرب ، ٦٠ ٪ منهم مغاربة وهكذا بعد أن تم إقتلاع اليهود العرب وإستغلالهم بجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية في الكيان الصهيوني فإن الصهيونية لاتشرك لهم أي أفق سوي أفق الحرب حيث يشكلون نسبة عالية جداً من بين الجنود ٨٠ ٪ ونسبة قليلة جداً ٢٠ ٪ من الضباط) ودوام التمييز الأجتماعي والعرقي ضدهم ، بل أن الصهيونية سوف تضاف من مناورتها لاعاقة وعي اليهود العرب بضرورة الكفاح المشترك مع مجموع الشعوب العربية ضد العدو المشترك المدافع عن المصالح الأمبريالية في المنطقة الا وهو الكيان الصهيوني الأستيطان العنصري .

إن تدمير الطوائف اليهودية العربية ووضعها في المنفي قد تركا الأجيال الجديدة في جهل بالتاريخ الذي يشكل جزءاً لا يتجزء من تاريخ الشعوب العربية ، وإذا أردنا أن نحافظ علي مواطنينا اليهود والعيش معهم في مجتماع ديمقراطية فإن هذا الجدار من الجهل يجب أن يتحطم ، يجب أن يخلق تيار في مجري النضال العربي يحلو ما راكمته الصهيونية من غبار وأوساخ علي هوية اليهودي العربي وتحريرها من الأكاذيب الصهيونية الأستعمارية وهذا لا يأتي الا من خلال إعادة نسج الروابط مع طوائفنا اليهودية في بلادنا العربية مهما صغر حجم هذه الطوائف التي تمسكت بأرضها ويعروبتها ، ومن هنا فإن منظمة التحرير الفلسطينية قد تدخلت عدة مرات لدي الحكم في سوريا لحل مشاكل إجتماعية للطائفة اليهودية في سوريا . كما قامت بحماية الطائفة اليهودية اللبناية عندما حوصرت في الحرب في بيروت وقدمت كل أنواع المساعدة لها وهي بلا شك تغتبط برؤية الطائفة اليهودية المغربية تمارس حياتها اليومية بكل حرية في وطن عاشت فيه عشرين قرناً أو يزيد ، ومن هنا فإن مكتبة منظمة التحرير الفلسطينية عندما أعلن إنه

لن يجتمع بأي من أعضاء أو ضيوف مؤتمر الطائفة اليهودية المغربية نفسها ، بقدر ما كان بسبب هوية ونوعية المدعوين لهذا المؤتمر تحسبا ص من التطبيع الصهيوني .

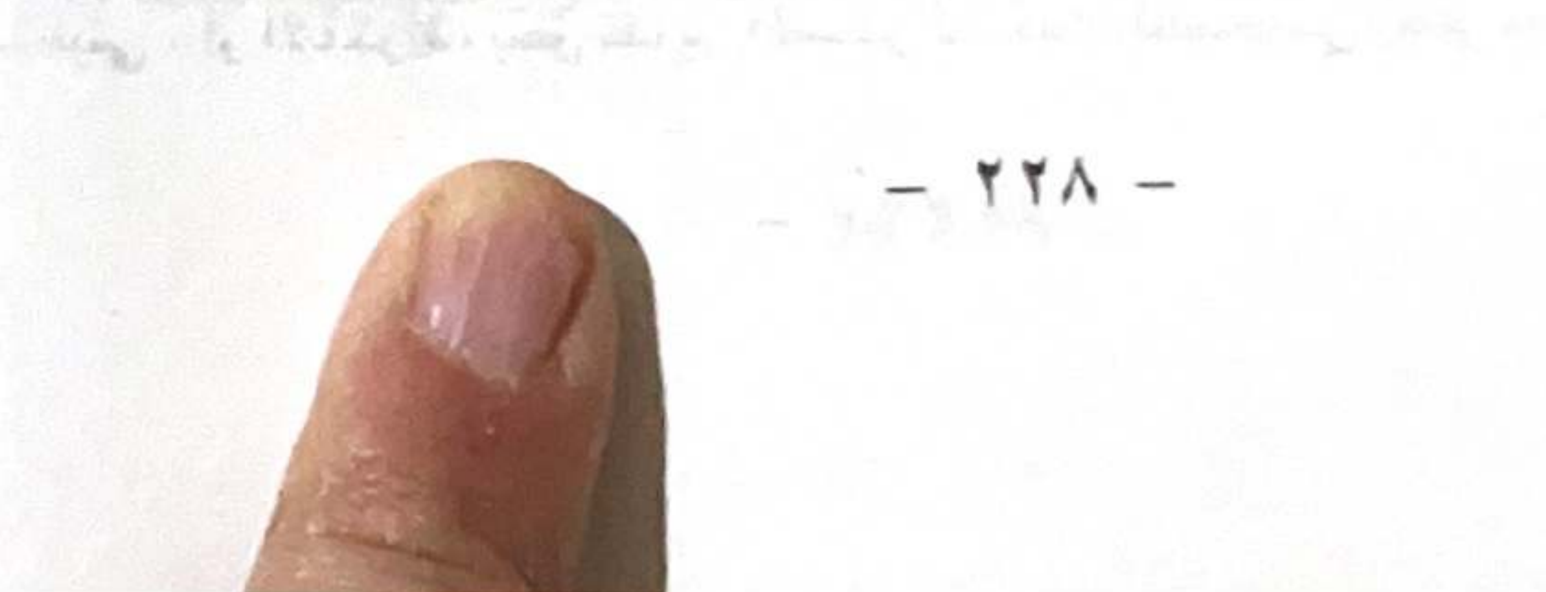
التطبيع الصهيوني والمقاطعة العربية :

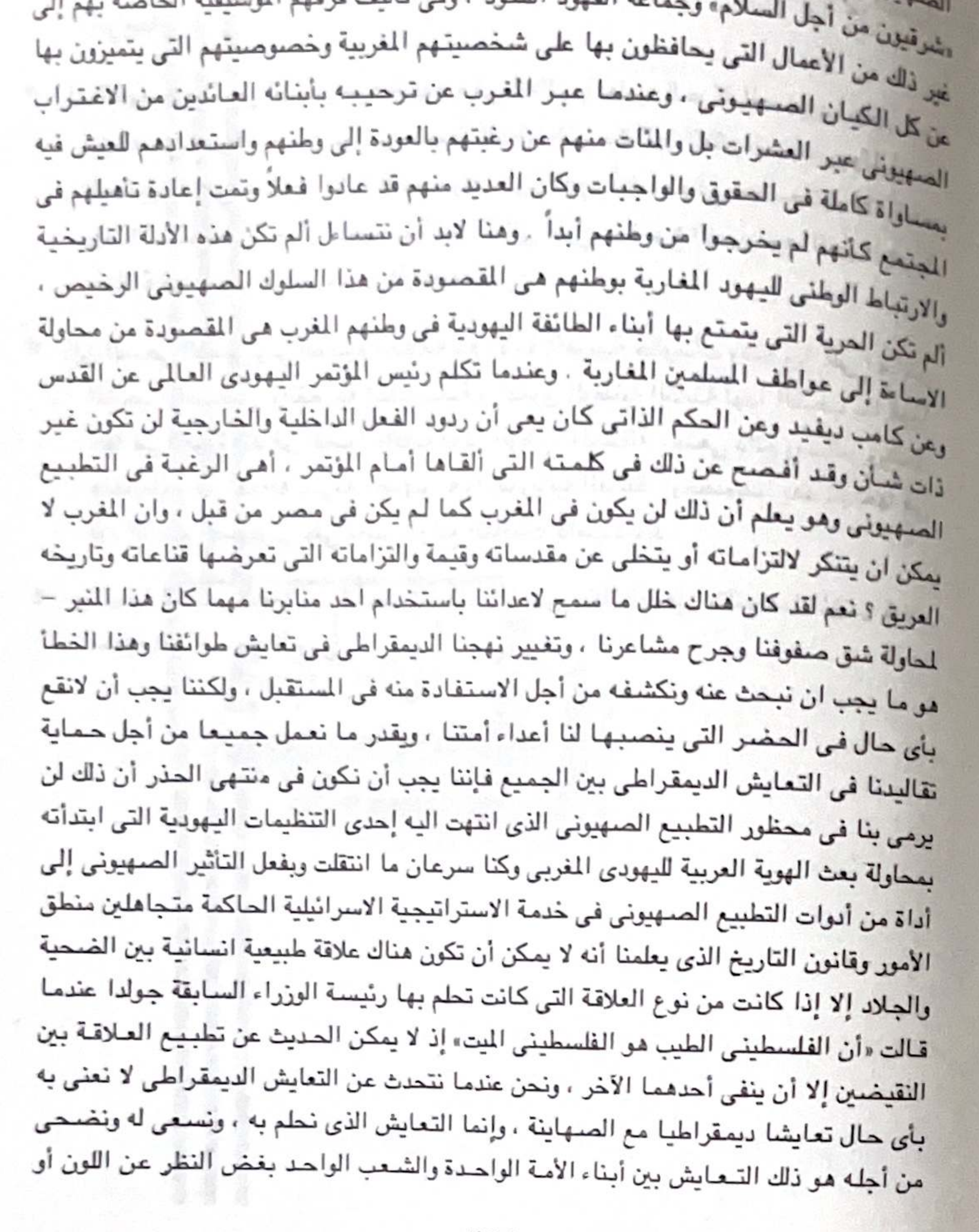
لقد قامت الفكرة الصهيونية أساساً علي أن الأمبريالية العالمية توفر لصنيعتها الكيان الصهيوني تفوقاً عسكرياً يؤمن بضاعة في وجه الرفض العربي للوجود الصهيوني ، وكلما قامت الدول العربية بالحصول علي تقنية متقدمة كلما زادت الدول الأستعمارية من دعمها للكيان الصهيوني أملاً أن يأتي اليوم الذي يسلم فيه الشعب الفلسطيني والأمة العربية بوجود الكيان الصهيوني علي أرضنا والقبول به كوكيل للأمبريالية العالمية في المنطقة ، ، الا أن أستمرار رفض الشعوب العربية بما فيها الشعب الفلسطيني لهذا الكيان الدخيل ورفضها للقهر والهيمنة الأمبريالية قد أعاقا – (رغم التفوق العسكري الهائل) نمو هذا المشروع وتحقيق أهدافه ، وقد لبت المقاطعة العربية وظهور الثورة الفلسطينية وممارستها للعمل العسكري الطويل الأمد دوراً حاسماً في منع استقرار هذا المشروع ومواطنيه علي أرضنا العربية في فلسطين ، وبإختصار ما دام الكيان الصهيوني والقوي الأمبريالية لم تستطع أن تفرض علي الشعب الفلسطيني قبولاً بالأمر الواقع يؤدي الي الأستسلام فإن المستقبل القريب للوجود الصهيوني علي الأرض الفلسطينية يبني وجودا غير شرعي ومشكوكا في قدرته علي البقاء في أول فرصة تتغير فيها موازين القوي العالمية أو المحلية أو كليهما ومن هنا فإن جميع المشاريع التي صدرت عن الغرب لحل قضية الشرق الأوسط أو القضية الفلسطينية كانت ذات منطلق واحد هو الحفاظ على اسرائيل كدولة صهيونية فى المنطقة وتأمين قبولها من الشعب الفلسطينى والشعوب العربية إبتداء من مشروع روجرز الي مشروع ريغن . إن ادعاء الأمن الذي تطالب به إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية هو تأمين بقاء الوجود السياسي الصهيوني وجوداً متفوقاً وفاعلاً في خدمة المصالح الأستعمارية في المنطقة العربية ، وهذا لا يتأتي إلا اذا وافقت شعوب المنطقة علي أي من هذه المخططات المشبوهة . من هنا نري أن القبول بالأمر الواقع ومعاملة الكيان الصهيوني كحقيقة راسخة وإنهاء المقاطعة العربية إنما هو هدف اساسى من أهداف الكيان الصهيونى فى هذه المرحلة . وهكذا فإن ما يسمى بتطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل قد نال من الاهتمام فى المفاوضات المصرية الاسرائيلية أضعاف ما ناله موضوع تبادل التمثيل الدبلوماسى بينهما . إن قبول الشعوب العربية بالتطبيع ليس سوى تعبير مخفف عن القبول بإعطاء شهادة حياة للكيان الصهيونى دون أن يكون مضطرا للاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، أو الاعتراف بحق تقرير المصير لشعبه الفلسطينى دون أن يكون مضطرا للاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، أو الاعتراف بحق تقرير المصير لشعبه الفلسطينى وحق عودته إلى أرض آبائه



وأجداده ، إذ بهذا الاعتراف الأخير فقط يمكن أن يكون هناك تعايش ديمقراطى بين أبناء الأمة الواحدة بدون تمييز طائفى أو قهر اجتماعى .

ومن هنا فعلينا ان نقر أنه إذا كان هدف الطائفة اليهودية المغربية (كما قيل لنا) من دعوة ضيوف أجانب لمؤتمر الطائفة الدورى هو إطلاع هؤلاء على نموذج التعايش الناجح بين الطائفتين اليهودية والمسلمة ، وإطلاع هؤلاء على حرص الحكومة المغربية على ترميم أماكن العبادة ومزارات اليهود فى المغرب رغم نزوح غالبية الطائفة المغربية فى البلاد ، لتلمس الفرق بين ما تتمتع به أضرحة ومزارات اليهود من احترام وما تتعرض له مقدسات المسلمين فى القدس من معاناة واعتداء تهدد بقاءها وعروبتها ، أن كان هذا هو الهدف فإننا لا نفهم من بعض تدخلات الشخصيات الصهيونية إلا محاولة احراج البلد المضيف وإظهار هذا المؤتمر بمظهر التطبيع الصهيونى عندما أصرت هذه الشخصيات فى الخروج عن البرنامج المقر لاضفاء الطابع السياسى على المؤتمر بل ولاظهار قدر كبير من عدم احترام مشاعر المسلمين المشاركين عندما أصر رئيس المؤتمر اليهودى العالمى على مغالطة التاريخ بادعائه أن القدس لم تشهد فى تاريخها تسامحا دينيا مثل التسامح الذى عرفته تحت الاحتلال الاسرائيلى وعندما أصر على أن حل مشكلة الشرق الأوسط لا يمكن إلا الاعتراف بالحكم الذاتى للأراضى المحتلة عام ١٩٧٦ ، أى لا حل إلا بحرمان الشعب الفلسطينى من حقه المشروع فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة على ترابه الوطنى . وهو يعلم تمام العلم أن هذا المشروع مرفوض تماماً من الشعب الفلسطينى وقيادته الثورية فقط ولكن من قبل الأمة الإسلامية التى تبنت مشروع فاس كحد أدنى تقبل به لحل المشكلة بين المسلمين واليهود وهو المستهدف بالذات من استفزاز مشاعر المسلمين وإحراج الحكم المغربى الذى يترأس الآن العالمين العربى والاسلامى ، بل وأخذ على نفسه بتفويض منهما مهمة رئاسة لجنة القدس التى أنهت اجتماعاتها قبل اسابيع قليلة على أرض المغرب بقرار ينص على قطع جميع العلاقات مع أية دولة تنقل سفارتها إلى القدس بدلاً من تل أبيب أو تتعامل مع الكيان الصهيونى بما يفيد الاعتراف باعتبار القدس عاصمة له ، إلا يدخل توجيه الدعوة للعاهل المغربى لزيارة القدس تحت الاحتلال الصهيونى ضمن محاولة هز مصداقية المغرب فى العالمين العربى والاسلامى ، ناهيك بالحديث عن كامب ديفيد وزيارة الرئيس المصرى السابق للقدس دون أن يكون هناك أى وجه للمقارنة بين الحدثين ولكن لماذا المغرب ؟؟ لعل من أهم الأسباب هو أن للمغرب جالية يهودية هاجرت إلى فلسطين المحتلة تعتبر أكبر فى الستينات ، ولا زالت لم تندمج فى المجتمع الصهيونى فى الأرض المحتلة حيث لازال ولاؤها لوطنها الأم ملحوظا فى حنينها لأى الوطن ، وفى تمسكها بعاداته وتقاليده فى الموسيقى والفن وطراز الحياة وفى لغة التخاطب اليومية ، بل إن الكثير منهم لا يتردد فى الترحم على الأيام التى عاشها فى المغرب مقارنا بين ما





يعانيه اليوم من تمييز طائفى من الاشكناز مع روح التسامح التى كان ينعم بها فى المغرب مع أبناء وطنه المسلمين بل إن طائفة من المثقفين منهم بدأت تعى خطوط المؤامرة التى مارستها الصهيونية لاقتلاعهم من أرضهم واستخدامهم أبشع استخدام لانجاح مشروع الهوية مثل «شرقيون من أجل السلام» وجماعة الفهود السود ، وفى تأليف فرقهم الموسيقية الخاصة بهم إلى غير ذلك من الأعمال التى يحافظون بها على شخصيتهم المغربية وخصوصيتهم التى يتميزون بها عن كل الكيان الصهيونى ، وعندما عبر المغرب عن ترحيبه بأبنائه العائدين من الاغتراب الصهيونى عبر العشرات بل والمئات منهم عن رغبتهم بالعودة إلى وطنهم واستعدادهم للعيش فيه بمساواة كاملة فى الحقوق والواجبات وكان العديد منهم قد عادوا فعلاً وتمت إعادة تأهيلهم فى المجتمع كأنهم لم يخرجوا من وطنهم أبداً . وهنا لابد أن نتساءل ألم تكن هذه الأدلة التاريخية والارتباط الوطنى لليهود المغاربة بوطنهم هى المقصودة من هذا السلوك الصهيونى الرخيص ، ألم تكن الحرية التى يتمتع بها أبناء الطائفة اليهودية فى وطنهم المغرب هى المقصودة من محاولة الاساءة إلى عواطف المسلمين المغاربة . وعندما تكلم رئيس المؤتمر اليهودى العالمى عن القدس وعن كامب ديفيد وعن الحكم الذاتى كان يعى أن ردود الفعل الداخلية والخارجية لن تكون غير ذات شأن وقد أفصح عن ذلك فى كلمته التى ألقاها أمام المؤتمر ، أهى الرغبة فى التطبيع الصهيونى وهو يعلم أن ذلك لن يكون فى المغرب كما لم يكن فى مصر من قبل ، وان المغرب لا يمكن ان يتنكر لالتزاماته أو يتخلى عن مقدساته وقيمة والتزاماته التى تعرضها قناعاته وتاريخه العريق ؟ نعم لقد كان هناك خلل ما سمح لاعدائنا باستخدام احد منابرنا مهما كان هذا المنبر – لمحاولة شق صفوفنا وجرح مشاعرنا ، وتغيير نهجنا الديمقراطى فى تعايش طوائفنا وهذا الخطأ هو ما يجب ان نبحث عنه ونكشفه من أجل الاستفادة منه فى المستقبل ، ولكننا يجب أن لانقع بأى حال فى الحضر التى ينصبها لنا أعداء أمتنا ، وبقدر ما نعمل جميعا من أجل حماية تقاليدنا فى التعايش الديمقراطى بين الجميع فإننا يجب أن نكون فى منتهى الحذر أن ذلك لن يرمى بنا فى محظور التطبيع الصهيونى الذى انتهت اليه إحدى التنظيمات اليهودية التى ابتدأته بمحاولة بعث الهوية العربية لليهودى المغربى وكنا سرعان ما انتقلت وبفعل التأثير الصهيونى إلى أداة من أدوات التطبيع الصهيونى فى خدمة الاستراتيجية الاسرائيلية الحاكمة متجاهلين منطق الأمور وقانون التاريخ الذى يعلمنا أنه لا يمكن أن تكون هناك علاقة طبيعية انسانية بين الضحية والجلاد إلا إذا كانت من نوع العلاقة التى كانت تحلم بها رئيسة الوزراء السابقة جولدا عندما قالت «أن الفلسطينى الطيب هو الفلسطينى الميت» إذ لا يمكن الحديث عن تطبيع العلاقة بين النقيضين إلا أن ينفى أحدهما الآخر ، ونحن عندما نتحدث عن التعايش الديمقراطى لا نعنى به بأى حال تعايشا ديمقراطيا مع الصهاينة ، وإنما التعايش الذى نحلم به ، ونسعى له ونضحى من أجله هو ذلك التعايش بين أبناء الأمة الواحدة والشعب الواحد بغض النظر عن اللون أو

العرق أو الدين مواطنين متساوين فى الحقوق والواجبات ، متحررين من العنصرية الصهيونية والاغتصاب الفاشى والقهر الاستعمارى ومن هنا فإننا لابد أن نخلص إلى النتائج التالية :

١ - أنه لابد من اعتبار الطوائف اليهودية فى البلاد العربية مواطنين متساوين فى الحقوق والواجبات .

٢ - إن الحوار مع القوى الديمقراطية اليهودية فى العالم والمعادية للحركة الصهيونية حوار لابد من السعى له والاستمرار لتوضيح طبيعة الخطر الذى يشكلها الفكر الصهيونى والممارسة الصهيونية على مستقبل الأمة العربية وتعايش اليهود أنفسهم فى مجتمعاتهم الاصلية ، وقد كانت منظمة التحرير الفلسطينية سباقة إلى طرح موضوع الحوار مع القوى اليهودية المعادية للصهيونية فى مجالسها الوطنية .

٣ - إن السعى الصهيونى لتطبيع العلاقة مع الأمة العربية حكومات وشعوبا على انقاض الشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينية والحقوق الوطنية الثابتة لهذا الشعب بما فيها حقه فى العودة وتقرير المصير وإقامة دولته الوطنية المستقلة ، سعى دائم ومستمر ويشكل هدفا ملحا من أهدافه لحركة الصهيونية والامبريالية العالمية . وخصوصا بعد نجاحها فى فره السلام الصهيونى على مصر بتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد .

٤ - وبالنسبة للمؤتمر اليهود فى الرباط وإذا قيست الأمور بنتائجها فإن نتائج هذا المؤتمر كانت سلبية على الصعيد العربى .

المراجع

ب - الفرنسية :

1 - Le Roi, Abdalla L'histoire du Maghreb, Maspiro, Paris, 1970.

2 - Donath, Bensimen: Immegronts d'afrique de Norden, Israel, Paris, Edition Antnropos, 1962.

3 - Zafrani Haim: Mille ans de Vie Juive au Morco, Maison Neuve el La Rose, Paris, 1986.

ج - الدوريات الأجنبية :

1 - Annuaire de A L`afrique du Nord, Coronique Diplomatique, V.5, New York, 1966.

2 - Institute of Jewish Affairs, Auqust, 1964.

3 - Year Book on Human Rights for U, N., 1952 .

محتويات الكتاب

٣٦ – روعة الزواج (الجزء الثانى) ....
للأستاذ الدكتور عادل صادق

٣٧ – مصر والسودان .. بين الوئام والخصام ....
للأستاذ عبد الفتاح أبو الفضل

٣٨ – الإنفاق العسكرى العربى .. ترشيده كمدخل للتنمية ....
للأستاذ الدكتور محمود أبو سديرة

٣٩ – حـرب السـلام ....
للسفير صلاح عابدين

٤٠ – الملف السرى لحرب أكتوبر ....
للكاتب الصحفى الأستاذ محمد جبر

٤١ – الزواج العرفى ....
للأستاذة فاطمة مصطفى

٤٢ – اليهود فى المغرب ....
للأستاذ ماهر سمك

رقم الإيـداع :	٧٩٤٨ / ٩٨
الترقيم الدولي :	٧-٢١-٥٠٦٢ - ٩٧٧



دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر (ش.م.م)



هذا الكاتب :

- حاصل على ليسانس الإجتماع من جامعة القاهرة عام ١٩٦٠ .
- نال درجة الماجستير فى الانثروبولوجيا السياسية عام ١٩٨٩ .
- يشغل حالياً منصب وكيل وزارة بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة .
- له رواية بعنوان (الغربة) .
- عمل خبيراً للشباب فى بعض الدول العربية .
- عضو مجلس نقابة الاجتماعيين بالقاهرة .
- عضو رابطة خريجى الدراسات الاجتماعية .

.. وهذا الكتاب :

يعد أول دراسة أنثروبولوجية فى المشرق العربى عن أوضاع الأقلية اليهودية فى المغرب حيث يلقى الضوء على تصنيف اليهود فى العالم ويرد على مزاعم التفوق العرقى لهم ، كما يتناول موقف النظام المغربى من الصراع العربى الاسرائيلى واضطهاد اليهود المغاربة داخل اسرائيل موضحاً الخلاف بين الايديولوجية الصهيونية والديانة اليهودية .

.. وهذه الدار :

هى أول دار مستقلة للصحافة والطباعة والنشر فى مصر نشأت نتيجة جهد وعرق وإيمان مجموعة من المشتغلين بالفكر والكتابة .

- ❑ لتكون ساحة للحوار وملتقى للفكر المستنير وللتفاعل بين الأراء والاتجاهات المختلفة فى مصر والوطن العربى .
- ❑ ولتكون حلقة وصل بين التيارات الوطنية المختلفة والأجيال العاملة فى الحقل العام .
- ❑ ولتكون إطلالة على الغد تستشرف افاقة وتبحث مشاكله وتسعى إلى فحص حلولها .

وهى من هذا المنطلق تتجاوز معارك الأمس وتخوض معارك الغد وتعتمد فى ذلك على الجيل الجديد من الشباب تتحدث إليه وتعمل من خلاله وبواسطته .

وفى كل ما يصدر عنها فإن «دار الحرية» تلتزم بالموضوعية فى التحليل وبالتفكير العلمى ، وباحترام عقل القارىء ، وذلك بهدف دعم الحوار الفكرى وجذب كل الآراء والأتجاهات إلى دائرة الحوار .